أحببت زوراني

مستوحاة من أحداث حقيقية

أحببت زوراني

مستوحاة من أحداث حقيقية

رواية

فاطمة عبد الغفار شعلان

0000000000000

هذا الكتاب ليس إلا تراكمات لأحداث حقيقية وقعت بالفعل، تراكمات نفسية واضطرابات عقلية تسبب بها القلب؛ ليوقع العقل في ملذاته ورغباته، تراكمات أسرت العقل وأذهبته ليظل القلب هو المتحكم الوحيد بباقي الجسد لينشر حُبًّا فاسدًا يُفسد قلوب مُحبيه.

00000000

إلى كل البائسين اليائسين من هذه الحياة، إلى كل من أهلكتهم الدنيا بهمومها، أفيقوا من غفلتكم، أفيقوا واعلموا أن هناك من يرى همومكم، يشعر بكم، يُحبكم، يرحمكم أكثر مما تعشقكم همومكم، أفيقوا وشنوا الحرب على تلك الهموم، أفيقوا واعلموا أن هناك ربًّا رحيمًا سيُذهِب تلك الهموم لتنقشع غيمتكم المُلبدة، وتأتي أيام الفرج.

كم منا وقع في الحُب؟ بل من منا لم يقع في الحُب؟!

ذلك الحُب، يجعلك تشعر بسعادة عارمة لوجوده بقلبك.

ذلك الحُب، يجعلك رافضًا لأي لمحة سيئة عمن تُحب، رافضًا أي حقيقة قد تشوه تلك الشخصية التي تعشقها.

ذلك الحُب، يسلب أفكارك ومشاعرك ويحولك إلى كائنٍ بليد لا يمتلك أي ذرة رذاذ من فقاعة الإحساس.

ذلك الحُب، كشربة دواء تأخذها، كسحرٍ أسود يأسرك، لتقع في الغرام وتتعلق هائمًا، لتصمد دائمًا في علاقتك مع من تُحب.

ذلك الحُب، يجعلك معجبًا بسيئات من تُحب قبل حسناته، ليكون إعجابك ليس إلا جزءًا من العمى، ألا وهو عمى الحُب!

ذلك الحُب، يجعلك تكتفي بمن تُحب ولا تلتفت لغيره ولو تساقطت عليك السماء روعةً.

ذلك الحُب، الذي يجعلك تجوب في دائرة وتلتف لتعود لنفس النقطة مرة أخرى دون إحراز أي هدف.

في ليلة وضحاها بدأت أرى شيئًا بدا لي لامعًا من كثرة زهوه، رأيت إنسانًا شعرت للحظات معه بالأمان، وعلق بمخيلتي، قدمت له قلبي قُربانًا ليشطره إلى نصفين ويتركه على قارعة الطريق دون أن يهتم، انتظرت منه ذلك الأمان الذي بت أفتقده، توسلت إليه بالرحمة ليُرجع لي قلبي مرةً أخرى، ليتركني راحلًا لأكون أنا الخاسرة الوحيدة في كل مرة، شن حربًا من الغيرة، وحزبًا من الشك، وزرعه بعلاقتنا لأشعر ببرودة الموتى، طعن قلبي دون أن يقتلني، ليترك جرحًا نازفًا غائرًا داخلي، لم يكتفِ بذلك، بل غرس النصل إلى آخره ليحرمني عشقه، ليحرمني عاداته السيئة، ذهب وتركني وكأني شيء لم يكن بحياته، ذهب ليهرب من مرضه وألمه وشكوكه الزائفة بين تراب يواري ما بدر منه من سوء.

1

حياتي تسير بشكل روتيني ممل، أستمر في تكرار نفس الأحداث في كل يوم تقريبًا، أستيقظ صباحًا لأذهب لعملي، والذي تم تعيني فيه حديثًا، لأرى زميلاتي الذين يُخفون حقدهم لي خلف ابتسامتهم الزائفة، وما تُخفيه صُدورهم كان أعظم، أرى ذلك من خلال تعاملي معهم، فتظهر لي بعض الثغرات التي تكشف لي حقيقتهم، فلا أمتلك وقتها سوى التظاهر بالغباء وكأنني لم أنتبه لما ألقوه عليَّ من أحجار لئيمة بأفواههم، فقط أقف في ذهول مع ابتسامة عريضة بلهاء دون الرد على سخافاتهم.

بعد انتهائي من العمل أعود لمنزلي سيرًا على الأقدام تحت تلك الشمس الحارقة التي تكاد أن تقتلع رأسي، ليس رغبةً في ذلك، وليس لأنني أتبع حمية ما، فقط لأنني أحاول ادخار بعض المال لمساعدة عائلتي وتلبية احتياجاتهم، أعود من عملي لأدخل غرفتي وأفتح تلك المروحة البالية التي لا تأتي سوى بالهواء الساخن على وجهي، وأتمدد على سريري لأعيد ما حدث معي منذ بداية شروق شمس هذا الصباح إلى تلك اللحظة التي أنا عليها الآن، أشعر بألم، تورمت أناملي لكثرة أكياس الطعام التي أحضرتها وأنا في طريقي للمنزل.

تذكرت ما حدث معي طيلة اليوم، صديقاتي وتلك الأعمال الشاقة، والتي أدونها بالسجلات، ومُديري الذي لا ينفك عن التقرب مني وأنا لا أطيق وجوده بجانبي ولا أطيق حتى رؤية وجهه الأبيض الذي يشع خبثًا، وعينيه البنيتين اللتين تخدعان صديقاتي بتلك النظرات الودودة الماكرة، وكلامه المعسول الذي يحمل في طياته دهاء الذئاب في اصطياد فرائسهم، وصوته الذي يُشبه نعيب الغربان وقت الشروق.

يترك مكتبه ويأتي ليجلس في مكتبي ليُداعب الفتيات ويتحدث مع واحدة ويُسقط غضبه على أُخرى، وعلى الرغم من ذكائه فهو لا يقوى على التميز بيني وبين باقي الفتيات بالشركة، المتلهفات لكلمة منه، وأنا التي تجلس على مكتبها منكبة على تلك السجلات أمامي لأنهيها، يترك حسناوات المكتب جميعهن بأجمل ما فيهن وينظر لي، بل ويحاول التقرب مني، فتارةً يُغازلني وتارةً أخرى يُحاول بث الغيرة بداخلي بتقربه من إحدى الفتيات والتغزل بها أمامي، أجلس وأنا أنظر لهما نظرات مشمئزة؛ حيث لا أقوى على التحكم بتعابير وجهي، ويستمر هو فيما يفعله.

لا أكترث لأمره ولا أود مُحادثته إطلاقًا، فوجوده يُشعرني بالضيق ويُثير اشمئزازي، قررت للحظة ترك العمل وتراجعت عن تلك الفكرة في نفس اللحظة؛ لن أقدر على ترك العمل بشركته؛ فأنا من أكبر المحاسبات بتلك الشركة، والتي تُكسبني قوت يومي لإعالة عائلتي ومساعدة أختي الصغيرة لإتمام تعليمها، والتي تدرس بكلية الطب بعين شمس.

بينما أنا أفكر سمعت صوتًا خافتًا يُناديني: (سمر)، اصحي يا بنتي.

فتحت مُقلتيَّ بصعوبة كبيرة فوجدت أختي توقظني بعد أن غفوت بسبب إرهاقي من كثرة العمل اليوم، قمت ووجدت أختي تحمل بين

يديها بعض الأوراق والتي تنعتها بالشيتات، تطلب بعض المال لتصوير تلك الأوراق، فقمت من مكاني وأعطيتها ما تريد.

رجعت إلى سريري فوجدت هاتفي يرن، وأخيرًا ها قد جاء مُتنفسي الذي أنتظره طوال اليوم بفارغ الصبر، وهو سماع صوت صديقتي المُقربة (شمس)؛ فهي فتاة طيبة جدًّا، كما أنها صديقتي منذ الطفولة ولكنها لا تعمل معي بنفس الشركة، ودائمًا ما نلتقي نحن وبعض صديقاتها حتى أصبحنا كما يلقبوننا (شلة)؛ وذلك لعدم افتراقنا أبدًا، ففي مساء كل يوم نتجمع في منزل إحدى الفتيات نتحدث ونتسامر ولا تذهب أي منا إلى منزلها إلى أن نشعر جميعنا بالملل.

أجبت على مُكالمة (شمس) فوجدتها تقول لي إن الفتيات لن يتجمعن اليوم بسبب ذهابهن إلى خِطبة واحدة من صديقاتهن، فأعلمتها أنني لن أذهب معهن، فاقترحت عليَ الذهاب معها للتسوق وإحضار بعض النواقص، استأذنت أمي وبدلت ملابسي وخرجت من منزلي.

ذهبت لأكمل حياتي الرتيبة والمملة والتي قد يعدها البعض مرفهة؛ نظرًا لخروجي مع صديقاتي، ولكن حياتي تخلو من الحياة، تخلو من الإحساس، تخلو من المشاعر، حياة مُبهمة، أسير في طريقي بلا هُدى، كالبحار الذي ضل طريقه فراح يهيم بسفينته في الظلام الحالك المُحيط به من جميع الاتجاهات، كل ما يحيط بي يتحرك بسرعة كبيرة إلا أنا، أسير ببطء شديد، لا أحد يشعر بوجودي، كالعمياء أسير في عالم المُبصرين!

كنت أسير تائهة شاردة الذهن في مسارات حياتي الغريبة، وبينما أنا أمشي وجدت من ارتطم بي فأوقع ما بيدي من أكياس الطعام المختلفة التي اشتريتها وأنا في طريقي إلى منزل صديقتي، سقطت كل الأكياس

على الأرض وتناثر دقيق الطعام على ملابسه الأنيقة وغطى وجهه ونظارته بالكامل، فصرخ في وجهي قائلًا: أنتِ عميا؟؟ مش تفتحي، أنتِ بهدلتي هدومي، إذا كنتي ما بتعرفيش تمشي بتخرجي من بيتكوا ليه؟؟

كان ذلك الشاب أنيقًا وسيمًا تظهر عليه علامات الثراء، ولكني لا أرى ملامحه جيدًا بسبب ذلك الدقيق الذي غطى ملامحه، أو بمعنى أصح دفنها.

رددت عليه في خوف وذهول: معلش أنا آسفة، بس أنا مش عميا وما كانش قصدي.

خلع نظارته ومسح عينيه ونظر لي بتمعن واقترب مني وكأنه يعرفني، فرجعت خطوة إلى الوراء.

ابتسم وقال: (سمر)؟ هو أنتِ؟ أنا آسف ما كانش قصدي.

نظرت حولي لأتأكد من أنه يوجه كلامه لي وقلت: حضرتك تعرفني؟ معلش مين حضرتك؟؟

- أنا (أدهم) مُديرك في الشغل، أممم أنا فهمت، أنتِ غرقتيني بالبتاع دا، معقولة ما عرفتنيش؟!!

خوفي ازداد من أن يكون هو ذلك الشخص الذي لا يخرج من مُخيلتي، فقلت في تذمر: معلش أنا آسفة على اللي حصل، عن إذنك أنا لازم أمشي.

أمسك بذراعي وقال: استني هنا لحظة أنا بكلمك، أنتِ ازاي تمشي وما ترديش عليا؟ أنا مديرك على فكرة.

تفاجأتُ من رعونته، نزعت يده عني وقلت بصرامة: أنت مديري في الشغل وبس، وغير كدا أنت زي أي بني آدم ماشي في الشارع، عن إذنك.

أنهيت حواري معه بصعوبة شديدة؛ فهو لحوح الطبع، وإذا أراد شيئًا فعله، ولو كان هذا الشيء قد يودي بحياة شخصٍ ما، يتعامل بتجبر وشدة وسرعان ما يجعل العاملين بشركته كالنمل يسيرون بنظام ولا يفعلون شيئًا سوى العمل، فقط العمل، وإذا أعجبته فتاة تقرب منها وحاول التودد إليها حتى يجعلها تُغرم وتُفتن بكلماته الساحرة، بل المشعوذة، والتي تلقى على الفتيات لتجعل منهن أسرى حُبه الزائف.

أظن أنه معجب بي؛ فهو لا ينفك عن محاولاته للتحدث معي لكسب ثقتي، لمَ يفعل ذلك؟ فهناك العديد من الفتيات في شركته، ألن يكتفِ من نظرات الهذيان؟ ألن ينتهي ذلك الكلام المعسول؟ هل يظن أنني كباقي الفتيات؟ لمَ وجوده يُقلقني؟ لم نظراته تُربكني؟؟

انتهيت من تلك الأسئلة المترددة في عقلي على شيء واحد، فهو ليس بهذا الغباء، هو يعلم أني اختلف عن باقي الفتيات، ويعلم أني لن أقبل بحديثه معي على هذا النحو الذي يتحدث به مع أغلب الفتيات، يتحدثون معه ويلهون معه لأجل منصب ما في الشركة، وذلك آخر همي.

وصلت لمنزل (شمس)، قمت بطرق الباب ففتحت لي قائلة: إيه اللي أخرك كدا يا هانم؟

أبعدت يديها ودخلت لأجلس على الكرسي، فقالت في فتور: (سمر)، مالك في إيه؟ شكلك متعصبة، خير إيه اللي حصل؟؟

تشتت نظراتي وأبعدت عينيَّ عنها وقلت: بيقولوا في فساتين تحفة في المول اللي فتح جديد، اجهزي بسرعة عشان نشوف هنشتري إيه.

نظرت لي بدهاء وابتسمت قائلة: أنتِ بتغيري الموضوع يبقى في حاجة غلط، إيه اللي حصل يا سمر، حد اتخانق معاكي؟؟

- آآآخ، نفسي أكدب عليكي ولو لمرة واحدة.
- هه، عمرها ما هتحصل؛ لإن أنتِ ما بتعرفيش تكدبي وبيبان عليكي، إخلصي إيه اللي حصل؟؟
- ما فيش يا ستي، كل الموضوع إني قابلت مدير الشركة اللي أنا شغالة فيها ووقعت عليه الدقيق وبقى عامل زي الجني، أبيض من أوله لآخره.

ضحكت بصوت عالٍ وقالت: هو لسه بيحاول يكلمك؟ يمكن بيحبك يا سمر، يمكن أنتِ البنت الوحيدة اللي أثرت عليه، ويمكن كمان يكون بيخطط إنه يتقدملك.

- أنتِ مجنونة؟ دا يتقدملي؟ دا طول النهار نازل كلام مع البنات وأخلاقه مش تمام، لا يمكن أتخيل نفسي موجودة مع البني آدم دا ولو للحظة واحدة من حياتي، يع!
- أنتِ طايلة؟ دا غني وليه مكانة وشكله حلو، كفاية عربيته ولا الشركة اللي عاملة زي ناطحات السحاب دي.
- غني لنفسه وشكله حلو لنفسه، إخلصي قومي البسي خلينا نخرج.
- بس يا سمر دا فـر...

- ولا فرصة ولا نيلة، قومي البسي هدومك.

ذهبت (شمس) وذهب معها عقلي وشرد فيما كانت تقوله لي، تخيلت نفسي أتحدث مع ذلك الشاب (أدهم) وكأنه صديق لي وليس حبيبًا، تراوحت أمامي صورته التي تتمناها أي فتاة، وفي نفس اللحظة تذكرت ألفاظه ومغالاته في معاملة الفتيات بمراوغة، ضربت بكفي على رأسي وقلت في نفسي إن هذه من أغبي الأفكار التي وردت على رأسي من قبل، فهذا لن يحدث، حتى ولو نزلت السماء إلى باطن الأرض.

خرجنا أنا وصديقتي لنتسوق، دخلنا إلى العديد من محلات بيع الملابس الراقية، فهي تُريد التحضير لحفلة خِطبتها وشراء فستان راقي وبسيط، وبينما نحن نمشي شعرت -على الرغم من ازدحام الشارع- وكأن هناك من يتتبع خُطانا، وكلما نظرت خلفي لا أرى إلا أُناسًا يمشون ويتبضعون، ولا أرى أحدًا مألوفًا، فتابعت سيري وبينما نحن نمشي أنا وصديقتي أوقفنا جمال ورونق فستان معروض بإحدى المحلات، فأسرعنا ودخلنا وأمسكنا بذلك الفستان وقلنا للبائع إننا سنشتريه دون تردد.

أمسكت بالفستان لأضعه على صديقتي لأراه، فكان رائعًا بمعنى الكلمة، تفاجأت بشخص يسحب الفستان من بين يدي بقوة قائلًا: بعد إذنك يا حلوة.

سأل البائع عن سعر ذلك الفستان فاغتظت مما فعله، ضربت بأناملي على كتفه وقلت: على فكرة احنا اشترينا الفستان خلاص.

التفت قائلًا بزهو: أنا هشتريه بضعف التمن يا سمر، إيه رأيك؟؟

علمت حينها أنه ذلك الشاب الذي يُشبه خزنة الصرافة المتنقلة، (أدهم) المغرور كان يُلاحقني ليرد لي ما فعلته عندما وقع الدقيق على ملابسه، والذي لا يزال أثره موجودًا على وجهه إلى الآن.

- معلش حضرتك أنا ما ليش دعوة بخلافاتكو، الفستان دا لخطوبتي، وأنا...

قطع (أدهم) كلمات (شمس) بنظرات استهزاء ووجه كلامه لي قائلًا: (سمر)، قولي لصاحبتك إني هشتري الفستان بضعف الضعف لحبيبتي، واللي هتقضي الباقي من حياتها معايا، وياريت تفهميها إن الفستان دا أكبر من مستواها.

اشتعلت (شمس) غضبًا، كانت سترد عليه بنبرة قاسية لولا أنني أسكتها وأخذتها لنخرج من ذلك المكان الذي شوهه وجود مُديري المغرور، راحت (شمس) تنفث لهيب أنفاسها بغيظ، تسير بسرعة فائقة والغيظ يملؤها، تُتمتم ببعض الكلمات سِرًّا وأنا أحاول اللحاق بها، فركضت خلفها وأمسكت بذراعها وأمرتها بالتوقف.

توقفت والدموع تملأ عينيها قائلة: (سمر) هو الفستان فعلًا مش من مقامي وأنا ما ينفعش ألبس حاجة حلوة في خطوبتي؟

- ما تقوليش كدا، أنتِ مقامك أحسن من كدا بكتير، سيبك منه هو بيعمل كدا عشان هدومه اتبهدلت وبقى شكله وحش، بيعاندني، بس مش مهم احنا أكيد هنلاقي حاجة أحلى.

سرت وأنا أعد خطواتي أود الرجوع، عقلي يؤنبني لما لم أرد ولو بكلمة على أسلوب (أدهم) الوقح؟ لما لم آخذ ذلك الفستان من بين يديه والذي حلمت به صديقتي طيلة الوقت؟ لم أجد ردًّا مُناسبًا لأجيب عن

نفسي، وكأني راضية عما يحدث معنا!

وقفت (شمس) بينما أنا أسير ونادت باسمي لتريني فستانًا آخر قد أعجبها، ولكن ليس بجمال ورونق الآخر، دخلنا واشترينا الفستان وترك كل منا الآخر ليذهب إلى منزله وليكمل يومه حسب مرور الوقت وحسب تفاصيل حياته.

أخذت أتحدث أنا وأختي، قصصت لها كل ما حدث معنا بالتفصيل الممل، قطع حديثنا صوت جرس الباب، تخيلت أنه والدي فركضت نحو الباب لأفتحه، فوجدت فتى صغيرًا يحمل بين يديه هدية تكاد تكبره حجمًا، فلا أرى رأسه نظرًا لضخامتها على جسده النحيل، أعطاني إياها دون أن يذكر اسم مرسل هذه الهدية، فقط قال إنها لي وأخذ يركض بعيدًا.

أغلقت الباب ودخلت غرفتي، وضعت الهدية على سريري وأخذت أنظر لها وأفكر، ترى من الذي يهديني هدية ضخمة كهذه؟ هل هي (شمس)؟ لا، لقد كنت معها منذ قليل، هل هي واحدة من زميلاتي بالمكتب؟ لا ليست إحداهن؛ فهم يحسدون السائل على ابتسامته، ترى من أحضر تلك الهدية؟!

جاءت أختي ووضعت يدها على كتفي وقالت بحماس: ما تفكريش كتير، افتحي الهدية وبعدها بس هتعرفي هي من مين.

ابتسمت لها بهدوء وقلبي لا يشعر بسعادة لوجود تلك الهدية؛ لم تأتيني هدية بهذه الضخامة منذ وفاة جدتي، منذ كنت طفلة، ولا أعلم من قد يُهديني هدية كهذه، أخذت أنزع بعض الشرائط اللاصقة عنها، وفور رؤيتي لما بداخلها صُعقت، وجدت ذلك الفستان التي كانت تحلم به صديقتي، والذي أخذه مديري المغرور لحبيبته كما قال، ماذا؟ هل أنا

حبيبته؟ ما الذي يحدث؟ هل هو يُحبني حقًّا؟ أم يريد تغيير نوع الفتيات اللاتي يود تسلية وقته بهن؟

تحركت أختي من مكانها لترى الفستان، فسقطت ورقة من الصندوق على الأرض أعطتها لي وقالت لي أن أقرأ ما بداخلها.

فتحت الورقة وبدأت بقراءة ما بداخلها: «إلى حبيبتي التي أعشقها، إلى من لونتني بالأبيض اليوم وجعلت مني أضحوكة، إليك (سمر) أعلم أنك لا تطيقين وجودي بجانبك، لكني أهديكي هذه الهدية الصغيرة لتكون بداية لصفحة جديدة لنكون أصدقاء، فلا أود أن تقتصر علاقتنا فقط على كوني مديرك، أريد أن أكون صديقك بل وأكثر، منذ أن رأيتك للوهلة الأولي، منذ أن رأيت عينيكي اللامعتين، منذ ذلك الوقت الذي رأيت فيه جمالك الآسر عندما تقدمتي بطلب العمل في شركتي وأنا أحبك، لذا قررت إهداءك هدية لا يتمناها إلا قلبك، ولا تليق إلا بك«.

قرأت هذه الكلمات التي كتبها مُديري لي وأنا لا أصدق ما أقرؤه، يداي ترتعشان، نبضات قلبي تزداد بشدة وكأني أراه أمامي وهو يوجه كلامه لي ليجعلني أقع في غرامه كما يفعل مع الأخريات، أغلقت الورقة بين يدي، وعقلي يملؤه الشرود، بدأت أفكر إذا كانت تلك الكلمات المكتوبة حقيقية، ماذا لو كان (أدهم) يُحبني فعلًا؟ ماذا لو كان يود الارتباط بي حقًّا ولا يود كسر مشاعري والتلاعب بها؟ ماذا لو كان يريد أن يجعل مني صديقة له على الرغم من وجود أصدقائه الكُثر، والذين يحبونه ويقدرونه؟

بدأت أشعر وكأن قلبي سيطير من مكانه ليرتفع إلى حلقي لأصرخ بكل قوتي من فرحتي، بسطت يداي حتى العنان ووقفت على أطراف

قدمي وكأني سأحلق كالفراشات، بدأت أتنفس وكأنها المرة الأولى التي يعرف صدري فيها معنى دخول الأكسجين له، بدأ قلبي بالتأثير على عقلي وجعله يفكر بطريقته وبما يريده ويهواه هو فقط.

تذكرت (أدهم) عندما كان يُغازلني وأنا أرفضه، شعرت بسذاجتي وبتفكيري الخاطئ، كيف لي أن أرفض شاب بتلك الروعة قد يُغير حياتي من ذلك الهدوء القابع والمتجمد داخل جسدي إلى ضوضاء؟ ضوضاء أحلم أن أعيشها، ضوضاء تُمحي كل السكون الموجود داخل قلبي، ضوضاء تُغير ملامح وجهي من الفتور إلى السرور.

بت أسأل نفسي بطريقة عكسية، هل ستتركين عالم الخيال وتحلقين في عالم الواقع الذي تكرهين العيش به؟ هل ستتركين خيالاتك وأفكارك وأسرارك التي تُشاركينها جدران غرفتك لتشاركيها مع آدمي قد يحرمك من عيش تلك الآمال ليحولها إلى آلام ويفرض عليكي أشياء لا تفضلينها؟

هل ستسمحين لذاتك باكتساب صفاته ومحاسنه ومساوئه معًا؟ هل ستتحملين أن تكوني نسخة مُستنسخة عنه لتكوني لعبته المدللة والتي تنفذ أوامره؟ لن أقرر الآن، سأترك الأمر لرب الأمر يُسير الأقدار كيفما يشاء مثلما يشاء.

2

لم أنم بعد، وتلك الرسالة لا زالت تشغل بالي، أيقنت أن الحب لن يجعل مني أميرة في قصر، ولكن سيجعلني أسيرة في قبر حالك الظلمة، ذلك الحب الذي يتحدث عنه الجميع، ذلك الحب الذي يفضل وجوده الجميع، ليس سوى فخ تأثيره كتأثير المخدرات، تجعلك تنتشي وتحلق، تُشعرك وكأن العالم بأكمله بين يديك الصغيرتين اللتين لا يتسعان لحفنة من الهواء، لتجد نفسك تتساقط هاويًا فارغ اليدين لتقع وتتحطم آمالك التي بنيتها واحدة تلو الأخرى.

هذا هو الحب الذي لم أشعر بمذاقه الخاص إلا للحظات، والذي شعرت بلذعته فور تذكري مديري الذي بعث لي بهذه الرسالة، هو نفسه الذي كان يقف مع الفتيات صباحًا يغازلهن ويصطحبهن لعالمه الوردي من خلال كلامه المعسول، والذي يجب أن يُلقب بالكلام المعلول.

رن هاتفي وقطع حبل أفكاري، وجدتها صديقتي (شمس) تتصل، تذكرت كم كانت تريد ذلك الفستان لحفل خطبتها، أجبت وأعلمتها بقدومي إلى منزلها، قمت وأعدت تغليف تلك الهدية وذهبت بها لمنزل صديقتي، أعطيت (شمسًا) الهدية، تفاجأَت من وجود ذلك الفستان

الذي أخذه مديري المغرور، ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه صديقتي، أحاطتني بذراعيها لكثرة فرحتها، أحسست برهة بخمود تلك الفرحة وسألتني كيف استعدت ذلك الفستان! أشحت بوجهي عنها وقلت بأني قد استعدته فقط، واستأذنتها بالرحيل لأن الوقت كان قد تأخر.

لا زال رأسي يدور من حيرته، قلبي يريد شيئًا وعقلي يرفض ذلك الشيء بشدة أكثر، وكأن هناك حالة من الحرب شُنت داخل جسدي، حالة من التشتت أصابتني، أفكاري مُتضاربة، أسير بسرعة كبيرة خوفًا من ذلك الصوت الذي يلحق بي، وكأن هناك من يتتبعني، زاد الصوت، زادت خطواتي سرعةً حتى وصلت لمنزلي، فتحت الباب وأخذت أنظر للشارع من خلفه، لم أجد أحدًا! تُرى من كان يلحق بي؟!

دخلت منزلي فوجدت أمي تُحضر العشاء لوالدي؛ فهو يأتي متأخرًا من عمله، ليس له عمل محدد، يحاول كسب رزقه بأي طريقة، فيعمل في البناء تارة، ويعمل في مصنع للملابس تارةً أخرى لسد احتياجات منزله وأسرته الحالمة.

دخلت أمي غرفتي فوجدتني أكتب في دفتر يومياتي ما حدث معي طوال اليوم، فهذه هي عادتي، أدون محتويات يومي قبل النوم، فجلست بجانبي تقرأ ما أكتبه.

سألتني بفضول الأم للاطمئنان على ابنتها: (سمر)، هي الهدية اللي كانت هنا راحت فين؟ ما قولتيش مين اللي جابهالك؟

تلعثمت أثناء شرح الأمر، فمنعتني من التمتمة وأمرتني بالاسترسال، فتلوت عليها ما حدث وما أراه من ذلك الشاب بالشركة، سكتت أمي ولا أعلم ما هو غرض وجهها، لا أعلم ماهية تلك التعابير، هل هي للغضب

أم للفرح؟ لا ليست للفرح، إنه غضب ممزوج بدهشة، نظراتها غريبة، لقد حيرتني، كنت خائفة مما قد تفكر به أو تقوله، فهي قد تمنعني من الذهاب لعملي بتلك الشركة، وهي سبيلي الوحيد لكسب المال وجعل عائلتي تستنشق أنفاسها، فأنا أسعى من ناحيتي، وأبي يسعى من ناحيته لكسب المال لتوفير حياة طبيعية ـ وليست مرفهة ـ لنا.

وقفت أمي في مكانها ثم خرجت من الغرفة دون أن تعقب بكلمة، أقلقني صمتها، ولكني سأتحدث معها في الأمر ولكن بعد أن تهدأ تلك العاصفة برأسها.

سمعت جرس الباب يرن، أغلقت دفتر يومياتي وخرجت وفتحت الباب، وجدته أبي قد أتى مُجهدًا من عمله، أحسست بنفور والدتي مني وأنها تختصر في حديثها معي، فأدركت أنها حتمًا ستخبر والدي بما حدث، لذا قررت أن أقص له ما حدث معي منذ الصباح حتى هذه اللحظة، فذلك سيكون أفضل لي ولجميع من بالمنزل.

استجمعت قواي للمرة الثانية اليوم، ولكن هذه المرة مختلفة، معدتي تؤلمني، أشعر وكأنني كنت أركض لأميال، حاولت نطق أول كلمة، أخيرًا بدأت أروي له ما حدث معي اليوم، أوقفتني والدتي وقطعت حديثي، نهرتني لأكف عن ثرثرتي، أمرتني أن أذهب لغرفتي وألا أزعجه بكلامي الفارغ.

تفاجأت مما قالته، فذهبت لغرفتي أغلقت الباب وأطلقت العنان لخيالاتي، فأنا أهرب من واقعي ومن قسوة هذه الحياة لأحدث نفسي سرًّا عن حياتي، وأسقط ما بداخلي على كتابات من ورق لأظل على هذه الحالة إلى أن أسقط وأنام، أو إلى أن ينكسر سن قلمي فأتكاسل عن

إحضار المبراة، فأظل أحملق في شروخ ذلك السقف الهار إلى أن أنام فأغرق في أحلامي التي تأخذني لعالم لا أعرفه، عالم أكبر من الخيال، عالم يأخذني حيث يجب أن أكون، عالم ليس به سوى حلاوة السفر وجمال الشهرة، أحلم في كل ليلة بأنني أزور بلدًا أجنبيًّا مختلفًا لأرى أماكن رائعة لا يستطيع لساني وصف جمالها، أقع في مشكلات، تواجهني عقبات، ولكني أخرج منها بمساعدة أناس لم أرهم من قبل، ولكن سرعان ما تذهب تلك الأحلام فور استيقاظي من النوم ولا أتذكر منها سوى لقطات، أتذكرها كمشاهد الأفلام، فأحاول جاهدة غلق عينيَّ لاستعادة تلك الأحلام، ولكن تبوء محاولاتي في تذكرها بالفشل، فأضطر لمواصلة حياتي وما بها من مرهِقات.

استيقظت على صوت حانٍ ينادي باسمي ليوقظني، فتحت مقلتيَّ ببطء لأرى ضوءًا صغيرًا يتسرب من خلال باب غرفتي ليكسر عتمة تلك الغرفة، شخص ما يهزني برفق، حاولت النهوض فوجدتها والدتي توقظني وتخبرني أن الساعة قد أصبحت الثامنة، انتفضت من مكاني مسرعة لأغسل وجهي وارتديت ملابسي لأذهب لعملي الذي تأخرت عنه على غير العادة.

وصلت لذلك المبنى الذي يشبه ناطحات السحاب، فهي واحدة من أكبر الشركات العملاقة التي تجمع تحت سقفها مجموعة من وكالات لشركات استيراد وتصدير الأدوية والعقاقير داخل وخارج مصر.

دخلت مكتبي، الجميع مِن حولي ينظرون لي ويتهامسون، أقلقتني تلك النظرات، ولكني جلست وقمت بترتيب الأوراق وبدأت أعمل، لاحظت زميلاتي بالمكتب تؤشرن بأصابعهن نحوي ولا أفهم لما يفعلون ذلك، صرفت نظري عنهم وأخذت أنجز تلك الأوراق أمامي.

تفاجأت بمن يضرب بهدية مغلفة على مكتبي، فرفعت رأسي وشعرت وكأن رقبتي قد كسرت لكثرة الكتابة والتركيز، ولأنني لم أتحرك منذ دخولي العمل، فوجدت مديري ففزعت ووقفت في مكاني ليقع الكرسي الذي كنت أجلس عليه على الأرض، وكأني رأيت جنيًّا تشكل على هيئة إنسيّ.

صاح في وجهي قائلًا بصوتٍ عارم أسمع جميع من بالمكتب: أنا لما أجيبلك هدية يبقى تقبليها وما تروحيش تديها لصاحبتك.

أخافتني نبرة صوته وأخذت أنظر بعيني على الطرفين الأيمن والأيسر دون تحريك رأسي، لأرى نظرة جميع من بالكتب يحملقون والدهشة تملأ وجوههم، فشعرت بإحراج كبير، أخذ وجهي يشتعل كقدح الماء فور غليانه، لاحظ سكوني، ضرب بيده بقوة على المكتب وقال بنبرة قوية هزت بدني: أنتِ ما بترديش ليه؟ عارفة ليه؟ لأنك غلطانة وأنا بكره الغلط زي الموت.

انطبق ذلك المثل اليوناني الأصل الذي يقول (لقد ابتلعت الهرة لسانك) على حالتي، بالفعل شعرت وكأنني ابتلعت لساني، وقفت كالبلهاء وجهي يشتعل احمرارًا من الخوف والقلق ولا أعلم ما أقول، رأى (أدهم) دموعي تتلألأ في عيني، سكت ونظر لي بعمق وقال بهدوء: الهدية دي ليكِ، إوعي تضيعيها زي الأولى.

قال جملته وخرج من المكتب وهو يُغلق الباب بشدة، فأخذت شهيقًا وأخرجت زفيرًا طويلًا ولاحظت نظرات زميلاتي فلم أهتم لهن، أحضرت الكرسي الذي سقط أرضًا نظرًا لخوفي وارتباكي، وجلست أتابع عملي في صمت.

جاءت صديقتي بالعمل (أبرار) لتقطع تركيزي وتقول: هو في إيه يا سمر؟ هو ازاي يكلمك بالطريقة دي؟

قلت في حيرة: ما اعرفش.

لم يعجبها الرد، فنظرت لي ورفعت حاجبها متذاكية وقالت: ازاي ما تعرفيش؟ اومال الهدية دي بتعمل إيه هنا يا سمورة؟

ابتسمت قائلة: برده ما اعرفش.

رن جرس استراحة الغداء فقلت لها إننا سنتحدث في وقت لاحق، أغلقت ذلك الدفتر أمامي وذهبت أنا و(أبرار) لأرى باقي الزملاء كعادتنا، فوجدت ذلك المدير المغرور، كما يلقبه جميع من بالشركة سرًّا دون أن يعلم بتلك الترهات التي تُقال عقب رحيله.

انساقت قدماي رجوعًا لمكتبي مرةً أخرى، ولا أعلم ما السبب، لقد حدث هذا تلقائيًّا فور رؤيتي له، لاحظ (أدهم) عودتي لمكتبي فنادى قائلًا: (أبرار)، هاتي صاحبتك وتعالي لحظة معلش.

نظرت لها وكأنها ستأخذني إلى الجلاد، قدماي تتزحزحان من على الأرض بصعوبة كبيرة، وعيناي تعد خطواتي على الأرض، ذهبت فوجدته يقف مع صديقه المقرب (إسماعيل)، فلم ينطق بحرف، فقط أعطاني صينية مليئة بالطعام وأشر لي على طاولتي التي اعتدت الجلوس عليها أنا وصديقاتي.

ذهبت وجلست على الطاولة بجانبي صديقاتي يتحدثن ويضحكن، يخترعن الأقاويل عما حدث صباحًا وهم يعلمون أني أستشيط غضبًا، قاربت استراحة الغداء على الانتهاء وأنا لم أبتلع قضمةً واحدة بعد، لا

زلت أنظر لتلك الملامح التي أراها لأول مرة عن قرب وكأني أكتشفها، لم أستلم العمل إلا منذ أسابيع قليلة، ولأول مرة أشعر وكأني رأيت تلك الملامح من قبل، بل وتحدثت عنها من قبل.

بالفعل إنه يُشبهه تمامًا، يُشبه شخصًا كنت أحلم بوجوده منذ زمن، نعم تذكرت، إنه يشبه ذلك الشخص الذي رسمته في مُخيلتي منذ الصغر، لقد رسمت تلك الملامح بيدي من قبل، ليس في أحلامي بل على ورق، رسمت تلك الملامح لبنات خالاتي في صغري عندما سألوني عن فتى أحلامي، لا أصدق أن هذا حقيقي، لا أصدق أن رسمتي التي رسمت في صغري تقف أمامي الآن تضحك، لا أصدق أن ذلك الشاب الذي تخيلته في صغري هو نسخة طبق الأصل من (أدهم)، فهو طويل عريض المنكبين، ذو شعر ناعم هائم الخصلات يتطاير بوجود نفحة صغيرة من الهواء، يضع نظارته الشمسية على أول أزرار قميصه الأبيض، بملامحه الحادة وأسلوبه الأكثر من رائع، يجعله يُفصح عن طباعه لأي إنسان كان.

جاءت زميلتي (سوزان) من بعيد وفرقعت أصابعها نحوي لتلفت انتباهي ونظري الشارد، وقالت بمكر: عمرك ما هتقدري تلفتي نظره بشكلك دا، أنتِ بتضيعي وقتك على الفاضي يا شاطرة.

نظرت لها باستهتار على ما قالته ولم أعقب بكلمة؛ فأنا لست من محترفي صناعة المشكلات.

رن جرس انتهاء استراحة الغداء فأفزعني صوته، أفقت من خيالاتي لأغرق بأخرى، وكأني لوحة الموناليزا، أحدق بـ (أدهم) وهو يسير ذاهبًا لمكتبه، وبعد بلوغه الباب التفت ونظر لي وكأنه يخبرني بأنه يراني طوال الوقت، أصبحت واقفة في مرمى بصره وهو يُسقط نظرة مُتفاخرة لا أفهمها،

فأنا لا أجيد فن لغة الأعين، فشعرت بإحراج شديد فكسرت عينيَّ عنه وأدرت ظهري لأذهب لمكتبي، لم أنتبه فأوقعت الكرسي أمامي، أقمته من طريقي وأخذت أمشي فارتطمت بصديقتي فاعتذرت لها، وأخذت أسير، و عندما أدرت ظهري لأراه إذا ما كان قد رحل أم أنه رأى ما حدث، وجدته يضحك بثغرٍ واسع على ما حدث معي.

التفت وذهبت لمكتبي وجلست أعمل وعقلي لا يتقبل تلك الفكرة، أن هناك صورة حقيقية أبدع الخالق في خلقها تمشي على الأرض بيننا وأنا أتخيلها منذ صغري ولا أعلم بوجودها، ولم تتسنَ لي فرصة لقائها، لم أسلط تركيزي من قبل على تفاصيله، فكنت أمقت وجوده حد الاشمئزاز، والآن لا أعرف ما ذلك الشعور الذي يؤرقني منذ تلك اللحظة، شعرت بوخزة في صدري لا أعلم كنهها، أبصرت للمرة الأولى بعين قلبي ورأيته بوضوح، تساءلت في نفسي وكأن بدخلي شخصيتين، الأولى ترفضه والثانية تفضل وجود صديق مُخيلتها منذ الصغر، كيف له أن يبدل كرهي له بإعجاب وزهو أنا لم أتخيله!

انتهيت من عملي وحان وقت ذهابي لمنزلي، فأخذت أرتب الأوراق وأرتب مكتبي، حملت حقيبتي وفور وصولي لباب المكتب تذكرت تلك الهدية التي أتى بها (أدهم) لي صباحًا، فرجعت لآخذها، حملتها بين يدَّي وذهبت، دخلت منزلي متأخرة بسبب صعوبة المواصلات، فلا أعلم سبب ذلك الزحام الذي دب في أرجاء هذه المدينة، فسألتني أمي عن سبب تأخري وهي تنظر للهدية وكأنها تقول كثرت هداياكِ يا بنتي منذ قبولك بتلك الشركة.

- ماما، أنا هغير هدومي وأنتِ افتحي الهدية شوفي فيها إيه.

أعطيتها الهدية لكي يطمئن قلبها وأنا لا أعلم ما بها، حتى جاءت أمي إلى غرفتي وهي في غاية التذمر ورمت برسالة على سريري وقالت بعصبية لم أعتد وجودها عليها من قبل: أنتِ قريتي اللي في الرسالة؟

أجبتها بنفي تام: لأ، أنا ما فتحتش الهدية أصلًا.

أمرتني بقراءتها بصوت عالٍ، فأخذت الرسالة وبدأت بقراءتها:

«إلى من ملكت قلبي وأدمنت وجودها تتبختر أمامي دون أن تبدي أي اهتمام، جحظت عيناي ورعد قلبي منذ رؤيتي لكِ، أهديك هذه الهدية لتكوني صديقتي إلى أجل مسمى، حتى تقبلي بي كصديق وأخ وحبيب، لتكوني ملكي أنا فقط، قد لا يبوح لساني بحبي لكِ، ولكن أناملي لا تنفك عن كتابة الأشعار بجمالك الذي لا يوصف، أتمنى قبولك هديتي، من صديقك (أدهم)».

كنت أقرأ والخوف يملؤني، لا أعلم ما الذي ينتظرني بعد انتهائي من قراءة هذه الرسالة، فور انتهائي نظرت لأمي، تغيرت ملامحها، بدأت تلومني على وجود تلك الرسالة معي، وكأني أنا من أمرته بكتابتها، جاء أخي وأختي على صوت والدتي، وحمدًا لله أن أبي لم يكن بالمنزل في هذا اليوم.

نقف هنا للحظة، كان صراخ والدتي المتكرر عليَ بسبب رفضي المتكرر لجميع من يتقدمون لخطبتي منذ التحاقي بالجامعة، فإذا أتى أحدهم لطلب يدي أرفضه دون حتى أن أراه بحجة إكمال تعليمي والانتهاء من دراستي، وبعد تخرجي أتى ابن خالتي (إبراهيم) لطلب يدي ليتزوجني، ولا زال يتردد علي ذلك الطلب، وفي كل مرة لا يلقى إلا الرفض.

تسببت في العديد من المشكلات بين خالتي وأمي، بدأت التساؤلات تُطرح عن سبب رفضي له، فهو شاب محترم، ذكي، غني، ووسيم، وعندما شعر أبي بإصرار والدتي الزائد عليَ للموافقة على ذلك الشاب حدثها، ونهرها، وتسببتُ في مشكلات بينهما أيضًا، وأصبحت في منزلنا أنا من يُثير المشكلات فقط دون إخوتي المدللي الطبع.

صاحت أمي في وجهي وقالت بنبرة تساؤلية إلى متي سأظل هكذا يشتهي الرجال التحدث معي والاقتراب مني وأنا أرفضهم بأحسن ما فيهم، ظلت تسب في (أدهم) وتلعن ذلك اليوم الذي تم تعييني في شركته، قالت لي إنني من سيقنع أبي بالموافقة على زواجي من ابن خالتي، والذي مللت تقدمه لخطبتي مرارًا وتكرارًا، وكأننا في (كُتَّاب) للتحفيظ، كما مللت فرط حديث خالتي عن ابنها الثري والرائع والمحبوب، سئمت كل هذه الأشياء التي تحبطني ولا تجعلني أشعر بذاتي، فقط تجعل مني آلة لا تشعر، لا تعبر، لا تفكر، فقط تنفذ ولا شيء غير ذلك.

جاء أبي والحزن يُغطي وجهه، تظهر عليه علامات التعاسة والتعب، سألته عن سبب وصوله مُبكرًا على غير عادته، أجابني ناظرًا إلى الأرض، وكأن هناك وهنًا أصابه، بأنه لن يذهب إلى المصنع ثانية، وأنهم قد جاؤوا بماكينات حديثة لذلك المصنع، ولن يحتاجوه ليعمل هناك مرة أخرى.

شعرت بحزن أبي وتذكرت حديث أمي وأنها تود أن أترك عملي بتلك الشركة نظرًا لتقرب ذلك الشاب مني، والذي تغيرت نظرتي له منذ فترة وجيزة، وذلك لتحقيق رغبتها وتزويجي من ابن خالتي، ليس تسلطًا منها، ولكنه حرص زائد على ابنتها، فهي تعتقد أنني لا زلت صغيرة ولا أدرك كيفية التصرف والتمييز بين ما هو أكثر فائدة أو ضرر لي.

3

دخلت غرفتي لأستريح فوجدت تلك الرسالة على سريري، فتمددت وأخذت أقرؤها للمرة الثانية على التوالي، وسرعان ما غططت في نوم عميق لأرى نفسي مُقيدة بجنازير من الفضة، مكبلة من شعر رأسي حتىً أصابع قدمي، فلا أشعر سوى بعينيَّ تتحركان يمينًا وشمالًا لاكتشاف ما حولي، فمي يحاول نطق بعض الكلمات ولكن لا يقوى على إخراجها من بابه الأول والثاني، أي أسناني وشفتيَّ، لا أرى سوى (أدهم) أمامي يقف على بعد، حاولت مناداته فنظر لي بعدم اهتمام وابتسم وكأنه يستمد قوته من تكبيلي بتلك الأصفاد، بدأت أصرخ بصوت مبحوح لا تقوى أذناي على سماعه، توالت تلك الصرخات و(أدهم) لا يحرك ساكنًا ولا تتغير ابتسامته، تزايدت صرخاتي واستيقظت فوجدت نفسي قد وقعت من على سريري، فوجدت أختي تسألني عما حدث، وإذا به حلم، لا ليس بحلم، إنه كابوس، لا بل أسوأ، إنه الجاثوم!

طمأنت أختي وذهبت لأتوضأ لأصلي العشاء، وضعت يدي على وجهي لأغسله، وعندما نزعتها وجدت كل ما حولي أسود! ظلام دامس لا أرى أي شيء ولا حتى كفي، ناديت أختي عدة مرات ولكنها لم ترد،

حاولت فتح الباب والخروج، ولكن الباب كان موصدًا وكأن شخصًا قد أغلقه من الخارج قصدًا! شعرت باختناق شديد وكأن روحي سترتفع إلى السماء، أكره الظلام، أكره الأماكن المُغلقة، حاولت أن أصمت خوفًا؛ لأني لا زلت في دورة المياه، أو في الخلاء بمعنى أكثر صحة، ناديت أمي، أبي، وجميع من بالمنزل، ولكن لم يسمعني أحد! شعرت وكأني في فخ، كنت خائفة، بل مرتعبة، شعرت بهذيان، أسندت ظهري إلى الباب والظلام يخنقني، حاولت فتح عينيَّ ولكن لم أستطع، انسبلت جفوني دون أن أشعر.

فتحت عينيَّ بصعوبة بالغة ولا أعلم كم مر من الوقت علَيَّ وأنا لا زلت هنا، وجدت النور مُضاء وأنا لا زلت أجلس على أرضية دورة المياه، وقفت في مكاني ونظرت في المرآة وحاولت فتح الباب، لم يستغرق فتح الباب ثانية! بمجرد سحب المقبض فُتح الباب، التقطت أنفاسي وخرجت فوجدت والدتي جالسة وأبي بجانبها وكأن شيئًا لم يكن، وكأنهما لم يسمعا نداداتي، خرجت وبدأت أبكي بصوتٍ عالٍ، ركضت نحو أمي وربتت على قدميها لتضعني على صدرها كطفلة رضيعة، فقالت: خير يا بنتي مالك إيه اللي حصل؟

- النور قطع وناديت عليكي وعلى (سارة) وما حدش رد عليا، والباب ما كانش عايز يفتح، كنت مرعوبة.
- بس النور ما قطعش يا (سمر)، واحنا قاعدين يا بنتي من بدري وما سمعناش حد بينادي!

صُعقت مما قالت لي، ابتعدت عنها وقلت بعصبية: أنا ناديتك كتير وأنتِ ما ردتيش، والنور قطع ووقعت وأغمى عليا وبردة ما حدش سمعني، كنت هموت من الخوف.

- خلاص اهدي يا (سمر) وما تخافيش، احنا كلنا جنبك يا حبيبتي وأنتِ كويسة.
- لأ أنا مش كويسة، وما فيش حاجة كويسة في البيت دا، دي مش أول مرة، أنا بحلم أحلام وبتتحقق.
- خلاص يا (سمر) اهدي.
- لأ مش ههدا، أنا بحلم وباجي أحكيلك الحلم وبتلاقيه تلقائي اتحقق، يبقي ما فيش حاجة كويسة يا ماما، وأنتِ عارفة إن بابا هيسيب الشغل النهاردا لإني حكيتلك.

فوجئت بصفعة لم أكن أتوقعها من والدتي نزلت على وجهي لتهدئ من روعي، أشارت لي بعينيها أن أعود إلى غرفتي، حاولت التحدث ولكنها أخرستني ونهرتني، فهمت أنها لا تود إخبار أبي بما يحدث معي، لا تود إعلامه عن تلك الكوابيس التي أراها منذ توظيفي بتلك الشركة، والتي تفسرها على أنها حسد أو شيء من هذا القبيل، ولكنني لا أظن ذلك.

رجعت إلى غرفتي التي تعزلني عن العالم بأكمله وجلست متكورة على سريري أمسك بقدميَّ لتكونا ملتصقتين بصدري، وضعت رأسي على ركبتي وجلست أندب حظي، أبكي في هدوء، أعيد ما حدث معي والذي لا يعلمه غيري والخالق، ما حدث معي أثقل جسدي؛ فغفوت للحظة وبعدها سمعت والدتي تنادي فذهبت لها.

أمي تُعيد ترتيب غرفتها، حتى إنها تُبدل أماكن الأثاث من مكانها، تحمل بين يديها العديد من الأوراق، تنظر لي وهي تبتسم وتقول لي: فاكرة رسوماتك؟ كانت جميلة جدًّا، أمسكي اتفرجي على ذكريات الطفولة.

أمسكت بتلك الأوراق، أخذت أقلب الصفحات في ريبة أخشى رؤية ذلك الشيء الذي يدور ببالي، وبينما أنا أطوي تلك الصفحات قالت أمي: (سمر) تعالي امسكي، في ورقة وقعت من الرسومات بتاعتك.

أمسكت بتلك الورقة وتفاجأت بما كنت أخشاه، وجدت تلك الرسمة التي رسمتها من وحي خيالي، وجدت (أدهم) يقف أمامي، ولكن داخل تلك الورقة، بين يدي واقفًا فعلًا، لكن تلك نسخته بالفحم بالقلم الرصاص وهو يضحك، كم تشبهه تلك الرسمة! أخذت أحدق بتلك الورقة، أنظر لها بشدة، تذكرت ذلك الحلم البشع الذي حلمت، سقطت جميع الأوراق من بين يدي، قلت لأمي بأن تلقي بتلك الذكريات في سلة المهملات؛ فهي باتت خردة، فاستغربت والدتي الأمر وظنت أني لا زلت حزينة لأنها صفعتني.

جاءت ووضعت يدها على كتفي، قبلت جبهتي وقالت: سامحيني يا بنتي عشان ضربتك، بس مش لازم والدك يعرف حاجة عن الموضوع دا.

تفهمت رغبة أمي، أومأت رأسي بالموافقة، ابتسمت لها وذهبت، فكرت بكلام والدتي فوجدته صحيحًا بالفعل، والدي مرهق هذه الفترة، يتحمل الكثير، يُحاول توفير السعادة للجميع حتى وإن كان ذلك فوق طاقته، زادت همومه اليوم عندما أقالوه من العمل رغمًا عنه، شعر بالضعف والانكسار، شعر بقلة الحيلة التي تحاول أمي سد بابها حتى لا نُضر بضرر والدي، فهو يُعاني من السكري.

ذهبت لغرفتي وأديت فروضي، قرأت أذكاري وخلدت إلى النوم، لتنبثق شمس نهار جديد ويوم عمل آخر.

أثناء جلوسي على مكتبي أحرك قلمي يمينًا وشمالًا بين أصابع يدي، شعرت وكأن أحدًا يتحرك خلفي، فأدرت وجهي إلى الوراء لأرى من هناك، فلم أجد أحدًا، أعدت وجهي محله مرة أخرى فتفاجأت بوجود (أدهم) أمامي، صرخت خوفًا، فابتسم وهدأني وانحنى إلى مكتبي قائلًا: خلصتي الإيصالات الواردة بتاعة النهاردا؟

- أيوا خلصتها.
- قريتي رسالتي؟؟
- قريتها.
- وعجبتك؟
- حضرتك عايز مني إيه؟؟
- عايزك تكوني صديقتي وحبيبتي وكل حاجة حلوة في حياتي.

سكتُّ والصمت يغمرني وكأن لساني قد عُقد ولم أجبه بحرف، فقال مُتذاكيًا: أعتبر سكوتك دا علامة رضا؟

نظرت له بقلق وأومأت بالرفض، نظر لي في يأس ورد قائلًا: أنا مش هعطلك عن شغلك، أنا هكون في مكتبي لو احتجتي حاجة.

مضى من أمامي فندمت على ذهابه، ولكني فضلت عدم ردي عليه، جاءت زميلتي (سوزان) من مكتبها قائلة: شكل المدير المغرور مُعجب بيكي يا (سمر)؛ امبارح هدية والنهاردا جاي مكتبك يطمن عليكي، ما تعرفيش ليه بيعمل كدا؟؟

نفيت ما يدور في بالها، فقالت لي: صدقيني يا (سمر) أنتِ هتكوني زي أي بنت علقها مديرنا المغرور وبعدين سابها عشان يروح يتسلى بغيرها.

نهتني (سوزان) عن التحدث مع (أدهم) خوفًا على مركزها؛ فهي سكرتيرة المدير، تخشي أن آخذ مركزها وأن أحتل مكانتها في قلب (أدهم)، ضحكت على أفكارها الساذجة وطمأنتها أنني لا أهوى وجود ذلك المدير بجانبي، وأثبت لها ذلك بعدم ردي على طلب (أدهم).

جلست على مكتبي أعمل إلى أن قارب يوم العمل على الانتهاء، ليذهب كل فرد في العمل إلى عائلته، أتى مديري المغرور وهو يزفر أنفاسه بشدة وبيده بعض الأوراق يُقلب صفحاتها وقلمه المفضل معلق فوق أذنه.

دخل المكتب على عجل قائلًا: ما حدش يمشي، النهاردا في شغل كتير وتسليم طلبيات لكذا شركة تانية.

ردت إحدى الفتيات قائلة: بس حضرتك أنا لازم أمشي عشان أهلي ما يقلقوش عليا.

رد بعصبية وبأسلوب متعالٍ: أظن يا آنسة في اختراع اسمه تليفون، دا تكلمي منه أهلك وتطمنيهم على سعادتك، كلكوا لما جيتوا تشتغلوا هنا عرفتوا قواعد وقوانين الشركة، ومن قوانين الشركة يا آنسة إنك تنفذي كلام مديرك حتى لو كان غلط.

أمر الجميع بالعودة إلى عملهم وغادر المكتب هو ونظراته الحادة التي أرعبتني، والتي لم أعتد رؤيتها من قبل ممن يحيطون بي، للمرة الأولى أري إنسيًّا بهذا الشكل، تحمر إطارات جفونه وتتسع فور غضبه، وصوته العالي الذي يدب في أرجاء المكان يجعل قلبي يهتز فزعًا من

مكانه، على الرغم من تودده المستمر للفتيات، فهو لديه شخصية حازمة قيادية ناجحة، يدير العمل بطريقة لا تجعل لخطأ واحد بابًا في شركته، ولذلك فإن شركته تعد من أنجح الشركات في مصر والشرق الأوسط.

انخرط الجميع من حولي في عملهم ولم يتحدث أحد؛ فالكل لديه عمل يُنجزه، فلن نذهب لمنازلنا دون الانتهاء من ذلك العمل، سمعت صوتًا يأتي من بعيد، صوت صراخ، وكأن هناك من ينهر أحدًا، تبع ذلك الصراخ صوت مُجادلة، فخرج الجميع من مكاتبهم ليروا ما حدث، ظللت جالسة مكاني لأنهي عملي، فلم يتبق لي سوى إنهاء القليل من الأوراق وأستأذن بالرحيل لمنزلي، وجدت زميلتي (آية) تقول لي بحسها الفكاهي: خليكي كدا قاعدة يا عباد الله، لا تؤذونا ولا نؤذيكم.

سألتها عما يحدث بالخارج، فقد كان الصوت يتعالى شيئًا فشيئًا، ردت قائلة: (سوزان) لخبطت ورق العملاء مع بعضه، وكدا الطلبيات مش هتروح مكانها، وبسببها أدينا قاعدين لغاية لما نعدل كل حاجة ونبعت الطلبيات من تاني، يعني هنشتغل شغل الأسبوع كامل في الكام ساعة دول.

رن هاتفي، رفعت رأسي بعد ساعتين من التحديق في تلك الأوراق أمامي، فوجدت أمي تتصل لتطمئن عليَ، فأخبرتها بما حدث وأنني سأتأخر، وأمرتني بأكل شيء حتى لا أفقد توازني، أغلقت الخط مع والدتي، وجدت (إسماعيل) صديق مديري المقرب يفتح باب المكتب ويقول بصيغة الجمع: يا جماعة المدير عامل اجتماع دلوقتي وعايز كل الموظفين يكونوا هناك حالًا.

أخذ الجميع يغلقون دفاترهم التي أمامهم ويتحركون في عجل للحاق بذلك الاجتماع، ففي كل اجتماع آخر من يدخل مكتب المدير يُخصم مبلغ من راتبه، وقد يُطرد من الشركة بصورة نهائية.

رتبت مكتبي وذهبت وطرقت الباب بهدوء ودخلت، وجدت المكتب يعج بالموظفين، وعلى الرغم من تزاحم الأجساد بذلك المكتب فإن السكون يملؤه خوفًا ورهبةً من ذلك المُدير الذي يجلس على كرسيه الكبير والذي لا يُظهر سوى ذراعيه، يُحرك قلمه بين أنامله، يتحدث و يُعنف الجميع دون أن يُرينا وجهه حتى، بدأ يسأل كل موظف عن ماهية عمله، وكلما أجابه موظف رد بقسوة بالغة تكاد تسخط من يقف أمامه، كنت أقف والقلق يملؤني، يداي متشابكتان ببعضهما وتتعرقان، كنت أخشى ذلك الصمت الذي يحدث عندما يتحدث معي، فقط أتلعثم أو أصمت تمامًا، كنت أقف وأنظر إلى يميني، وكُلما اقترب دوري للكلام شعرت وكأني أود الرحيل، ولكني لا أملك خيارًا آخر سوى الوقوف لأسمع إهانات ذلك المدير المغرور لجميع من حولي حتي يأتي دوري، وبالفعل بعد خمس دقائق تقريبًا من دخولي للمكتب وجدت دوري قد أتى.

ـ (سمر)، خلصتي السجلات الواردة النهاردا والشغل اللي بوظته الهانم؟؟

أجبته بهدوء: أيوا حضرتك.

ضرب على مكتبه بيده بقوة أفزعتني وقال: علي صوتك مش سامعك.

أجبته باندفاع: أيوا حضرتك خلصتها، وفاضل أربع ورقات بس حضرتك تمضي عليهم.

أومأ رأسه بإعجاب ولكنه لم يعقب ولم يُبال، وأخذ يسأل ما تبقى من موظفين بالمكتب عن إنجاز ذلك العمل الذي لا زلنا بسببه داخل الشركة إلى الآن.

بعد انتهاء (أدهم) من أسئلته نظر لي دون أن ينطق بكلمة وابتسم، تذكرت تلك الابتسامة التي كانت في حلمي البارحة، انقبض قلبي ونظرت له في خوف، أمرني أن آتي لأقف بجانبه، تملكني الخوف وارتبكت نظراتي، ماذا يريد مني ذلك المغرور؟

- من النهاردا (سمر) هتكون سكرتيرة مكتب المدير وعضو مجلس إدارة في الشركة، و(سوزان) هانم هتنزلي السجلات تحت وبدون نقاش، يلا كل واحد على مكتبه.

تحركت من مكاني لأذهب لمكتبي، فنادي باسمي يأمرني بالانتظار، تسمرت قدماي مكانهما على الأرض وقلبي يرتجف خوفًا من ذلك القرار الذي أخذه دون إخباري به مسبقًا، كيف لي أن أجلس مع ذلك المدير طوال الوقت؟ قد ينهرني، وقد يعلو صوته، وقد يجعل مني أضحوكة أمام جميع من بالشركة كما فعل مع (سوزان)، فقررت أن أعتذر بهدوء عن المنصب دون أن أخرج ألفاظه وعصبيته عليَّ.

- (سمر)، هاتي حاجتك من مكتبك القديم واستلمي شغلك حالًا في مكتبك الجديد.
- حضرتك أنا كنت عايزة أقول حاجة، حضرتك أنا..

لاحظ توتري وارتباكي فقال: تقدري تفكي إيدك من بعضها وتتكلمي، أنتِ مش في ابتدائي ولا أنا مدرس الفصل وهضربك.

تفاجأت من رعونته وطريقة كلامه الفظة، ولكنه لا يزال ينتظر الرد، فقلت: حضرتك أنا مش كفء لدرجة إني أمسك السكرتارية، ودا هيكون صعب عليا، و(سوزان) تعرف كتير عن الشغل وهي أحسن مني.

رفع حاجبيه باستهتار ووقف من على كرسيه واقترب مني قائلًا: (سمر)، أنتِ هتمسكي السكرتارية، ودا مش اختيار، دا إجبار، لإني أنا عارف مصلحة شركتي فين، وبصراحة أنتِ فاجئتيني، أنتِ الوحيدة اللي خلصتي شغلك كامل على الرغم من إن كله كتابة وجداول ومحتاج تركيز، وانتِ أكيد تهمك مصلحة الشركة بتاعتي، ولا إيه؟؟

أجبته وأنا أنظر للأرض: طبعًا حضرتك.

- (سمر)، من أولى القواعد إنك تكوني سكرتيرة ناجحة إنك تكلمي مديرك وعينك في عينه، وتاني قاعدة إنك تبتسمي في وش العميل، وباقي القواعد هتعرفيها مع الوقت.

أومأت بالإيجاب لأنهي ذلك الحوار، ذهبت لمكتبي لأحضر حقيبتي وبعض الأغراض المكتبية، أخذت أشيائي وذهبت لمكتب السكرتارية أمهد لعقلي لاستلام العمل، ليس بالشيء السهل أن أعمل بجانب ذلك المدير، كيف لي أن أتحمل بذاءته وعصبيته الزائدة؟ كيف لي أن أفهم عقله وأتحمل ميزاجيته؟ كيف سأجاريه في الحديث إذا أخطأت في العمل كما فعلت (سوزان)؟ فكلنا بشر وكلنا نُخطئ، لسنا بملائكة مسخرة لتنفيذ الأوامر كما طُلبت منا تمامًا، ماذا لو رحل أحد العملاء بسببي؟ ماذا سأفعل؟ سيقتلني (أدهم) بالتأكيد ويلقي بي خارج شركته.

- إوعي تفتكري إنك هتاخدي مكاني، ما تخافيش أنا هرجع هنا تاني عشان أنضف المكتب من الزبالة اللي هتبقى فيه.

قالتها (سوزان) بفاه واسع فور دخولي مكتب السكرتارية وهي ترمقني بنظراتها الحقودة، وكأني سرقت مكانها عنوة، تحملت كلماتها القبيحة لأكثر من مرة، ولكن طفح الكيل، فقلت لها دون اهتمام: وأنتِ بتنضفي المكتب تبقي تجيبي جردلين مياه وتمسحي الأرض.

نظرت لي بخبث وقالت: اسمعي يا حلوة، لعبتك انكشفت خلاص، بنت فقيرة زيك لازم تحاول تتقرب من واحد زي (أدهم).

- ممكن أكون فقيرة بس متعلمة واستاهل المكان دا زيك بالظبط، و(أدهم) مديري وبس، فيا ريت الكلام دا ما يتكررش تاني وإلا هبلغه.

جمعت أغراضها بعنف وذهبت لباب المكتب والتفتت وقالت عبارة لم أفهم مقصدها: بكره نقعد جنب الحيطة ونسمع الزيطة.

لم أعرها اهتمامي لما قالته، فهي لا تعلم أنني لا أريد هذا المنصب، ولا أريد أن أكون سكرتيرة (أدهم)، ولكن ما باليد حيلة.

جلست على مكتبي الجديد وفتحت أدراجه فوجدت أوراقًا هنا وهناك مبعثرة في جميع الجهات، الملفات غير مكتملة وليس هناك ورقة بمكانها الصحيح، وهذا قد يجعل العمل ينهار، وقد يجعلنا نعمل حتى وقت متأخر لشهر تقريبًا.

رتبت الأوراق في سجلاتها وأخذت أكتب أسماء العملاء وأسماء الشركات على أشرطة لاصقة لأضعها على الملفات ليصبح كل ملف معروفًا باسم الشركة والطلبيات التي يريدونها، أنار ضوء أحمر صغير من ذلك الهاتف الموجود على المكتب، ثم أطلق صافرة فتشتت تركيزي، لم يخبرني أحد عن تلك الصافرة، سمعت صوت (أدهم) يقول: (سمر)، تعالي مكتبي حالًا.

علمت أن تلك الصافرة هي لتنبيهي إذا طلب مديري شيئًا أثناء العمل، ذهبت لمكتبه وطرقت الباب، فأمرني بالدخول وقال لي برقة: أنتِ تعبتي النهاردا، لو عايزة تروحي عشان ترتاحي.

أطلقت العنان للساني أخيرًا لأحدثه وقلت: حضرتك أنا لسه ما خلصتش ترتيب مكتبي، فيه شوية هرتبهم وأرجع البيت بس عشان الشغل ما يتراكمش عليا بكره.

نظر لي بعينيه الساحرتين وابتسم في ذهول ولا أعلم مصدر ذلك الذهول، وقال وهو يسحب شفتيه بين أسنانه كالطفل: شكلي هحب الشغل معاكي، هسيبك تخلصي شغلك عشان ما تتأخريش.

ذهبت وأغلقت الباب خلفي ووجهي يتصبب عرقًا ولا أعلم لما الخوف! فيجب علي اعتياد الأمر، لا أعلم ما سبب وجود ذلك الارتباك فور رؤيته، لما أشعر وكأني ذلك الطالب الفاشل الذي يجلس في ركن الصف الأخير يقضم أضافره خوفًا من ذلك المعلم الشرير الذي يحمل العصا وينتظر اصطياد إجاباته الخاطئة، لما لا أتقبل أنه شخص عادي كأي شخص أعرفه؟ لما أهاب وجوده؟ لما تنقبض عضلة قلبي فور رؤيتي أو سماعي لصوته وكأن (البُعبع) قد أتى؟

رجعت إلى مكتبي الجديد وأخذت أرتبه بدقة، وعندما انتهيت حملت حقيبتي وذهبت لمكتب (أدهم)، طرقت الباب ولم يجب، فطرقته مرة أخرى فوجدته يفتح الباب ويقول وهو يضرب بيده على جبهته في غضب: هو أنتِ؟ أنا آسف، نسيت أقولك لو خبطتي الباب وما ردتش عليكي يبقى أنا مش فاضي، وإذا كنتِ عايزة حاجة في الشغل في تليفون على مكتبك اضغطي على الزرار الأحمر وهيوصلك بيا.

- معلش أنا آسفة.

- أنا عارف إن الموضوع صعب عليكي، بس هتعرفي كل حاجة مع الوقت، وحاولي تسألي البنات اللي حواليكي، هتعرفي حاجات كتير عن الشغل وعني.

أومأت رأسي بالإيجاب واستأذنت للرحيل وذهبت، لم أخطُ سوى خطوتين تقريبًا حتى نادى قائلًا: (سمر)، استني لحظة بعد إذنك.

- أيوا حضرتك، في حاجة في الشغل؟

ابتسم مستهزئًا لتفكيري الدائم بالعمل ورد قائلًا: سيبك من الشغل شوية، أنتِ ساكتة ليه؟ أنتِ على طول هادية كدا؟ على الأقل ارفعي عينك ليا وأنا بكلمك.

رفعت عينيَّ لأرى عينيه التي كادت أن تلتهمني بسحره، فابتلعت ريقي ونظرت إليه بغرابة أدقق في ملامحه، فابتسم متعجبًا تلك النظرة، انتبهت فشعرت بإحراج، فاستأذنت للرحيل.

عدت إلى منزلي وأخبرت عائلتي بما حدث معي طوال اليوم وأعلمتهم بسبب تأخيري، وتفاجأ الجميع بمنصبي الذي بلغته اليوم

بالشركة، تكللت السعادة في منزلنا وفي قلب أبي الذي قال إن هذا من تدبير الخالق ليعوضه عن عمله الذي فقد، إلا أن أمي ظلت ترمقني بنظرات لم أفهمها، فقط هنأتني ولكن لا أعلم فيما تفكر!

مع انشقاق أول لمحة خيط أبيض للسماء استيقظت وأديت صلاة الفجر ورتبت غرفتي، وجدت وقت العمل قد حان، ارتديت ملابسي ونزلت على ركبتي لأقبل رأس والدتي لتدعو لي بجملتها الدائمة الناعمة "روحي يا بنتي ربنا يصب الرزق عليكي صب وييسر لك كل صعب".

ذهبت لألحق بذلك الباص الذي اعتدت ركوبه في ذلك الوقت من صباح كل يوم تقريبًا، دخلت إلى عملي وجلست على كرسيّ أنتظر طلبات العملاء، وأخذت أنظر للمكتب الجديد من جميع زواياه وأتأمل دعاء والدتي لي يوميًّا، فهل ذلك الخير الذي أنا فيه الآن بسبب دعائها؟ صدقًا من كان له أم تدعو له انفكت عقد حياته وتسربلت، فيا رب، أدم لي أمي واحفظها من كل مكروه.

تفاجأت أثناء تفكيري بمن يفتح ذلك الدفتر أمامي ليضع به ورقة بمائتي جنيه، نظرت له فوجدت رجلًا يرتدي بذلة كحلية اللون، يتدلى كرشه أمامه، تكاد أزرار قميصه أن تنقطع، نظر إلي وابتسم ابتسامة صفراء وهو يشير بعينيه إلى تلك الورقة النقدية وقال: صباح الخير، دي حاجة بسيطة عشان تدخليني قبل الناس دي.

- معلش يا فندم، التزم بدور حضرتك؛ كل الناس دي قاعدة مستنية دورها زي حضرتك بالظبط.

نظر إلي في غضب وسحب تلك الورقة النقدية ووضعها بجيبه وذهب ليجلس مكانه، وأخذ ينظر إلي وكأنه يريد ابتلاعي في كرشه السمين قضمةً واحدة.

جاءت سيدة عجوز وطلبت مني أن تدخل للمدير، وكان هناك عميل في مكتب المدير، ولكن تلك السيدة أثارت عطفي وحناني؛ فقمت من مكاني وذهبت، طرقت الباب، سمح لي بالدخول، قلت له بهدوء وفي تردد شديد: حضرتك في ست عجوزة قاعدة برا ومش هتقدر تستنى، لو ينفع حضرتك تدخلها، دي حالة إنسانية.

- أولًا ما اسمهاش ست عجوزة، إحنا مش قاعدين في عيادة يا سمر، وثانيًا هي عميلة، والعميلة تستنى دورها زي أي حد، فهمتي؟؟

أومأت برأسي وذهبت متجهة نحو الباب، فنادى قائلًا: (سمر)، الساعة ١١ دلوقتي وقهوتي المفروض تكون في المكتب الساعة ٨، قولي للعامل يحضرها وهاتيها على مكتبي حالًا.

خرجت من مكتبه وأغلقت الباب بهدوء وأنا ألوم نفسي على دخولي من البداية لأسمع تلك النبرة الحادة، وجدت تلك السيدة العجوز تقف باسمة الثغر وتوجه كلامها لي قائلة: ها يا بنتي، وافق إني أدخل؟

نظرت لها بيأس وحركت رأسي يمينًا وشمالًا لتدل تلك العلامة على رفضه طلبها.

كانت تلك السيدة مريضة بمرض عضال ولا يوجد هناك من يخدمها، لا زوج يُعيلها، ولا أبناء يعينونها لسد احتياجاتها، بالإضافة إلى أنها تمسك بعصا صغيرة تتكئ عليها، وتمسك بمنديل وتضعه على فمها

لتخفي قطرات الدماء الصغيرة التي تخرج من فمها أثناء سعالها، ولذلك أثارت عطفي ورحمتي تجاهها؛ فأنا عادة ما أحب مساعدة كبار السن.

اختفت ابتسامة تلك السيدة العجوز عندما علمت بعدم قبوله طلبها، وهي لا تقوى على الانتظار نظرًا لسوء حالتها، فقالت بحزم بعد أن تغير ماء وجهها إلى العبوس والزمجرة: إوعي كدا أنا هدخله واشوف هيعملي إيه، أنا هموت وأنا واقفة.

رفضت إدخالها بسبب عصبية (أدهم) الزائدة ذلك اليوم بسبب ضغط العمل، دفعتني بيدها بقوة عن باب مكتبه، فلم أصدق أن تلك القوة قد تكمن في تلك السيدة العجوز النحيلة التي أضعفها التعب، سحبَت مقبض الباب لأسفل ودخلت مكتب (أدهم)، فلحقتها للداخل، فوقف (أدهم) من مكانه وبدأ يلومني على إدخالي لها، وأنه يعمل ولا يُحب الإزعاج أثناء عمله، فأمسكت بيد تلك العجوز برفق وقلت لها بلين: تعالي يا ماما اقعدي برا، ولما ييجي دورك هدخلك، بعد إذنك اتفضلي معايا.

لاحظ (أدهم) توسلي لها لتخرج من مكتبه، لا مخاطبتي لها بصيغة الأمر؛ أقام كرسيه بقوة وأبعده للوراء وأتى ووقف أمامي وأخذ ينهرني بكلماته القاسية قائلًا: أنتِ عمرك ما هتكوني سكرتيرة ناجحة بالطريقة دي، الناس اللي زي كدا بتقفي قدامهم بعين بجحة وبترفضي طلبهم، وخصوصًا إذا كان مديرك هو اللي أمرك.

نظرت له في عجب وهو ينتظر مني أن أرفض طلب تلك العميلة العجوز التي تظهر عليها علامات شحوب الأموات في وجهها، نظرت له أستسمحه لينفذ طلبها، فقال في غضب: آنسة (سمر)، تحبي أعلمك ازاي ترفضي طلب عميلة ولا هتنفذي الأوامر زي الشاطرة؟

نظرت لتلك السيدة نظرة المغلوب على أمره، تملكني الخوف بسبب نظرات (أدهم) القاسية، كان خوفي كخوف فريسة من مُفترسها، فقلت لها على استحياء وأنا أنظر للأرض: معلش يا ماما اتفضلي معايا.

ضحك (أدهم) بسخرية لطريقتي البسيطة في التعامل معها، فلم أشعر سوى بيد تلك العجوز تصفعني على وجهي لتخدره بأكمله وتبكي بشدة وكأني أنا من رفض طلب إحضار ذلك الدواء النادر لها! ألقت بعصاها على الأرض ورفعت يدها للسماء بعنف وغضب شديدين، هزت المكان بكلماتها غير المفهومة، وكأنها تُلقي بتعويذة على كلينا.

لم يهتم (أدهم) لها ولكلماتها التي أدخلت الذعر على جميع من حولنا، ولكنه أمسك بيدي للمرة الأولى وقال بدفء: (سمر)، أنتِ كويسة؟؟

طمأنته أنني بخير وأنه لم يحدث شيء، لفت كلام تلك العجوز انتباه (أدهم) وبدأ ينزعج وأخذ يُنادي رجال الأمن ليأخذوا تلك العجوز ويلقوها بالخارج، أمسك رجلا الأمن بيديها كلتيهما وأخذا يُبعدانها عنا، وعندما وصلت مُتزحزحة بقسوة من يدها إلى باب المكتب وقفت ونزعت يدها من أيدي رجال الأمن وقالت بعض الكلمات غير المفهومة، قد تكون عبرية أو إغريقية، لغة غريبة قديمة لا أعرفها، على الرغم من دراستي لخمس لغات أجنبية، ولم تكن تلك اللغة واحدة منهم.

نظرت تلك السيدة ليد (أدهم) التي أمسكت بي بحنان ليطمئن عليَ، وأخذت تصرخ بقوة وكأنها تهددنا قائلة: بكره تبقي أسيرة سجنه ويحبسك في قفص، هتتخيلي إنه من خيوط حرير، لكن في الحقيقة هتكوني وقعتي في شبكة عناكب كبيرة، وخيوط الحرير دي هتدبحك

بسهولة، ومش هترتاحي من ألم دبحك غير بعد موتي.

كانت رسالتها تحذيرية شديدة أخافتني، فنظرت لـ (أدهم) في خوف، فربت على كتفي بحنان وقال: أنتو مستنيين إيه؟ طلعوها برا.

خرجت تلك العجوز من المكتب أخيرًا بعد أن جمدت الدماء في عروقي وحركت مفاصلي رعبًا، أولًا لشكلها المثير للشفقة، وثانيًا لاضطهادها المُذري والذي لا ذنب لي فيه، ولكلماتها التي باتت راسخة في خيالي لتكون مصدرًا لرعبي طوال اليوم، أواصل العمل وبالي مُشتت في تلك السيدة العجوز، والتي لم أفهم كلماتها المتوارية.

بعد انتهاء الغرفة من العملاء المنتظرين قارب اليوم على الانتهاء، تفاجأت بـ (أدهم) يفرقع أصابعه ليلفت انتباهي وأنا أضع يدي على وجهي بتيه، قال لي: لسه بتفكري في كلام الست المجنونة دي؟ معذورة هي ما تعرفش هي دخلت مكتب مين ولا كانت بتتكلم مع مين، ما تعرفش بحر الشركات اللي عندي، وبصراحة الموضوع مش مستاهل، عادي، عميلة وراحت ييجي غيرها.

- حرام عليك دي كانت تعبانة جدًّا وكانت محتاجة العلاج، وما فيش حد يساعدها، دي هتموت بجد.
- هي صعبانة عليكي بعد ما ضربتك وأحرجتك؟! أنا لو مكانك كنت كسرت دراعها، على فكرة هي مش مجنونة، أنتِ المجنونة.

وقفت من على الكرسي وقلت بحزم: أستاذ (أدهم)، ما كانش في حاجة هتحصل لو كنت دخلتها وأخدت طلبها بسرعة بدون مشاكل، وعلى فكرة أنا مش مجنونة، أنا عندي إحساس، والست دي كمان مش

مجنونة، هي تعبانة ومحتاجة العلاج، وحضرتك بصراحة لازم تظهر شوية تواضع.

قلت تلك الجملة دون أن أهابه، كنت أشتعل لما حدث اليوم، سكت مُستغربًا ردة فعلي وصوتي الذي ارتفع عليه للمرة الأولى، وعينيَّ اللتين لم تنزلا إلى الأرض للحظة، سكت برهة ورد قائلًا: خلاص اهدي مش قصدي أضايقك، أنا آسف، تعالي نغير الموضوع، إيه رأيك؟؟

نظراته الحانية ذكرتني برسمتي التي رسمتها في صغري، اعوجت رقبتي في ذهول لأتأمل خلجاته، فنظر لي وكأنه يقول: هل تهزئين بي؟

أفقت من تأملي ورفعت رأسي وقلت: خلاص ما حصلش حاجة.

- (سمر)، أنتِ شكلك تايهة من ساعة ما شوفتي الست دي، إيه رأيك ترجعي البيت ترتاحي عشان بكره يوم صعب؟
- ليه حضرتك؟؟
- لإن بكرة فيه جرد، وأنتِ لسه جديدة فأكيد هيكون يوم صعب عليكي، هاتي رقم تليفونك.

قلت بثقة: معلش أنا ما اقدرش اديهولك.

ظل ناظرًا لي بعدم تفهم دون أن يُلقي بأي كلمة، أحس بجديتي في عدم رغبتي في إعطائه رقم هاتفي، قال موجهًا أسهم عينيه اللتين تلمعان لأرى ذهولي فيهما: (سمر)، أنا مش هاخد رقمك أوزعه يا بنتي، أنا عايزه عشان ابعتلك رسالة لما ارجع البيت أعرفك فيها هنعمل إيه بكره، لإني متأكد إنك هتلخبطي الدنيا، وأنتِ عارفة إن أهم حاجة عندي الشغل ما يخربش.

ـ معلش حضرتك، أنا ممكن استنى وتفهمني طبيعة عملي هتكون ازاي بكره.

ـ طبيعة عملك؟ أنتِ حرة يا ستي.

أخذ يُعلمني بعض الأشياء التي يجب علي فعلها غدًا، بعد انتهائه استأذنت للرحيل وذهبت إلى منزلي، وجدت والدتي تُحضر الغداء وأبي يجلس في صالة منزلنا، ناداني فور رؤيته لي، جلست بجانبه فسألني عن حالي وعن العمل وعن تلك الهدية التي أحضرها (أدهم) لي منذ فترة.

أبعدت نظري عنه لأرى أمي في المطبخ، فأشاحت بنظرها عنا وكأنها لم تسمع شيئًا، فعلمت أنها من أخبره بما حدث و بما قرأته في دفتر اليوميات، قصصت على أبي ما حدث وأني أعدت الهدية إلى صديقتي (شمس)، وأنني لم أرها منذ فترة لانشغالي في العمل، طمأنت والدي بأن (أدهم) شاب لطيف ومهذب، فعلى الرغم من مغازلته للفتيات فإنني لا أرى تلك المغازلة في تعامله معي، أرى فقط الخوف والحرص الدائمين على عدم إتلاف مشاعري، على الرغم من عصبيته وتباهيه الزائد، فإنه يحد من تلك الأشياء ويكبح خروجها فور رؤيته لي، فهو شخص قادر على التحكم في تصرفاته وضبطها بصورة غير عادية.

دائماً ما يشعرني بأهميتي في حياته، وكأنني شيء مقدس يسعى لإرضائه على الرغم من تعاليه وشعوره بالعظمة المتناهية، وتصرفاته القاسية تجاه جميع من حوله، فهو لا يهمه احترام لكبير أو عطف على صغير، فقط يهمه العمل، مُتعطش دائمًا للارتقاء بعمله، غريب الأطوار أحيانًا، لطيف ورقيق أحيانًا أخرى، يتملكه الغرور ليصبح طاغية مُرعبة، وعلى الرغم من تلك الصفات الموجودة به والتي لا يتحملها بشر، فإنني

شعرت بوخزة في صدري فور رؤيتي له، فهل يُسمى ذلك بالحب؟؟

لمَ تغيرت نظرتي إليه بهذه السرعة؟ كنت أبغض الحُب ورومانسية الرجال وتوددهم الزائف، فلا أرى في حياتي فتاة أُغرمت بشاب ولم تقع في مشكلات وهموم تأتي عليها كالعاصفة لتغرقها في عالم الحياة النكدة، والتي لا تخرج منها سوى بثلاثة: إما موته، أو موتها، أو الانفصال، نعم الانفصال، الذي يسميه البعض بمدمر العلاقات وهادم الكيان الأسري، ولكن في بعض الأحيان يكون هو الحل الأمثل ليعيش كلا الطرفين حياة هنيئة، أو بمعنى أصح طرف واحد، غالبًا ما يكون الطرف الخاسر هو تلك الفتاة التي كانت كعود الزان فأصبحت كـ (الخزان)! غالبًا ما تكون تلك الفتاة التي كانت تمقت مشاغبة الأطفال، فأصبحت لا تعيش بسواها، ليصبحوا أهم من حياتها، فإما أن تُضحي لأجلهم أو تبدأ بالبحث عن طريقة لضم أطفالها إلى حضانتها، قد يهمل الرجل أطفاله ويذهب للزواج بأخرى، فيتناسى أولوياته وتتكبد تلك التي كانت فتاة لا تهتم إلا بذاتها، عناء تربيتهم ومشقة حمايتهم وتعليمهم، تعددت الأسباب والانفصال واحد، ففي جميع الأحوال يكون نعمة لطرف ونقمة على آخر.

سحبت هاتفي من تحت وسادتي واتصلت بصديقتي (شمس) لأطمئن عليها، تحدثنا لساعات، وبعدما انتهيت أغلقت الخط وأطفأت نور غرفتي ووضعت رأسي على وسادتي وبدأت في تلاوة أذكاري، شعرت وكأن هناك من يُثقل روحي، فلم أقوَ على إكمالها، حاولت النوم مرارًا وتكرارًا، لكن ما زالت صورة تلك العجوز في مُخيلتي، أبحث في عقلي عن معانٍ لتلك الكلمات، ولكني لم أجد أي حلول.

أغمضت عينيَّ، وعندما فتحتهما وجدت أنني غادرت منزلي في مكان لا أعرفه! جدرانه واسعة ورائحته تفوح بعبق البخور الذي أفضله، تسللت بهدوء على أطراف قدمي حتى لا يسمعني أحد، فذهبت لغرفةٍ ما في ذلك المنزل وفتحت باب تلك الغرفة الموصدة، فلم أرَ سوى الظلام الذي أخشاه وصوت أحد يبكي بجانبي، فحاولت البحث عن أي مصدر لإنارة تلك الغرفة لأرى من يبكي، فوجدت فتاة تقول: اهربي، اهربي بسرعة قبل ما ييجي ويشوفك.

لم أستمع لكلامها وأصررت على إخراجها من ذلك المكان معي، أخذت أتحرك في خوف للأمام، وجدت ضوءًا يأتي من بعيد وكأنه ضوء لشموع، ولكن يأتي من خارج الغرفة، تتبعت صوت البكاء فوجدت فتاة تجلس القرفصاء على الأرض تبكي بشدة، لا تظهر ملامحها بسبب شعرها المسدَل على وجهها، مكبلة بجانب سرير من يديها وقدميها، اقتربت منها وحاولت تهدئتها، أزلت خصلات شعرها لأتمكن من رؤيتها، صُعقَت فور رؤيتي، صرَختْ بقوة، ابتعدت عنها بسرعة، تلك الفتاة كانت صورة طبق الأصل لي، ولكنها قد تكون من زمنٍ آخر، أنظر لها وكأنها صورتي في المرآة، لأرى نفسي بتلك الهيئة التي يُرثى لها، سمعت صوت أقدام تخطو، وكأنها تهبط من سلالم ذلك المنزل، وجدت انعكاسًا لظل رجل يقف خارج تلك الغرفة، شعرت بهبوب نار تكاد تدخل تلك الغرفة، حاولت فك قيود تلك الفتاة المسكينة، ولكن سرعان ما جاء ذلك الشخص لأرى هيئته المذرية وكأنه جان، تلفح ناره وجه تلك المسكينة لتفتك بجسدها بأكمله، نظر نحوي وكأنه دوري، صرخت باكية متوسلة له أن يبتعد عني، صرخة أفاقتني من نومي، حتى أتي جميع من بالمنزل ليروا ما الذي يحدث معي.

جاء أبي وجلس بجانبي وأعطاني كوبًا من الماء، قصصت عليه رؤيتي، ربت على كتفي وأخذ يقرأ آيات من الذكر الحكيم على رأسي، شعرت بهدوء في البداية، ولكن بعد لحظات شعرت وكأن يديه تشبه المرزبة التي تكاد تفتك برأسي، أخذت أتلوى ضيقًا أحاول إبعاد يده عني.

بعد دقائق من إصراره على إكمال قراءته فقدت وعيي ولم أشعر بنفسي إلا في صباح اليوم التالي، نهضت من مكاني أحاول اكتشاف ما حدث وكم مضى من الوقت، نظرت حولي فوجدت أختي نائمة بجواري، سمعت أمي تحدث والدي بالخارج قائلة: (سمر) حالتها اتبهدلت من وقت ما قالت إنها وقعت في الحمام، لازم نوديها لحد يعالجها.

دار حوار بينهما عني، وبدا لي أن كليهما لم ينم هذه الليلة، ولكن هل أصابني مس بالفعل؟ لكن هذه الأشياء لا تأتي في يقظتي، فقط تأتي وقت نومي، لا لن أذهب إلى أي شخص، أنا لا أعاني شيئًا، فقط سأحاول عدم النوم، سأحاول أن أظل يقظة حتى لا يتكرر ذلك مرة أخرى.

ذهبت إلى عملي وأنا في حالة يُرثى لها، فاليوم هو يوم شاق على ما أتذكر، ولا تأتي الأيام الشاقة إلا في أيام إرهاقنا، جلست على مكتبي وبدأت العمل في صمت دون أن أتحدث مع أي مخلوق، انطلقت تلك الصافرة من الهاتف، فوجدت (أدهم) يقول: (سمر)، الساعة ١٠ وقهوتي لسه ما جتش، مش عايز تأخير زي امبارح.

أحضر العامل قهوته وذهبت لأدخلها له، لاحظ سكوني فسألني قائلًا: (سمر)، أنتِ كويسة؟ شكلك تعبانة.

- لأ حضرتك أنا ما نمتش كويس امبارح.
- بس أنتِ عارفة إن الشغل النهاردا مليان.

انهمرت دمعة من عيني وأنا أنظر إلى الأرض كي لا يُلاحظها، فقال لي بصوت مصدوم مهموم: مالك يا (سمر)؟ ردي عليا!

- ما فيش أنا كويسة حضرتك.

قلتها ورحلت من مكتبه حتى لا أُخرج ما أراه يوميًّا في أحلامي منذ رأيته على أرض الواقع، شعرت وكأني كوعاء مليء بالماء، إذا أضاف أحدهم قطرة أخرى عليه خر ليوقع ما بداخله على جنباته، فإذا سألني (أدهم) عما يحدث معي سأحكي له ما يحدث معي وبدون تردد، فتلك الرؤى باتت مزعجة ومؤثرة سلبًا على حياتي المهنية والأسرية.

توالت الأيام وظللت أحبس كل ما أحلم به من كوابيس مخيفة داخل جعبتي، ولا أحد حولي يشعر بي، فبدأت أتوهم أشياء تتحرك من حولي، أهملت نفسي وكل من حولي، بدأت أتخيل كل شيء كالوحوش المُخيفة.

وجوه غريبة تنظر لي في كل وقت، أستيقظ على أصوات مُرعبة، كصراخ أحدهم بصوت عالٍ يكاد أن يقتلع طبلة أذني، فأقف في هلع وأضيء نور غرفتي دون إصدار أي صوت خوفًا من أن تسمعني عائلتي، خوفًا من أن يرسلوني لأي شخص يدَّعي جنوني، ظل (أدهم) بهيئته البشعة التي لا تنفك عن مُلاحقتي ليلًا ونهارًا، وهو لا يعلم ما يحدث معي في غرفتي ليلًا، لا يسمع ولا يرى ضعفي وانهياري.

في يوم من أيام العمل أصر (أدهم) على إيصالي بسيارته إلى منزلي، أبلغت عائلتي وصعدت معه في سيارته، بدأ يتحدث محاولًا الترفيه عني، ولكني لم أهتم، بدأ يعلو صوته وأخذ يتحدث بعصبية قائلًا: أنتِ من يوم ما الست العجوزة دي جت المكتب وأنتِ مش مظبوطة، كأنها عملتلك

عمل، في إيه يا (سمر)؟؟

لفت انتباهي ما قاله فتشتت تركيزي، هل أُصبت بمس؟ أم أصابني سحر تلك العجوز؟

التفت (أدهم) إلي وهو يقود السيارة، فرأيت رجلًا يقطع الشارع فصرخت بأعلى ما عندي من صوت: حاااسب!

كادت السيارة أن تنقلب بنا لضغطة (أدهم) المفاجئة على المكابح، اندهش ذلك الرجل العجوز وظل واقفًا إلى أن صدمته السيارة فوقع على الأرض، نزل كلانا من السيارة، نظرنا على الأرض فوجدنا بقعة كبيرة من الدماء على الأرض، ولكن لم نجد جثة ذلك الرجل، بدأت أنظر هنا وهناك و(أدهم) يقف بجانبي يضع يده على رأسه لما حدث نظرت إلى الدماء على الأرض فلفت انتباهي شيء، ضربت (أدهم) على يده فنظر إلى الدماء مصعوقًا مما يحدث، لقد تجلطت الدماء وبدأت الأرض بامتصاصها وكأن شيئًا لم يكن.

بدأت أبكي وقلبي ينتفض من مكانه، أمسك (أدهم) بيدي كلتيهما قائلًا: احنا لازم نمشي من هنا.

- بس الراجل اتقتل، كمية الدم اللي على الأرض بتثبت كدا.
- تقدري تقوليلي فين الجثة؟ والأرض شفطت الدم، يعني ما فيش دليل، حتى لو رحنا واعترفنا على نفسنا هيقولوا عننا مجانين.
- بس في راجل مات لازم ندور عليه ونوديه المستشفى.
- أنتِ مش هتبطلي تفاهة ومش هتيجي بالذوق.

سحبني (أدهم) من يدي بقوة وألقى بي داخل سيارته، أدار محرك السيارة بصعوبة على الرغم من أنها لا زالت جديدة وذهب، الظلام دامس، تتغير الطرق أمامنا ولا نعلم وجهتنا، كنت أبكي في خوف حتى صرخ (أدهم) بصوتٍ عالٍ قائلًا: اخرسي بقى حرام عليكي.

بدأت أبكي في سكون حتى أمسك (أدهم) بذراعي مندهشًا، نظرت حولي فعلمت أننا ندور بنفس المكان تقريبًا، لقد رجعنا لنفس المكان الذي صُدم به ذلك الرجل العجوز! أمرني (أدهم) بالانتظار، ونزل فلم يجد أثرًا للدماء على الأرض، لقد تبخرت تمامًا، نظر حوله ولم يجد أحدًا.

رجع إلى السيارة ووضع رأسه على مقود السيارة وهو يتأفف، شعر بالخطر فأغلق قفل السيارة من الداخل، حاولت الاتصال بوالدتي ولكن لم يُحالفني الحظ، كان الإرسال ضعيفًا جدًّا في تلك المنطقة، بدأ كلانا ينظر للآخر في خوف ولا نعلم ما الذي سنفعله، أضاء وهج من بعيد ليُتعب أعيننا، حاول كلانا التركيز فرأينا شاحنة تأتي من بعيد وذلك الضوء قادم منها، أدار (أدهم) محرك السيارة بسرعة كبيرة، ولكن لم تكن تلك السرعة كافية حتى لحقت بنا تلك الشاحنة وصدمت السيارة، ليسمع كلانا صوت تحطيم زجاجها وانفجار إطاراتها، أدركت أن لحظتي قد حانت.

فتحت عينيَّ بصعوبة كبيرة فوجدت أنني لا زلت موجودة بسيارة (أدهم)، ولست بمشفى إثر إصابتي المميتة البارحة، نظرت من حولي فوجدت السيارة على حالتها الطبيعية، لا زجاج مكسور، لا كدمات، لا شروخ ولا حتى كسور، نظرت بجانبي فوجدت (أدهم) نائمًا على كرسيه، أيقظته بسرعة فنظر لي مُستغربًا أننا لا زلنا على قيد الحياة، سألته إذا كان يتذكر ما حدث، كنت خائفة من أن تكون تلك واحدة من أحلامي

المزعجة، والغريب أنه تذكر كل ما حدث معنا.

خرج كلانا من السيارة فلم نجد أثرًا لذلك الرجل العجوز أو للدماء أو حتى لتلك الشاحنة، نظرنا حولنا فعلمنا أننا في شارع جانبي، أمعنت النظر جيدًا فوجدت مبنى بعيدًا، أشرت بيدي نحوه حتى يراه (أدهم).

نظر (أدهم) لذلك المبنى فتغيرت ملامح وجهه وقال في ذعر: أنا عرفت إيه سبب اللي حصل معانا هنا امبارح، اركبي العربية بسرعة.

ـ ليه في إيه؟ إيه اللي حصل؟

ـ اركبي وهقولك في السكة.

صعد كلانا إلى السيارة مرة أخرى، أدار (أدهم) محرك السيارة فدارت، انطلق بأقصى سرعته من ذلك المكان حتى خرجنا منه لنجد الشارع الرئيسي الذي يعج بالناس، التقط أنفاسه وقال: عارفة المبنى دا كان إيه؟؟

ـ إيه؟؟

ـ مشرحة مهجورة من زمان.

ـ لما أنت عارف إن الشارع دا فيه مشرحة دخلت فيه ليه من الأول؟

ـ ما عرفش أنا دخلت ازاي، وما اعرفش إيه اللي حصل، احنا المفروض نكون ميتين، والمفروض يكون في حد اتقتل امبارح، (سمر)، أنا هوصلك البيت دلوقتي وإوعي تجيبي سيرة لحد عن اللي حصل، واحنا الاتنين مش هنروح الشغل النهاردا، أنتِ فاهمة؟

ـ طيب لو أهلي سألوني هقول إيه؟

ـ قوليلهم أي حاجة، قوليلهم إن صاحبتك كانت عيانة وأنتِ بتي عندها، قولي أي حاجة يا (سمر) اتصرفي.

رجعت منزلي صباحًا ودخلت المنزل في هدوء كلصٍ متسلل، أغلقت الباب من خلفي، فوجدت الجميع يجلسون وينتظرون مجيئي، أبي ينظر لي بغضب وأمي تنظر باندهاش وكأني أحضرت لهم العار، سألتني والدتي: كنتِ فين يا هانم لوش الصبح؟

ـ ارتبكت وقلت في خوف: ماما.. أنا كنت.. كنـ..

جاء والدي وصفعني على وجهي فوقعت على الأرض وبدأت أبكي في خوف، وأصرخ وأنا أقول: أنتو مش فاهمين حاجة من اللي حصلت.

أمسكت أمي بكتفي بقوة وقالت: أنتِ مش شايفة هدومك متبهدلة ازاي؟ إيه القرف دا؟ طين ودم ووسخ!

نظرت إلى ملابسي التي لم أراها عندما كنت في السيارة، فوجدتها مُغطاة بأثر ما حدث بالأمس، بالفعل ملابسي مُتسخة وكأنني دُفنت من قبل في ذلك الشارع، كيف لم أرَ ذلك؟ كيف لم أنتبه؟

صاحت والدتي في وجهي، أمسك والدي بي وألقى بي في غرفتي، إخوتي ينظرون لي بخزي وأنا لا أفهم ما يجري، لم أتمكن حتى من قول الحقيقة لهم.

سمعت والدي يخرج من منزلنا، جاءت أمي إلى غرفتي فوجدتني أبكي، طلبت مني أن أحكي لها ما حدث معي منذ مكالمتي لها حتى هذه اللحظة، أطلقت لساني وقلت لها ما حدث معي بالتفصيل الممل، وفور

انتهائي صفعتني مرة أخرى على وجهي، أمسكَت بذراعي وأخذَت تهزني قائلة بأنني سأظل محبوسة في هذه الغرفة إلى أن أتعفن.

لقد ظنت أنني أهزأ بها، لم تصدق ما حدث، لم تصدق الحقيقة، ما الذي تريد سماعه؟ ما الذي تود مني قوله؟ لا أفهم لما تلك العصبية، بالي مُشتت وجسدي يؤلمني، لا يوجد وقت حتى لأخاف مما حدث البارحة، فقط خائفة من كل مستقبل آت، كل مستقبل يود الفتك بي.

جاء والدي فرِحًا وكأنه أنجز صفقة ما، وقفت خلف الباب أستمع إلى ما يقولونه، فسمعت كلمات لم أتخيل سماعها، أنصتُ بإحكام فسمعته يقول إن (أدهم) سيأتي لطلب يدي الليلة، لم أصدق الأمر، لمَ قد يتخيلا شيئًا كهذا؟ والغريب أن (أدهم) قد أثبت التهمة على نفسه ليوقعني بورطة، لأسقط من نظر، عائلتي ليأتي ويطلب يدي للزواج، لمَ قد يفعل (أدهم) هذا بي؟ إذا كان يُحبني فعلًا فلمَ فعل كل هذا؟ هل كان كل ما حدث من تدبيره وتخطيطه؟

دخلت والدتي تمسح على رأسي بفرح وتقول: أخيرًا هشوف بنتي الكبيرة وهي عروسة.

أبعدتها عني وقلت: أنتِ بتقولي إيه؟؟

قالت بغضب: (أدهم) هيجي يكتب كتابك النهاردا، ودا قراري أنا ووالدك.

- طيب وفين قراري أنا؟؟
- بعد اللي عملتيه أنتِ ما لكيش قرار، (أدهم) هيتجوزك، ودا آخر قرار.

- ودفع كام (أدهم) بيه عشان يشيل الليلة؟

ضربتني بقوة واتهمتني بالجنون وأنني لم أعد ابنتها التي تعرفها وغادرت الغرفة، جلست وحدي في غرفتي أفكر ما الذي سأفعله فور رؤيتي لـ (أدهم)، سأسأله لما فعل ذلك، وإن أنكر علمه بما حدث ليلة البارحة فلن أتردد في كسر جمجمته.

كان يعلم كل شيء إلى آخر لحظة، فلمَ رجع أبي سعيدًا؟ وترى كيف قابله (أدهم)؟ وكيف تمت مُحادثتهما؟ ربما يكون كلاهما على اتفاق، لا، كيف لي أن أفكر بهذه الطريقة؟ والدي رجل محترم، لا لم يحدث ذلك، لكن لحظة (أدهم) هو من قال لي إن ذلك المبنى كان لمشرحة قديمة وهو من كان يقود ليلًا، ربما جعل جميع من بالشركة يعملون لساعات متأخرة حتى يصل إلى غايته، ماذا إن كان ذلك العجوز معه؟ ماذا إن كانت تلك الشاحنة من تدبيره؟ ولكن كيف اختفت الدماء من على الأرض؟ وشعوري بارتطام الشاحنة بنا كان وهمًا؟ لمَ قد يحدث ذلك؟ يا إلهي سيجن جنوني، سأفقد عقلي بالفعل، ما الذي يحدث معي؟ أرجوك يا ربي ساعدني.

أتي الليل وأنا أنتظره بفارغ الصبر لأرى (أدهم) الذي يريد التقدم لخطبتي الليلة، دخلت أمي غرفتي، أخذت تُزينني وأنا كالجثة أمامها وكأنها تضع المساحيق لصنم، لم أتفوه بكلمة، لن أخشى الكلام معه هذه المرة، ليس لدي ما أخسره، رن جرس الباب فعلمت بقدومه، انتبهت أمي لتعجلي للقائه، اندثرت ابتسامتها وذهبت لاستقبال ذلك العريس هو وعائلته، تجسست من وراء الباب لأراه يدخل فاتحًا فاه، يضحك بثغرٍ واسع، يحمل باقة كبيرة من الورود ومعه عائلته متفاخرين بابنهم الرائع

ذي النفوذ والسلطة.

طلبت والدتي مني الحضور، أخذت صينية من العصير وقدمتها، أعطيت الجميع، وعندما وصلت لـ (أدهم) أوقعت عليه العصير عمدًا، قام من مكانه، فأمرتني والدتي بأخذه ليمسح بنطاله الذي بات متسخًا، ظل مبتسمًا بفخر وكأنه حقق انتصارًا عظيمًا، لم أفهم ما تقوله عيناه، ابتعدنا عن نظر عائلتينا، توقفت وسألته: (أدهم)، هو إيه اللي حصل امبارح؟

- يعني أنتِ مش عارفة إيه اللي حصل امبارح يا قلبي؟
- (أدهم)، أنا سألتك الصبح عن اللي حصل وأنت قلتلي إنك ضربت واحد امبارح وكنا هنموت، والمشرحة اللي لقيناها، إيه؟ نسيت كل الهرس دا فجأة؟
- عايزاني أعمل إيه يعني؟ باباكي جه وكان ناوي يقتلني وقالي أتجوزك، ودا بصراحة اللي بسعى ليه من زمان.
- بتسعى ليه؟؟
- آه، أنتِ عارفة إني بحبك، وأنا حاولت ألمحلك أكتر من مرة بس أنتِ دماغك صعبة حبتين.
- دماغي صعبة؟ أنت عارف أهلي عملوا إيه؟ دول بهدلوني، دول فاكرني..

قطع كلامي قائلًا: ما تعقديهاش بقى، كل حاجة بتاخد وقتها وبتعدي.

- أنت ازاي واخد الموضوع بالبساطة دي؟

هاج ودفعني إلى الحائط الموجود خلفي وضرب بكفه عليه بجانب وجهي وقال: اسمعي لما أقولك، أنتِ هتسمعي كلامي وهتنفذيه بالحرف الواحد، أنتِ هتبقي مراتي لإن أنا عايز كدا، وبعدين أنتِ هتكوني جنبي ومعايا في الشركة، وهوفرلك حياة عمرك ما اتخيلتيها، لا أنتِ ولا أهلك.

- آآآآه فهمت، يعني أنت سبب كل اللي حصل امبارح، بس ازاي خليت الدم يختفي؟ وازاي العربية اتقلبت وجبت غيرها؟ وازاي أنا نمت أصلًا؟
- ما لكيش إنك تعرفي، واتعودي ما تسأليش كتير.

خرج وذهب ليجلس معهم ضاحكًا وكأنه لم يفعل شيئًا، شعرت وكأني في دوامة مليئة بالمناوشات، لا أعلم ما الصحيح وما الخطأ، نادتني أمي فجلست بجانبها، وأخذ الأهل يتفقون على الماديات وأنا أنظر إليه في غيظ وهو يبتسم بخبث، أعلمهم أبي بادخاره لبعض المال لتزويجي، رد (أدهم) قائلًا: يا عمي أنا بصراحة شاري ومش عايز حضرتك تغلب نفسك في أي حاجة، أنا هجيب كل حاجة.

أخذ ينظر لي وعلامات الانتصار على وجهه، قام والده وعانق والدي ليدل ذلك على إتمام الصفقة بنجاح بعد قراءتنا للفاتحة، والتي تكون بداية لكل ما هو خير، ولا أظن أن بعد هذه الجلسة سيعم الخير على أحد.

- ما تتأخريش على شغلك بكره يا عروسة.

قالها (أدهم) قبل مغادرته منزلنا بعد تنفيذ خطته كما خطط لها بالضبط، حاك لي ثوب الإثم وذاع الخبر بين عائلتي لأكون ضحية أفكاره السامة، ولا أعلم ما الذي ينتظرني بعد.

صباحًا ذهبت للعمل كما أمرني والدي، فوجدت بعض الكلمات مكتوبة على ورقة بخط (أدهم) كتب فيها: (سمر)، أنا آسف بجد، اللي حصل ما كانش بإيدي، كإن في حد كان بيحركني، سامحيني أنا بحبك من قلبي وعمري ما هأذيكي، صدقيني.

انتهيت من قراءة تلك الرسالة المتناقضة مع ما فعله بالأمس، ذهبت لمكتبه، طرقت الباب بقوة ودخلت، قال لي: (سمر) حبيبتي، هو أنتِ؟ تعالي.

- أنا مش حبيبة حد، وبعدين إيه الرسالة دي؟
- اسمعي يا (سمر)، أنا لو حلفتلك إن اللي حصل ما كانش قصدي فيه أنتِ مش هتصدقي، بس أنا بقولك اديني فرصة تانية وحاولي تسامحيني، واعرفي إن مهما حصل أنا لا يمكن أأذيكي.
- أنت ضحكت عليا، أنت كنت هتهبلني، راجل مات ودم وبلا أزرق، وبعد دا كله عايزني أسامحك؟ أنت مجنون؟

صاح بصوتٍ عالٍ وأوقع كوب القهوة الموجود على مكتبه ورد قائلًا: أنا مش مجنون، أنا بس عايز فرصة تانية.

شعرت وكأنه سيفتك بي بذلك الوجه العكر وتلك النظرات الحادة فقلت: طيب هديك فرصة تانية، بس صدقني لو حصل واتكررت تاني أنا مش هسامحك يا (أدهم).

- وأنا هكون عند حسن ظنك، انسي كل اللي حصل وتعالي نبدأ صفحة جديدة.

- أنا ما عنديش مانع، بس أنا عندي طلب.
- أؤمري.
- أنا مش عايزة حد من موظفي الشركة يعرفوا اللي بينا، ولا أي حد.
- عادي جدًّا، غالي والطلب رخيص، (سمر)، يشهد ربي إنك عندي أحسن من الشغل دا كله، وصدقيني أنتِ من أحسن البنات اللي عرفتها في حياتي، على الأقل عارف إنك هتتحمليني وتتحملي مرضي.
- مرضك؟ مرض إيه؟ أنت تعبان؟
- إيه؟ آه تعبان شوية من ضغط الشغل، وكمان على ما لقيتك يا جميل.

ابتسمت على مغازلته لي واستأذنت للرحيل، ذهبت لمكتبي وجلست أفكر في كلماته، لما لا أعطيه فرصة؟ ربما أتمكن من تغيير طبعه، فمنذ معرفته بي وهو لم يُغازل أي فتاة غيري، بل يرفض التحدث إلى الموظفات بالشركة، لمَ لا يكون بالفعل عاشقًا لوجودي؟ قد يكون افتعل كل هذا لأكون فقط بجانبه، قد يرى أنني الوحيدة القادرة بالفعل على تحمل عصبيته وتعاليه الذي يثُبت وجوده، ربما يكون شخصًا طيبًا ولكنه لم يجد طريقة أخرى لأوافق على طلبه وعلى حبه الذي قد يكون حقيقيًّا، لما لا أخوض تلك التجربة بما فيها من غموض؟ لما لا أستسلم لأسير مع التيار لأرى لأي برٍ سيأخذني؟

كم كنت أود أن أحكي أحلامي وكوابيسي التي كنت ولا زلت أمر بها له، والتي دائمًا ما أرى نفسي فيها مكبلة أنظر له بانكسار ليقف أمامي باسمًا لتلتهم ناره وجهي وجسدي بأكمله، ولكن سأقيد لساني لبعض الوقت حتى لا يتحدث؛ لأرى ما الذي سيحدث من تغير في شخصية (أدهم)، وهل ستنتهي أحلامي بذلك التغير أم ستظل مستمرة، وافقت على (أدهم) وعلى طلبه، ليس لأنني أحبه فقط، بل لأتحدى كوابيسي ومخاوفي، ولأثبت لنفسي أنها أوهام لا علاقة لها بأرض الواقع.

مع مرور الوقت شعرت بشيء غريب تجاهه، أحببته بشدة، بات لي كل شيء، لا أستطيع الابتعاد عنه وكأني قطعة من الحديد تنجذب نحو ذلك المغناطيس، ليكونا جسدًا واحدًا، فاز قلبي على عقلي وبدأ يبث كل مشاعر حُبه داخل عروقي.

ترى ما الذي قد يغيره المستقبل؟ فكم من أناس رفضوا الحُب وتذوقوا طعمه على الرغم من أنوفهم، وكم من أناس دخلوا عالم العشق والهوى وتهاووا منه كالريشة التي تقع ببطء شديد من أعلى المرتفعات.

جلست على مكتبي وتناولت كوبًا من عصير الرمان الذي أفضله، هبت نسمات عليلة جعلتني أشعر بالهدوء والسكينة، وإذا بباب يتحرك، يُفتح ويُقفل، يصدر صوتًا يُقشعر أسناني بسبب قدم مفصلاته، فقمت لأغلقه فرأيت ما لم تره عيناي من قبل، رأيت جنانًا خضراء وأنهارًا تجري ونعيمًا لم يُخلق لي، فتركت مقبض الباب وأغلقت فاهي الذي تدلى من روعة المنظر، ودخلت ذلك المكان فلمست بعض الأزهار والفراشات ذات الألوان الزاهية، فتحول كل شيء فجأة إلى رماد يتطاير هنا وهناك!

تحولت تلك الجنان إلى نيران، وجفت تلك الأنهار ليتناثر فيها الدخان، سمعت صوتًا مخيفًا خافتًا في مسمعي، صوتًا يُنادي باسمي، فعلمت أنه والدي، نظرت إلى السماء فوجدته يمد يده ليسحبني وكأن هناك فوهة في السماء لتكون هي المخرج الوحيد من ذلك المكان، حاولت الإمساك بيد والدي ولكني لم أستطع، سمعت صوتًا يقهقه بشر، صوت يقول: (سمر).

استيقظت على صراخ فرأيت (أدهم) أمامي يهدئني، فصرخت بشدة ليبتعد عني، نظرت حولي أتفقد المكان فشعرت بإحراج كبير، وجدت جميع من بالشركة يحملقون في، فحاولت تهدئة نفسي، فتساءل الموظفون عن سبب ذعري وأخذ كل منهم يأتي بكوب من الماء، وآخر بمنديل، وجميع من حولي مشفقون على حالتي، منهم من ينظر بعطف ومنهم من ينظر بعين الشماتة، ولكني لم أهتم إلا لنظرات (أدهم) لأرى بهما الخوف، ولهفة شديدة وصوتًا حانيًا يسألني: (سمر)، طمنيني عليكي، بقيتي أحسن؟

أومأت برأسي لأطمئنه أني بخير.

أمر الجميع بالرجوع إلى مكاتبهم وترك زميلتي (أبرار) معي؛ فهي من أفضل الفتيات وأرقهن، تُعامل الجميع بتواضع دون تكبر، سألني (أدهم) الذي ظل واقفًا ليطمئن علي قائلًا: (سمر)، لو تعبانة تعالي أرجعك البيت ترتاحي.

نظرت له بعصبية وقلت: لأ أنا كويسة، ولو حبيت أرجع البيت هخلي أي حد يوصلني.

أبعدت وجهي عنه بغضب فضرب بيده على الكرسي الذي كان يضغط عليه بقوة كبيرة، جلست أبكي وأخذت (أبرار) تواسيني وتسأل عن سبب حيرتي وبكائي، فلم أعطها إجابة سوية، فقط قلت لها إنني مريضة.

ذهبت إلى مكتب (أدهم) ليمضي على بعض الأوراق، وعندما دخلت لم ينطق بكلمة، وعندما هممت بالخروج قال: (سمر)، تعرفي إني سألت عنك وعن أهلك قبل الموضوع دا ما يحصل؟؟

- وقالولك إيه؟؟
- قالولي إنك بنت محترمة وأهلك ناس طيبين وغلابة.
- عشان كدا استغليت إنهم غلابة عشان تتجوزني غصب عني؟
- هه، دماغك ألمظات، بتفكري زيي بالظبط وكأننا دماغ واحدة.
- لأ أنا حاولت أفكر بطريقتك بس.
- طب حلو، كدا هتفهميني بسرعة، استمري.
- أنت مستفز وأنا مش عارفة إيه اللي مصبرني عليك!

أسند ظهره إلى كرسيه الفاخر ورفع قدميه على مكتبه وقال مُتباهيًا: أنتِ عمرك ما هتلاقي حد زيي، كل المميزات فيا، وكل اللي نفسك فيه وكل اللي بتحلمي بيه هتلاقيه معايا.

لفتت انتباهي كلمة "بتحلمي بيه" التي قالها، وكأنه يعلم بكوابيسي التي أراها، وكأنه هو من يرسمها، تخيلت أن كل ما أحلم به سأجده بالفعل في حياتي معه، انقلبت صفحة وجهي للغضب، خرجت وأغلقت الباب

خلفي بقوة.

رجعت إلى منزلي، جلست وأعطيت تقريرًا يوميًّا بالكامل لوالدي ليطمئن علي، وعندما قصصت عليه ذلك الحلم وباقي الأحلام الأخرى وعن تحقيق أحلامي بشكل مستمر، نظر لأمي يُعاتبها لأنها لم تقصص عليه ما حدث معي من قبل منذ تعيني بتلك الشركة التي لا أعلم إذا كانت مصدرًا للنحس أم للحدس الذي يُرافقني أينما ذهبت، لأرى ما سيحدث معي قبل حدوثه ولكن بصورة غير مفهومة، وتُرى ما الذي سيحدث بعد حلم اليوم وكيف سيتحقق؟

حاولت الاتصال بصديقتي (شمس) ولكنها لم ترد، افتقدتها بشدة، كنا نجلس معًا نتحدث يُشاطر كل منا هموم الآخر ليستفيد كلانا من خبرات الآخر في الحياة، كانت أيامًا رائعة، أظن أنها لن تتكرر مرة أخرى، جعلت منا أحياء نرى الجميع بعين السعادة، لا هموم تنغص حياتنا، لا وجود لألم الخوف من المستقبل، كان أكبر همي السعي لكسب المال، وبمجرد وجود المال ذهبت سعادتي واختفت، حتي إني ما عدت أضحك، وإذا حدث وابتسمت يؤلمني وجهي وكأني اعتدت البؤس!

كل شخص له ابتلاء مختلف عن الآخر، ولكن يُقسمها رب الابتلاءات على قدرٍ تحمل كل فرد منا، لينال نصيبًا من الصبر، وذلك من رحمة الله بنا ليصبر كل مخلوق على شيء قد نراه بأعيننا هينًا، وقد نقارنه بحالنا فيظهر لنا وكأنه شيء لا يُذكر، ولكن يكون ذلك الابتلاء الذي تقلل من شأنه من أعظم هموم نفس أخرى غير نفسك.

لن تشعر إلا بانتشار التعاسة في حياتك، لكن سرعان ما تنقشع تلك الغمامة السوداء عن حياتك وتأتي أيام فرحك ومرحك، لتكون تلك الأيام

التي مضت جائزتك على صبرك وتحملك وعدم جزعك.

توالت الأيام في العمل وفي المنزل، أرى (أدهم)، اقتربت منه كثيرًا، حاولت التطبع بطباعه وأن تكون خصاله من شيمي، أصبحت أقلد عصبيته ومزاجيته دون قصد مني، فمن عاشر قومًا أصبح منهم وإن كان لم يكن منذ البداية منهم.

كثرت التساؤلات والهمسات فور رؤية الموظفين لكلينا عن وجود صلة قرابة أو علاقة ما تربط بيننا، ولكني أصبحت باردة كلوح من الثلج، لا أهتم لكلام أي مخلوق كان، فما يحمله قلبي أكبر، وما أراه من متناقضات بشخصية (أدهم) يزداد شيئًا فشيئًا، وكأنه كتاب مغلق يحمل الكثير من الألغاز بين طيات صفحاته.

دخلت (سوزان) المكتب في يوم مليء بالعمل لتجلس أمامي بتنورتها القصيرة على مكتبي، فعلمت أن خلف قدومها شيئًا لا يُطمئن، وضعت قدم على الأخرى وقالت بفضول ورقة لم أعتدها منها: أزيك يا (سمر)؟ عاملة إيه يا بيبي؟ أخبار الشغل إيه؟ لسه في حاجات ما بتعرفيش تشتغليها؟

خرج (أدهم) من مكتبه فوجدها جالسة بذلك الشكل الغريب ولم يقل لها شيئًا ولم يلتفت لها من الأساس، وجاء ليخبرني بأن غدًا هو اجتماع الشركات المنافسة ويجب أن أكون معه، نظرت له (سوزان) وكأنها تُعاتبه على إبعاده لها، قال جملته ورجع إلى مكتبه، وقفت (سوزان) في مكانها وقامت بتعديل ملابسها وطرقت الباب ودخلت مكتب (أدهم) وأغلقت الباب من خلفها.

أمسكت بقلمي وبدأت الكتابة وإتمام عملي وأنا أرى ذلك الباب أمامي يقف بشموخ، يقف حائلًا بيني وبينهما داخل ذلك المكتب، ليس فضولًا، ولكن لأخمد نار ذلك الشعور الغريب بداخلي، ولكن ليس من حقي فتح الباب والتدخل فيما لا يعنيني، مضت ١٠ دقائق وهي لا زالت بالداخل، لماذا يهمني الأمر من أساسه؟ فالكل يعلم بحبها له.

من تدخل فيما لا يعنيه لقي إحراجًا يؤذيه، وخصوصًا إن كان ذلك الشخص هو (أدهم).

سأظل جالسة هنا على مكتبي أنتظر خروجها، رن جرس الهاتف فقطع تفكيري العاصف، فوجدت (أدهم) يناديني، ذهبت لمكتبه فوجدت الجو هادئًا وطبيعيًّا، ولكن (سوزان) تبكي ولا أعلم لمَ ذاك البكاء، فقال (أدهم) لها بصوت عالٍ: شايفة الآنسة اللي هناك؟ هي دي الوحيدة اللي قلبي حبها فعلًا، أظن كدا ما لهوش لازمة تتكلمي معايا كتير يا آنسة، ويا ريت تتفضلي على مكتبك.

انتفضت (سوزان) من مكانها وقامت لتترك المكتب، ولكنها رمقتني بنظرات ثأر وكره قبل خروجها، فظللت واقفة مكاني، فسألني (أدهم) قائلًا: إيه رأيك؟ أديني بطلت أكلم بنات عشان خاطرك أهو.

شعرت بألم يداعب معدتي ولكني تحملته ورددت قائلة: أنت ما بتعملش فيا جميلة، دا واجب عليك.

- إيه دا؟ أنتِ ما بتعرفيش تكوني رومانسية خالص؟ أنا نفسي اسمع منك كلمة بحبك وعايزك تقوليها دلوقتي.

شعرت بدوار رهيب وألم في معدتي ينتقل إلى جنباتي بسرعة كبيرة، وكأن صداعًا أصاب معدتي، وعلى الرغم من تحملي للألم عادةً فإنني لم

أستطع هذه المرة، ظل (أدهم) ينظر لي منتظرًا إجابتي، أحسست وكأني سأقع أرضًا، ولكني تمالكت نفسي حتى لا أحرج نفسي أمامه.

قال (أدهم) في دهشة: إيه؟ أنتِ مستخسرة فيا كلمة بحبك ولا إيه يا مدام (سمر أدهم المالكي) المُبجلة؟

أجبته بصرخة عالية وألم لا أعلم سبب تواجده، أصرخ بشدة، انتفض من مكانه وجاء ليمسك بي قبل أن أقع أرضًا وأفقد وعيي.

استيقظت فوجدت نفسي بالمشفى على سريري ومن حولي شيء غريب يُصدر صوتًا يزن وكأنها آلة، فتحت عينيَّ لأرى يدي موصولة بكيس من الجلوكوز وألم ببطني لم أشعر به من قبل، وطبيب أمامي يقول: حمدًا لله على سلامتك، أخيرًا فقتي؟

حركت فكي بصعوبة كبيرة وقلت: هو أنا فين؟ إيه اللي حصل؟

- أنتِ محبوبة أوي يا آنسة، أهلك وصحابك ومديرك برا وعايزين يطمنوا عليكي بعد العملية؟

اندهشت وقلت في ذعر: عملية! عملية إيه دي؟

- ما تخافيش دي عملية بسيطة، كان عندك التهاب في الزايدة، ولولا إن مديرك لحقك وجابك المستشفى كنتِ ضعتِ، أنا هخرج وهدخل حد من عيلتك يطمن عليكي، وياريت بسرعة.

بدأ الطبيب بإدخالهم كل واحد على حدة، طمأنت عائلتي بأنني بخير وأصدقائي وزملائي بالعمل، ولا زلت أنتظر دخول ذلك الشخص الذي أنقذني، رحل الجميع ولم يأتِ ليراني بعد، أرحت رأسي لأسندها

على تلك الوسادة القاسية، فوجدت (أدهم) قد أتى، لم أهتم لأي شيء، فقط نظرت في عينيه لألمح ما بهما من قلق وخوف عليَ، سألني عن حالتي، سحب يدي من مكانها وقبلها، ابتسمت، فقال ضاحكًا: أنتِ لا عيانة ولا حاجة، دا كله عشان ما تقوليش كلمة بحبك؟

تبسمت لما قاله وحاولت تحريك يدي للأمام قليلًا لأمسك بيده وقلت بهدوء: بحبك.

هزني بقوة وكأنه لا يصدق ما قلته، فرد قائلًا: إيه؟ أنتِ قلتي إيه؟؟

- بحبك يا (أدهم).
- أخيرًا الكلمة المنتظرة، أنتِ كدا بقيتي ملكي، بس فاضل شوية إجراءات صغيرة، الفرح وكدا، بس أنتِ قومي وبلاش دلع.

كانت عيناه محملة بكثير من الكلام الذي يود قوله بدلًا من شفتيه، كلام صامت على منبت شفتيه، حبي وعشقي يزداد يومًا بعد يوم لتلك الشخصية التي أصبحت هي الكيان والأساس لأحيا هذه الحياة.

تعافيت بعد فترة وجيزة وعدت إلى عملي لأجده مُحضرًا حفلة لاستقبالي، بدأت حياتي تسير على نفس المنوال الذي مضى من قبل، أحلامي تراودني ولكني لم أعد أهتم بها، باتت تؤرقني فقط أثناء نومي ولكنها لا تؤثر على حياتي، ولا تتحقق على أرض الواقع، وهذا فقط ما أريده.

لاحظت شيئًا غريبًا لم ألحظه من قبل، بدأ (أدهم) تشغيل سورة (البقرة) في المكتب، ويرفع الصوت ليتركه طوال اليوم، تساءلت هل لاحظ (أدهم) فزعي المستمر من أي شيء كغلق الباب أو فرقعة الأصابع أو حتى إلقاء القلم على المكتب؟ هل يضع سورة (البقرة) لذلك السبب؟ ليواسيني؟ في البداية كنت أختنق لسماعها، ولكن مع الوقت اعتدت سماعها وارتاح قلبي وانشرح صدري، حتى بدأت أردد بعض الآيات منها في جميع أوقاتي، وأصبحت أحاول الهرب لأغفو لدقائق عليها بسبب قلة نومي في المنزل بسبب كوابيسي المُلحة باستمرار.

ظلت أمي تواسيني، وتُفسر ما يحدث معي بأنه بسبب ضغط العمل، أحمل أشكالًا وكلمات وأناسًا لم أعتد رؤيتهم في حياتي، دائمًا ما يكونون معي يحاولون تسهيل معاناتي، أهمهم بكلمات غير منطقية وغير مفهومة أثناء نومي أحمل تلك الأشياء في صدري دون البوح بها أو التصريح عنها، لا أنام سوى بالرقية الشرعية وسورة البقرة بجانب رأسي.

دخل ابن خالتي المهندس المعروف فسلمت عليه وسألته عن سبب تواجده منذ الصباح الباكر، فقال لي إنه يود مقابلة مدير الشركة ليتناقش معه في بناء الشركة الجديدة وتخطيطها، خرج (أدهم) فوجدني جالسة أتحدث معه، كانت نظرته لي غريبة وكأنه يود انتشالي من أمام ابن خالتي، وقفت في مكاني فقال بنبرة شديدة: من امتى بتقعدي مع العملاء كدا؟ ومش قاعدة على كرسي مكتبك ليه؟

نظر لـ(إبراهيم) قائلًا: مين الأستاذ إن شاء الله؟

- دا المهندس (إبراهيم)، حضرتك كلمته عشان تخطيط الشركة الجديدة.

ضغط على يد (إبراهيم) وسلم عليه قائلًا: ازيك يا بش مهندس؟ اتفضل، مش عيب يا راجل تيجي تقعد مع الحريم؟ هههه، ما تزعلش أنا بهزر.

ابتسم إبراهيم وقال: (سمر) مش غريبة يا أستاذ (أدهم)، هي بنت خالتي وفي حكم خطيبتي يعني ما تقلقش.

ضحك (أدهم) على كلماته الساذجة ورد قائلًا: في حكم إيه؟ يا راجل ما تقولش كدا، تعالى بس اشربلك كوباية شاي بالنعناع تعدل مزاجك.

نظر لي (أدهم) واتسعت حدقتا عينيه السوداوتان وكأنه يريد الغدر بي، نظرت له ببلاهة وحاولت إبعاد عيني عنه، فلا أود مضايقته ولا إحراج (إبراهيم)، لا أعلم لمَ قال ذلك الكلام! هل لاحظ غيرة (أدهم)، والتي بدأ يلاحظها الجميع؟ بدأ يغار من نظرات العملاء لي، وتسبب أكثر من مرة في طرد العملاء، بدأ يغار من جميع الموظفين حتى وإن كانوا زميلاتي، لا يطيق أن يحدثني أحد، وإن حدث وتحدثت إلى أحدهم عن العمل ظل يفي حالة غليان طوال اليوم كالقدح الذي جف ماؤه وبدأ يُصرصر بصوت صفيره.

انطلقت صافرة من الهاتف الذي أمامي، أمرني (أدهم) بالقدوم إلى مكتبه، دخلت المكتب فلم يُلقِ لي بالًا، ولكنه رمقني بنظرات تحذيرية غريبة وكأنه يود قتلي بعينيه القابعتين كلتيهما.

- حضرتك أنا عامل مخطط هايل لشركة حضرتك هيعجبك، هقوم اعرضه لحضرتك على الشاشة.

- ما لوش لزوم يا (إبراهيم)، مش (إبراهيم) برده؟ احنا بقينا صحاب وأخوات، وقريب هنبقى أهل، ولا إيه يا (سمر)؟؟

رددت عليه بخضوع قائلة: طبعًا حضرتك.

ابتسم (إبراهيم) ورد قائلًا بسذاجة: يبقى الشركة أنا اللي هشيل بناها، وأنا اللي هجيب العمال واظبط كل حاجة.

ضحك (أدهم) قائلًا: تشيل إيه بس يا راجل استهدى بالله، بص يا (إبراهيم)، أنا بصراحة مش هبني الشركة دي؛ أصل وشها نحس عليا وحاسس إنها فقر ممكن تغلبني أنت عارف، أنا هبيعها وبالتالي أنا مش هحتاج مهندسين.

أتى بي إلى مكتبه ليُسمعني اعتذاره عن بناء الشركة، وكأنني من أدمر مستقبله، استأذن (إبراهيم) للرحيل ومد يده ليصافحني، فنظرت إلى (أدهم) الذي كان ينظر وهو يشتاط غضبًا وحقدًا، مددت يدي وصافحته، خرج ليغادر من الشركة، حاولت اللحاق بـ(أدهم) ولكني لم أستطع؛ دخل مكتبه وأغلق الباب بوجهي بقوة شديدة كادت أن تكسره.

طرقت الباب مرارًا وتكرارًا ولكنه لم يجب، زِدت في طرق الباب حتى صرخ بصوتٍ أتذكره قائلًا بصرامة: امشي من هنا أحسن لك.

تذكرت ذلك الصوت، إنه يشبه صوت تلك الشخصية الشريرة التي تراودني في أحلامي، إذا كان صوته كصوت (أدهم) فلا بد من أن يكون قد تحول إلى شكله وهيئته البشعة.

طرقت الباب بشدة هذه المرة وبإلحاح شديد، إنني لن أذهب إلا بعد رؤيتي له، فُتح الباب ولا أعلم كيف، فوجدت (أدهم) يجلس على مكتبه بعيدًا ينفث دخان سيجارته بشدة، انتهى منها في ثوانٍ معدودة، أشعل الثانية بسرعة كبيرة وكأنه ينتقم لنفسه.

ذهبت ولمست كتفه بحنان فثار وهاج، أمسك بيدي وضغط عليها حتى كاد أن يكسرها، حاولت التحدث لأعلمه بألمي ولكنه وضع يده على فمي وقال وهو ينظر إليَّ بعينيه الحمراوتين ووجهه الذي كاد أن يتشقق على إثر عصبيته: اسمعيني كويس، أنا بكره الخيانة، وبصراحة بقى عشان نعرف نتعامل أنا ما عنديش ثقة في صوابع إديا، وأنتِ يا حلوة هتكوني مراتي، يعني لازم تحاولي تكسبي ثقتي؛ لإن اللي حصل النهاردا دا لو اتكرر أنا ممكن ارتكب جريمة، وساعتها أنتِ المسؤولة.

تركني ألتقط أنفاسي من ذلك الرعب الذي أسكَنَه داخل صدري، أتعرق من شدة الخوف، نظر لي نظرة مشفقة على حالي بأسى، أمسك بالأشياء على مكتبه وألقى بجميعها أرضًا فابتعدت عنه قائلة: اهدا يا (أدهم) حرام عليك، نظر نحوي متلهفًا خوفًا من أن يكون ذلك الزجاج الذي كسره قد جرحني فاطمأن، سحب مفاتيح سيارته وعلبة السجائر وغادر المكتب، ركضت نحوه لألحق به فنظر لي نظرة تحذيرية وأشار لي بألا أقترب منه وذهب.

ترك لي أمر شركته وذهب، كيف لي أن أتم ذلك العمل على أكمل وجه في غيابه؟ كيف لي أن أقوم بعملي وعمله بنفس الوقت؟ يُعاقبني على ما حدث؟ يحاول إرهاقي بالعمل حتى لا أفكر بغيره!

كيف لي أن أفكر بغيره وأنا أعشقه حد الجنون؟ فإذا كان مهووسًا بعصبيته وغيرته عليّ فأنا مهووسة بحبه، وذلك يحدث فقط لأنه يحبني، كيف له أن يتخيل ذلك وأنا لا أشعر بالأمان إلا بوجوده معي؟ كيف يظن بي هكذا وأنا في غيابه أتعطر بعطره حتى أتذكره في كل لحظة؟ لا أعلم كيف يفكر! ولا زال حبيبي كاللغز يصعب الوصول معه لحل لإرضائه.

لن أدع شركته تنهار أمامي وأنا أعلم أنني السبب في تركه العمل، بدأت بأخذ طلبات العملاء واستقبالهم وتدوين الملاحظات وملء السجلات وتنظيم الأوراق، كان العمل كثيرًا لأحمله وحدي على عاتقي، حاولت ألا يحدث أي خطأ، وبالفعل تم العمل وكأن (أدهم) موجود.

انتهى يوم العمل فوجدت رزمة من الورق الأصفر على مكتبه، أمسكت بواحدة منهم ووضعتها بملف بعد أن كتبت بداخلها عبارة تحمل جميع معاني "أنا آسفة".

كان (أدهم) مشتعل القلب، مفتور المشاعر، منذ خروجه من شركته هائج الفكر يحمل بين طيات قلبه الكبر والغرور والشك الذي يسمم أفكاره، مما أحدث الخلاف بينه وبين حبيبته، فعلى الرغم من حبه الشديد لها فإنه كان يود قتلها، يظن أنها قد تتركه في أي لحظة، يظن أنها لن تتقبل وجوده معها إلا لبعض الوقت لتتركه وتكون مع غيره، يجد نفسه أكثر وسامة وأكثر غنى من أي شخص، يشعر وكأنه الأفضل من بين جموع البشر.

دخل منزله ليغلق غرفته وينزع ملابسه عنه بإهمال، ويتذكر عندما لامست يدها يد ذلك الشاب فيثور ويهيج وتتسع عيناه وكأنهما حمم بركانية، فكم كان يتمنى لو يستطيع الإتيان بذلك الشاب مرة أخرى ليقطع

يده التي لامست يد حبيبته، جلس على أرضية غرفته ليغمس رأسه بين يديه ويُفكر بقهر، كيف له أن يتحمل خروجها ومعاملة الناس لها؟ فهذا يحدثها وذاك يراها، نهض من مكانه ودمر كل ما هو من زجاج بغرفته، سكت لبرهة وأتت في باله خطة شيطانية ليُبعدها عن عالم البشر أجمع حتى لا يراها مخلوق.

هدأت أعصابه وبردت نار قلبه وظل يضحك على فكره الماكر ودهائه بصوت عالٍ، وجلس يُصفق وكأنه يحيي نفسه على تلك الفكرة العظيمة.

4

ذهبت لعملي صباحًا متمنية رؤيته، بحثت عنه في كل مكان ولكني لم أجده، سألت صديقه (إسماعيل)، والذي يعرف عنه كل شيء تقريبًا، فقال إنه لن يأتي للعمل اليوم وإنني من سيتولى أمر الشركة في غيابه، لما يفعل ذلك؟ يعلم أنني لن أتمكن من إنهاء العمل ومن تولي أمر شركته لمدة طويلة، أدركت أن ذلك هو عقابه على ما فعلته، ولكني سأحاول المحافظة على العمل وعلى شركته في غيابه حتى وإن كان ذلك قد يرهقني ويؤرقني.

بدأت بالترحيب بالعمل، خرجت للصالة فوجدت عملاء كُثر لحظي العسر، ولا أعرف كيف سأتعامل معهم جميعًا، حاولت الاتصال به لأكثر من مرة ولكنه لم يجب، حاولت التحدث عن طريق هاتف صديقه (إسماعيل) ولكنه لم يجب أيضًا.

أخذ العملاء بالخارج يتحدثون عن الإهمال الحادث لهم وعن سوء الإدارة، وأنا أعمل بكد وبأقصى ما عندي، ولا أحد من موظفي الشركة يحاول مساعدتي؛ كلٌّ منشغل في عمله وأنا يقع على عاتقي تولي أمر الشركة بأكملها، بدأ الأمر يزداد سوءًا، علمت أن غروره وتباهيه ليس من

فراغ؛ فإدارة شركة بأكملها ليس بالأمر السهل.

شعرت وكأني كالطفل الذي تولى أمر رئاسة الجمهورية، تناثرت الأوراق وتكاثرت بعضها فوق بعض، اكتظ المكان بالعملاء، حاولت مكالمته مرة أخرى، وكالعادة باءت محاولاتي بالفشل.

بعثت له برسالة وكتبت فيها "عشان خاطري ارجع، أوعدك إن اللي حصل مش هيتكرر تاني، الشركة ما لهاش ذنب، والموظفين حرام ينقطع عيشهم، والشغل صعب أوي عليا، يا ريت تيجي ونتفاهم بهدوء".

سمعت صوت ضجيج بالخارج، خرجت فوجدت العملاء يشكون من سوء معاملتهم وتأخرهم على أشغالهم، فقلت بصوت يسمعه الجميع: "يا ريت يا جماعة نهدا، هاخد كل طلباتكو، المدير مش موجود بسبب شغل مهم عنده، كل واحد يلتزم بدوره وهاخد طلباتكو، ممكن الموضوع ياخد شوية وقت بس شغلكوا هيخلص، بس أنتو ساعدوني".

هدأ العملاء بعض الشيء، دخلت المكتب لا أعرف أماكن بعض الملفات في مكتب (أدهم)، كان العمل شاقًّا ولكني حاولت الصمود والتغلب عليه.

قضى (أدهم) يومه يُصارع أفكاره ويخطط لتنفيذ خطته التي دبرها ولكيفية تنفيذها، أمسك بهاتفه الذي وضعه على وضع الصامت ليرى الساعة، فوجد رقمًا غريبًا قد اتصل به عدة مرات، لم يهتم، بدا مغتاظًا فألقي بهاتفه على الأرض وأخذ ينظر له حتى أضاء من تلقاء نفسه، زفر أنفاسه بشدة وجلب الهاتف فوجد رسالة من نفس ذلك الرقم الغريب، فتحها بترقب شديد وقرأ ما فيها فعلم أنها هي من بعثت له بتلك الرسالة، انقشع الهم عن قلبه، وقام راكضًا من مكانه وأدار محرك سيارته وذهب

لشركته دون ارتداء زيه الرسمي للعمل.

زاد العمل على رأسي، ومهما أسرعت كان عملي يسير ببطء، بدأ العملاء يملون وخرج البعض منهم دون الإدلاء بطلبه، شعرت بالخوف، جاءت (سوزان) وزادت الطين بللًا، جاءت ومعها بعض الموظفين يلومونني على سير العمل ببطء، أخذت تقارن ذاتها بي وهي تضع يديها بين جنباتها قائلة: أنا لو كنت مكانك ما كانش الشغل دا كله ياخد في إيدي غلوة.

نظرت لها بضيق وختمت لها الأوراق وأنا لا أملك الوقت للرد على سخافاتها، جاء بعض الموظفين يسألونني عن بعض الأشياء التي لا أعلمها، فوضعت جبهتي على المكتب أمامي وسقطت دمعة من عيني تدل على وهني وضعفي، لا أحب إفساد أمر قد كُلفت به حتى وإن كان ذلك العمل أكبر من حجمي ومن قدراتي.

أجبتهم بأن ينتظروا في الخارج للحظة، خرج الجميع من المكتب لأنهي بعض الأشياء، أخذت أختم الأوراق وأنا أبكي، فسمعت صوتًا رغبت في وجوده منذ فترة، صوتًا اعتدت وجوده بجانبي، رفعت رأسي فعلمت أنه (أدهم)، وقفت في مكاني، طرق الباب ودخل، حدقت به بضعف ثم انطلقت نحوه دون تفكير، وقفت أمامه باسمة الثغر وهو يبتسم ابتسامة تعاتبني، فقلت له بعصبية: أنت ازاي تمشي وتسيب الشركة كدا؟ ازاي تحملني مسؤولية حاجة أنا مش قدها؟

ابتسم متعجبًا نبرة صوتي وقال في لوم: مش أنتِ السبب في كدا؟

نظرت له ولم أحرك ساكنًا، ذهب وأمسك ببعض الأوراق فرأى أنني أوشكت على إنهاء العمل برمته، فقال مبتسمًا مستغربًا نجاحي في إدارتي الشركة بدونه: أنا كنت فاكر إن الدنيا هتخرب من بعدي، أرجع ألاقيكي مخلصة كل حاجة؟ أكيد تعبتي، أنا آسف، دا كان غباء مني إني ارمي همومي عليكي.

- بس أنا وأنت واحد، وهمومك هيا همومي، وبعدين أنت مش لابس القميص الأبيض ليه؟
- عادي كنت مستعجل؟
- عشان تشوفني؟

قال ضاحكًا: لأ عشان الشغل، والحمد لله الشغل خلصان، كدا أشرب قهوتي على رواق.

- يعني كدا الشغل خلصان بجد ولا بتجاملني؟ أصل الموظفين سألوني عن شوية حاجات وما كنتش فهماها.
- عادي، أجدع مدير في بداية حياته المهنية لازم يقع.
- مدير؟؟
- آه مدير، لأ مديرة، أنتِ مستغربة ليه؟ أنتِ اشتغلتي كل حاجة صح وشغلك ما فيهوش ورقة ناقصة، أنتِ هتبقي أحسن مديرة.

كان متعمدًا إخباري بأنني سأكون مديرة لشركته في المستقبل، خرجت وجلست على مكتبي لأرتاح؛ فقد انزاح ذلك العمل عن كاهلي، جاءت (سوزان)، التي باتت من منغصات حياتي هي الأخرى، وجلست

على مكتبي، ولكن هذه المرة شعرت وكأنها تناست الباقي من ملابسها في منزلها، أخذت تمسك بخصلات من شعرها وتلفها حول أصابعها، تتشدق بعلكة مصدرة صوتًا مزعجًا قائلة: (أدهم) رجع؟؟

- أيوا رجع.

- يا وحشة وما تقوليليش؟

ذهبت لمكتب (أدهم) فوقفت في مكاني وقلت: لو سمحتِ أستاذ أدهم رفض دخول أي موظف مكتبه.

أبعدتني بيدها عن الباب ودخلت دون طرقه، فقال (أدهم) بعصبية: أنتِ من امتى بتدخلي بدون ما تخبطي؟

أخذت تتمايل قائلة بإغراء: أصلي كنت تعبانة.

- وأنا مش دكتور، اتفضلي من هنا.

انتبهت لنبرته ولتصرفاتها فقالت مترددة: أنا تعبانة وعايزة استأذن وامشي.

هممت بالخروج من مكتبه فشعر بضيقي، فقال بصوتٍ عالٍ: (سمر)، استني أنتِ رايحة فين؟

- خارجة أشوف شغلي.

- استني هنا وما تتحركيش من مكانك عايزك، (سوزان)، ما فيش استئذان، وخصوصًا أنتِ مش باين عليكي إنك مريضة لا سمح الله.

خرجت (سوزان) متأففة فقال لي: إيه رأيك؟ عشان تعرفي إني ما بكلمش بنات.

نظرت له بعدم اهتمام وذهبت لأضعه في حيرة دون التفوه بكلمة.

جلست أتصفح موقعي على الإنترنت فسمعت أخي يتحدث قائلًا بأنه سيقابل أحدهم في تمام الساعة التاسعة على الرغم من معاقبة أبي له وعدم السماح له بالخروج من المنزل لمدة أسبوع؛ لتأخره في المرة الماضية عندما كان مع زملائه.

خرجت وسألته قائلة: (أحمد)، أنت خارج؟

ـ آه ليه؟ عايزة حاجة؟

ـ خارج مع مين؟؟

ـ أد..، أنتِ مالك؟ ما تخليكي في حالك، روحي اتلخمي في أي حاجة بعيد عني.

ـ هي بقت كدا؟ ماشي يا (أحمد).

ـ يلا روحي قولي لبابا وافضحينا بقى.

كان يتحدث مع (أدهم)، أنا متأكدة من ذلك، فعندما كان يتحدث أخي على الهاتف كان خط (أدهم) مشغولًا، وعندما سألته تردد في الإجابة وكاد أن ينطق اسم (أدهم) ولكن هناك ما منعه.

تُرى لمَ يريد (أدهم) مقابلة أخي؟ لمَ يود مقابلة ذلك الشاب ذا العشرين عامًا؟ هناك شيء مريب يحدث ولكن لا أعلم ما هو، حاولت التفكير وعندما انتهيت من ذلك العصف الذهني قررت أن أسأل (أدهم)، اتصلت به فرد قائلًا: ازيك يا (سمر)؟ أخبارك؟

ـ الحمد لله تمام، (أدهم) أنت فاضي النهاردا بالليل؟؟

ـ ليه يا حبيبتي؟؟

- يعني فكرت إن احنا نخرج احنا وماما وبابا وكدا بدل الزهق والروتين اللي احنا عايشينه.
- معلش خليها مرة تانية أصلي تعبان أوي النهاردا.
- أوك تمام، صحيح (أحمد) بيسلم عليك.
- الله يسلمه، هو خرج ولا لسه عندك؟
- لا يخرج ازاي؟ أنت عارف بابا قارص عليه شوية اليومين دول.
- آه نسيت معلش، سلميلي عليه.

لم يقل لي شيئًا عن مقابلته لأخي، وعندما تذكر معاقبته تردد وتغيرت نبرة صوته، خرج (أحمد) وذهب دون إعلام أحدًا بالأمر، الساعة الثانية عشرة، تأخر الوقت، نام جميع من بالمنزل وأنا لا زلت يقظة، يسقط رأسي بإغفاءة صغيرة فأستيقظ فزعة، أنظر للساعة تتحرك ولم يأت أخي بعد.

دخل أخي المنزل مع بلوغ الساعة الواحدة، كنت قد غفوت على ذلك الكرسي أنتظره، مر بجانبي ليذهب لغرفته دون إيقاظي، فشعرت به يتحسس خُطاه، فتحت عيني وأمسكت به ففزع بطريقة غير تلقائية في البداية وكأنه لص، ولكن هدأت أنفاسه عندما علم أنه أنا.

- أنتِ عايزة إيه؟ وليه ما نمتيش لغاية دلوقتي؟

قالها (أحمد) بهدوء حتى لا يوقظ والده.

- أنت كنت فين؟
- وأنتِ مالك؟ أنت لزقة، ما تحلي عن دماغي بقى.

- أنت ازاي بتكلمني كدا؟ وبعدين أنت مش شايف شكلك عامل زي الحرامي ووشك نازل عليه غضب ربنا! أنت كنت فين وإلا هصحي بابا واقوله على كل حاجة؟
- كنت عند صاحبي، ارتحتي؟ انبطي بقى وروحي نامي عشان أنا نعسان ومش ناقص وجع دماغ.

دخلت غرفتي دون إحداث أي ضجيج حتى لا أثير المشكلات بين والدي وأخي الذي لا يعلم ما يخفيه إلا الله، حاولت النوم مرارًا وتكرارًا ولكن لم أستطع؛ أفكاري تمنعني من النوم، وقلبي لا يشعر بالطمأنينة، سمعت (أحمد) يتحدث في غرفته بصوتٍ هادئ، ولكني لم أذهب لمعرفة من يحادثه؛ فأنا بت أعرف أن هناك أمرًا يدور بينه وبين (أدهم)، ولكن ما هو؟ لا أدري.

خطرت لي فكرة انبعثت من خلايا عقلي فقررت مراقبة (أحمد) دون إخباره، دون أن أسأله مرة أخرى عن مكان ذهابه حتى لا يراعي تصرفاته ويحد من خروجه الليلي.

توالت الأيام وانقضت مدة عقاب (أحمد) الذي لا زال يرجع متأخرًا بنفس الساعة تقريبًا دون علم أحد، سمعته يتحدث مع أحدهم وأنه سيقابله في تمام العاشرة، وأنه سيتحدث مع من يهاتفه بموضوع مهم فور وصوله.

جاءت العاشرة واستأذن من والده ليقابل أحد أصدقائه وخرج، ارتديت ملابسي وأعلمت والدي بخروجي لشراء بعض الأشياء، ذهبت وراءه بسيارة أجرة على عكسه، فهو يركب سيارة فاخرة وهو من يقودها وكأنها ملكه! من أين ذلك البذخ والترف الذي يعيشه أخي دون إخبارنا؟؟

نزل من تلك السيارة أمام كافيه فنزلت أنا الأخرى وحاسبت السائق وتبعته، المكان مكتظ بالناس ولا أراه من بينهم، حاولت التركيز فوجدته يصافح رجلًا، حاولت الاقتراب بعض الشيء فوجدته (أدهم)، كاد أن يراني لولا أنني اختبأت خلف شجرة زينة، جلسا على طاولة يتحدثان ويتشاوران وأنا لا أسمع حرفًا مما يقولونه، تصافحا مرةً أخرى وذهب كل منهما في طريقه.

اتصلت بـ (أدهم) فأجاب قائلًا بصوتٍ ناعس مكتوم: إزيك يا سمر؟ خير يا حبيبتي في حاجة؟؟

- لا أنا بطمن عليك بس يا حبيبي، أنت فين؟؟
- أنا نايم مش قادر خالص عندي دور برد هيموتني.
- ألف سلامة عليك، أنا هكلمك بس لحظة أشوف بابا بينادي عليا.

أغلقت معه الخط حتي أتمكن من ملاحقة (أحمد)، كذبت عليه لأول مرة، ولكني بت أشعر بشيء لا يمت للخير بصلة يحدث بينهما، ذهبت خلفه فوجدت أنه قد نزل وصعد إلى عمارة مكونة من أربعين طابق تقريبًا، صعدت خلفه فوجدت المصعد (الأسانسير) قد توقف عند الطابق العشرين، صعدت إلى ذلك الطابق ووجدت آثارًا لأقدام مبللة تتجه نحو الشقة رقم (١٧٨)، فعلمت أنه ربما يكون أخي، طرقت الباب ولكن لم يفتحه أحد، كان السكون يدب في أرجاء المكان منذ دخولي لتلك العمارة أو البرج السكني، ولكن أين السكان؟ لم أرَ أحدًا منهم، فقط رأيت رجل الأمن النائم على كرسيه حتى إنه لم يشعر بدخولي، شعرت بالخوف، كان المكان هادئًا لدرجة أنه إذا قُتل أحدهم ودُفن تحت أرضه فلن يشعر أو يعلم أحد بأمره.

طرقت الباب مرة أخرى وبقوة شديدة حتى تردد صوته في المكان نظرًا لهدوء ذلك المكان بشكل مخيف، كدت أن أكسر الباب حتى فُتح من تلقاء نفسه، دفعت باب المنزل بقوة ولكن دون أن أبرح مكاني، فرأيت المنزل مظلمًا بالداخل ولم أرَ أحدًا، ولكن هناك شعاعًا من الضوء يأتي من (طرقة) ذلك المنزل، والتي تطل على غرفة تقريبًا، نظرت إلى الأرض فوجدت نفس آثار الأقدام الموجودة على السلم، فتأكدت أن أخي بالداخل.

أضأت هاتفي وأمسكت به بقوة على إثر ذلك الخوف الذي أصابني من ظلام المكان، اختنقت أنفاسي ولكني حاولت استجماع قواي حتى أرى أخي؛ فربما أصابه مكروه، أخذت أسير إلى مصدر الضوء الذي أصبح وجهتي الآن، فسمعت صوت أقدام تتحرك خلفي بسرعة، نظرت خلفي ولكني لم أرَ أحدًا، تقدمت خطوة للأمام فإذا بباب الشقة يُغلَق، نظرت خلفي مجددًا وقلت بصوتٍ عالٍ مرعوب: مين هنا؟ مين اللي قفل الباب؟ إظهرلي نفسك!

كررت تلك الكلمات ولكن دون جدوى، سمعت صوت أقدام تتحرك باتجاهي ولكن لا أعلم من القادم، رجعت إلى الوراء خوفًا حتى وصلت إلى ذلك الضوء ووقعت أرضًا ليسقط هاتفي من يدي، حاولت البحث عنه ولكني لم أجده، ركزت على صوت خطوة الحذاء التي كادت أن تكشف لي من ذلك الرجل، ولكن سرعان ما ابتعد الصوت عني، نهضت من مكاني وذهبت خلف الصوت وأنا أتعرق بشدة، ألهث بسبب العتمة، رأيت رجلًا يرتدي بذلة سوداء وكأنه حارس لرجل مهم، اقتربت منه، أدار ظهره فجأةً، شعرت بفزع شديد، كاد أن يقتلني!

حاولت الهرب ولكنه أمسك بي وحملني كوسادة من القطن وأنا أصرخ موجهة له ضربات على ظهره، يستمر في السير دون أن تؤلمه لكماتي وكأنني أمسح عن ملابسه الغبار، لا يشعر بشيء، ظللت أصرخ: سيبني، والله أنا آسفة، والله ما هتتكرر، سيبني أمشي، آآآه، يا ماما، نزلني عشان خاطري، والله عمري ما هكررها.

نزل بي إلى سلالم أظن أنها تحت الأرض وكأنها قبو، بدأت أفقد رؤيتي شيئًا فشيئًا محاوِلة عدم إغلاق عيني لأرى إلى أين سيأخذني ذلك الكائن العملاق.

ألقى بي على كرسي وأخذ يقيدني بحبال سميكة، بدأت أصرخ بشدة طالبة للنجدة ولا أحد يسمعني، فجأة نادى سيده، تتأرجح إضاءة تلك الغرفة في عيني بين السواد والرؤية، أمعنت النظر فوجدت رجلًا يرتدي قميصًا أبيض وحذاء أسود غطيس يُفرقع أثناء سيره، اقترب إلى الضوء فوجدته (أدهم) فانهمرت بالبكاء أحاول التحدث، ولكن شهقات البكاء منعتني.

- الله يخربيتك، أنت حمار يا بني؟ أنت مش عارف دي مين؟ فكها اخلص، أنت لسه هتتفرج؟ فكها يا غبي.

قالها (أدهم) ففك ذلك الضخم وثاقي، والذي سبب بعض الكدمات بيدي، حملني (أدهم) بين يديه وأرسلني إلى غرفة مضاءة وأعطاني كوبًا من العصير وأنا لا زلت أبكي، وذلك الكائن الضخم يقف بجانبه، نظر لي (أدهم) وأمسك بيدي محاولًا التودد لي من أجل ما حدث، أبعدت نفسي عنه وقلت: أنت إيه بالظبط؟ أنت ازاي ممكن تكون بالبشاعة دي؟ أنت كدبت عليا وقلتلي إنك نايم في بيتكوا، أنت ليه بتعمل فيا كدا؟؟

- عملت فيكي إيه؟ وبعدين ما أنتِ كمان كدبتي عليا، على أساس إن أنتِ في البيت وبتعملي الشاي لباباكي.

أجبته بعصبية مطلقة: أنا كنت بدور على (أحمد)، أنا متأكدة إنه هنا زي ما أنا شايفاك دلوقتي، اوعى تحاول تخبي عليا، أنا شوفتكوا مع بعض في الكافيه حالًا، هو فين؟ اطلع يا (أحمد) أحسنلك.

حاولت البحث عنه مهرولة في أنحاء ذلك المنزل الواسع، أمسك (أدهم) بي ليوقفني قائلًا: دماغك الناشفة دي هتتعبني ومش هتجيبها البر، عايزة أخوكي؟ طيب، اطلع يا (أحمد) سلم على أختك.

خرج (أحمد) من غرفة وهو يغطي وجهه بقبعة جاكته، يضع يده قي جيوبه ويمشي على استحياء، نظر لي وقال: أنتِ إيه اللي جابك يا (سمر)؟

لم أنتظر أن يكمل كلماته حتى جئت وصفعته على وجهه بغيظ قائلة: منك لله وقعت قلبي، بقى أنا خايفة عليك ويحصلي دا كله بسببك وأنت ولا على بالك؟ منك لله يا شيخ.

أبعدني (أدهم) عنه قائلًا: ما تتهدي بقى؛ الواد لسه واكل علقة موت.

رفع (أحمد) قبعته عن وجهه فوجدته مليئًا بالكدمات ليصبح بنفسجيًا كحبة الباذنجان، أمسكت به وحاولت أن أطمئن عليه، شعرت بلهفة وخوف شديدين عليه، طمأنني بأنه شجار بسيط.

- (أحمد)، ما عدش ينفع نخبي عليها؛ دي دماغها ناشفة وهتبهدل الدنيا.

- خلاص أنت حر، احكيلها أنت، بس إوعي تجيبي سيرة لحد في البيت، وبالذات البت المفعوصة (سارة).

أخذ كلاهما يتحدث أمامي، يتشاورون ويفكرون بصوت عالٍ، يتناقش كلاهما في إخباري بأمرهم أو لا، اندهشت وصُدمت بأخي الذي كان يحكي لي أدق التفاصيل لما يحدث معه والآن قام باستبدال (أدهم) بي لتكون بينهما أسرار يشاطرونها بعضهم البعض.

- (أحمد)، أنا مش هقول حاجة لحد، أقسم بالله ما هقول حاجة، أنا بس عايزة اطمن عليك.

قفز (أدهم) ليتحدث هو قائلًا: شوفي يا حبيبتي، (أحمد) ما عدش عيل صغير، ودلوقتي المفروض هو كبر وعارف هو بيعمل إيه، (أحمد) دخل مسابقة للملاكمة الحرة وفاز بدون تدريب، انبهر بيه المدرب اللي هناك وقرر إنه يسفره يلعب برا مصر.

- طيب وفين المشكلة؟ إيه لازمة إنك تخبي نجاحك عني يا (أحمد)؟ أنا بتمنالك الخير والله يا بني.

تأفف (أحمد) دون التفوه بكلمة، وكأنه يحمل في صدره أكبر من توقعاتي.

قال (أدهم) مستغفرًا: ما هي المشكلة مش في كدا، في حاجة تانية هتودينا كلنا في الكلبوش.

- إيه؟ أنت بتقول إيه؟

- بس ما تقاطعيش.

جلس (أدهم) على الكرسي الذي أمامه وأخذ (أحمد) يسير ذهابًا وإيابًا في صالة ذلك المنزل، فسألت كليهما عما يحدث؛ فقد بدأت أفقد أعصابي.

أجاب (أحمد) قائلًا: أنا هقولك كل حاجة بس مش عايزك تجيبي سيرة لبابا؛ دا ممكن يتشل فيها، ها؟

- أوعدك مش هتنيل أقول لحد على حاجة، اخلص احكي.
- بعد ما فزت في مسابقة الملاكمة تعب المدرب اللي كان بيدربني في النادي بتاع الكلية، فأخدته ووصلته لبيته اللي احنا قاعدين فيه دا، أول ما دخلنا البيت كان ضلمة، شغلت النور فلاقيت الصالة مليانة ناس وكلهم ماسكين سلاح ولابسين زي شهباز و..
- شهباز مين دا كمان؟
- دا اللي ربطك تحت، دا اسمه الحركي، كانوا كلهم من نفس الجتة كدا.
- يعني شهباز واحد منهم؟
- أيوا واحد منهم، بس هو دلوقتي معانا.
- واحنا إيه اللي يثبتلنا إنه معانا؟

نظر لي (شهباز) نظرات حادة أخافتني فابتسمت له معتذرة وكأنني لم أقصد نطق تلك الكلمات بحقه.

سألتهم أنتو مين فلاقيت ضرب النار اشتغل، سيبت الراجل يقع من إيدي ورحت استخبيت ورا الكنبة، ببص بالراحة لاقيت إن المدرب

الغلبان ما طلعش غلبان وماسك مسدس وهاتك يا ضرب، رجعت واستخبيت تاني لغاية لما الضرب هدي، لاقيته جاي وقعد جنبي على الأرض ومعاه حراس حوالي خمسة تقريبًا، قعد على ركبته ومسح نقطتين الدم اللي جم على وشه وقال وهو ماسك المسدس: "بص يا بني، حظك إنك شفت كل حاجة ودا مش ذنبي، وأنت عارف إن دخول الحمام مش زي خروجه".

- يعني طلب منك إيه يا (أحمد)؟ اخلص.
- قال إني لازم اشتغل معاه وإلا هيقتلني، وهددني إنه ممكن يقتل أهلي كمان.
- وطبعًا وافقت على طلبه!!
- ما كانش عندي حل تاني.
- والبني آدم دا بيشتغل إيه؟
- تاجر مخدرات.
- يا مصيبتي!

قال (أدهم) بسخرية: اصبري لسه اللي جاي أحلى، احكي يا بني خلينا نشوف أم المصيبة اللي احنا فيها دي.

نظرت له ونهرته بقوة: ما تحكي يا بني يخربيتك هتموتني، اخلص شليتني.

قال (أحمد): المصيبة مش إنه تاجر مخدرات، المصيبة إني نفذت عملية تسليم شحنة مخدرات امبارح والشرطة تقريبًا عرفت إني أنا اللي كنت هناك وقالبين الدنيا عليا، ما لقتش حل غير إني أكلم (أدهم)، قلت

ليه معارف كتير وهيساعدني، وهو اللي قالي آجي شقة الراجل لإن الشرطة عمرها ما هتشك إني هنا.

شعرت بدمائي تنحسر عن مخي، قلت بأنفاس متثاقلة: منك لله، أنت مش خايف الشرطة تيجي البيت عندنا ويسألوا عنك؟ دا بابا ممكن يموت فيها، أنت غبي للدرجادي؟ حرام عليك هتودينا كلنا في داهية بسبب غباءك.

- (سمر)، سامحيني أنا ما كانش قصدي اللي حصل والله مش بإيدي، مش معقولة أسيب الراجل وهو تعبان، وخصوصًا إني اعرفه.

لم اهتم لما قاله ولكني أخذت مقدمة اعتذاره وربطتها في خيالي برسالة الاعتذار التي كتبها لي (أدهم) من فترة، كانت تحمل نفس الكلمات "ما كانش قصدي سامحيني والله، اللي حصل مش بإيدي" كلها كلمات مكررة بالنص وكأنه من أمره بقولها، نظر إلي أخي وأخذ يقبل رأسي لأسامحه، عانقته وبدا مرهقًا متوترًا خائفًا من سجن قد يُزَج به وهو لا زال في بداية عمره وفي ريعان شبابه.

نظرت إلى (أدهم) الذي وضع رأسه على الطاولة التي أمامه دون اهتمام، فأعلمته أنه لا زال معنا وأن علينا مساعدة (أحمد) الذي وقع ضحية لأناس لا يعرف حتى من هم.

- فين الراجل النحس صاحب البيت دا؟ نلاقيه فين؟

قالها (أدهم).

قال (أحمد) ورأسه يلمع من شدة تعرقه: ما اعرفش.

قلت له بتوسل: (أحمد) يا حبيبي حاول تفتكر أي حاجة، أي دليل، أي خيط يوصلنا للراجل دا، أي حاجة نبعد عنك التهمة بيها.

قال (أدهم) وهو يضع قدمًا على الأخرى باستعلاء: التهمة لابساه لابساه، دا سلم شحنة مخدرات، يعني نفذ عملية، أنتِ بتقولي إيه بس؟

- سلم شحنة مخدرات بس ما اتمسكش بيها، ولغاية دلوقتي ما فيش أي أدلة ضده.

قلتها بعصبية فنهض (أدهم) من مكانه وقال: أنتِ ما ينفعش تقعدي هنا أكتر من كدا، لازم أرجعك البيت، وأنت يا (أحمد) خليك هنا واوعى تتحرك من هنا مهما حصل.

رجعت إلى منزلي فسألتني أمي عن سبب تأخيري، فأخبرتها بأن المكان كان مزدحمًا ومكتظًا بالناس، دخلت غرفتي وأغلقت بابها، حاولت الاتصال بأخي لأطمئن عليه ولكنه أغلق هاتفه ولا أعلم لما! كيف سأطمئن عليه؟

ظللت منتظرة طوال الليل دون أن تغفو عيناي ولا حتى للحظة، صعدت الشمس إلى كبد السماء، ارتديت ملابسي وذهبت لمقابلة أخي وأعلمت عائلتي بأني ذاهبة إلى العمل.

طرقت باب الشقة ففتح لي ذلك الضخم (شهباز)، سلمت على أخي وحسرتي تقتلني خوفًا عليه، وجلست أتحدث معه إلى أن دق الباب بشدة ففزع كلانا، نزلنا إلى تلك الغرفة التي حُبست بها بالأمس وأخذت انظر من خلف الباب لأرى بفضول من الطارق، فعلمت أنه (أدهم) ولكن معه شخصًا غريبًا، نادانا لنخرج من مخبئنا فلاحظت رعب (أحمد) فور رؤيته لذلك الرجل مع (أدهم)، رجع إلى الوراء ليرتطم بالطاولة وتقع زهرية مليئة بالورود وتنكسر.

تحدث (أدهم) قائلًا: أنتو تعرفوا بعض كويس، عايزين نقعد ونتفق على شوية حاجات عشان تخرج يا (أحمد) من الموضوع خالص.

علمت أن ذلك الرجل هو مدرب الملاكمة الذي ورط أخي بتلك المصيبة، جلس الجميع وساد السكون للحظات وأنا انظر لذلك الرجل أود الفتك به لما فعله بأخي.

صرخت في ذلك الرجل لاستغلاله أخي، صاح (أدهم) قائلًا: ما تهدي يا (سمر) بقى عيب كدا، الراجل جاي يساعد أخوكي.

نظرت لذلك الرجل بحقد وصمتت حتى تحدث قائلًا: يا آنسة (سمر) أنا عارف إن اللي حصل غلط، بس أنا كنت محتاج وش جديد لتسليم الشحنة، رجالتي معروفين في كل حتة، ودي كانت آخر عملية ليا لولا الناس اللي كانوا هيقتلونا يا (أحمد) أول ما وصلنا البيت هنا، كانوا عايزين الشحنة بأي طريقة، وعشان كدا هددت (أحمد)، ما كنتش عارف إن في حد متابعنا وممكن يبلغ عنا، وما تقلقيش أنا هعوض أخوكي، الشحنة جابت ملايين بعد ما اتباعت في السوق السودا ونصيبه هياخده.

- نصيب إيه اللي ياخده؟ يعني أنت تورطه وتدخله السجن وفي الآخر تقولي نصيبه هياخده؟؟
- ما أنتِ ما تعرفيش أخوكي هياخد قد إيه، دا هياخد عشرين مليون دولار، يعني لو اشتغل عمره كله في الحكومة عمره ما يجيب سُبعهم.

نظر (أحمد) يقلب الفكرة في أحضان عقله وكأنه مُعجب بما قاله ذلك الرجل، وقاطع حديثنا قائلًا: هما كام سنة سجن؟؟

رد الرجل قائلًا: أنت في حالتك هتكون غرامة مية ألف جنية يمكن في الحدود دي.

- أنت بتقول إيه؟ أنت عايز تسجن أخويا؟ وأنت يا غبي موافق على السجن؟ أنت عايز تشلني؟ اسمع يا راجل أنت، أنا أخويا مش هيدخل السجن ودا آخر كلام.

نطق (أدهم) بعد صمت دام فترة: عندك حل تاني؟؟

- أيوا، البيه دا عاش حياته وبلغ من العمر أرذله وطول عمره بيشتغل في المخروب دا وما اتمسكش خالص.

رد ذلك الرجل بتذمر: أنتِ بتقولي إيه يا آنسة؟؟

- اللي سمعته، زي ما هيكون في أدلة إن (أحمد) اللي نفذ العملية هيكون في أدلة إنك أنت اللي غصبت (أحمد) على تنفيذها، وكدا هتروحوا أنتو الاتنين في الرجلين.

رد (أدهم) قائلًا: وإيه اللي يثبت؟ يعني إيه الدليل اللي ممكن نلاقيه على الراجل دا؟

- أنت معانا ولا معاه؟ في إيه يا (أدهم)؟ الدليل أنا لقيته امبارح قبل ما يمسكني (شهباز) وخبيته في مكان عمره ما يخطر على بال بشري، ومش هيطلع حتى لو اتقطعت حتت.

قال (أدهم) بعصبية: ما تخلصي تقولي إيه هو الدليل، أنتِ هتخبي علينا؟ إيه أنتِ هتقولي لحد غريب؟

لاحظت نبرة (أدهم) تعلو بشدة عن حدها وكأنه متوتر لأمر ما، فرددت قائلة بإصرار: دا آخر كلام عندي، يلا يا (أحمد).

- يلا فين؟؟
- هنرجع البيت واللي يحصل يحصل، الراجل دا كدا كدا رايح في ستين داهية بإذن الله.

سحبت أخي من يده لأخرج من الشقة على مهل مُتمنية مناداة أحدهم لي ليوقفني، ما إن وصلنا إلى سلالم العمارة نادى (أدهم) قائلًا: (سمر)، يا (سمر)، استني أنا أقنعته إنه يسلم نفسه، هو خاف على أملاكه لتتصادر وعياله تتشرد، فقرر يسلم نفسه تعالي.

دخلت أمثل العصبية ولكن قلبي يتراقص من فرحته وكأنه سيقيم حفلًا داخل جسدي، دخلت فوجدت ذلك الرجل يجلس مهمومًا على الكرسي ويعتذر عما بدر منه.

أمرني (أدهم) بالرجوع إلى منزلي وهو من سيتأكد من تسليم ذلك الرجل للشرطة، وسيضمن عدم تحدثه عن أخي في أي شيء يخص القضية، شعرت بفرحة كبيرة؛ لقد أنقذته، لقد أنقذت أخي الصغير والذي أعده ابنًا لي، شعرت بانتصاري فقلت له مبتسمة: عايزاك تبقى ملاكم كويس بعد كدا.

- حد الله بيني وبينها، ولا عدت لاعب أي رياضة في الدنيا خلاص هيا كدا جابت دُرفها.

ضحكت مبتسمة على كلامه وانتهى الموضوع وسلم ذلك الرجل نفسه للعدالة دون ذكر أي شيء عن أخي، والأهم أن أبي لم يعلم شيئًا.

توالت الأيام وأنا أعمل بالشركة والجو هادئ من حولي، لا أحلام، لا أحداث مزعجة، فقط شيء غريب ألحظه يوميًّا عندما بدأت أنا في

تقديم القهوة لـ (أدهم)، أراه يُمسك بزجاجة صغيرة تبدو كالدواء ويأخذ بعض القطرات منها ليضعها في كوب القهوة الخاص به، سألته لأكثر من مرة عن ماهية تلك الزجاجة ولكنه يتهرب من إجابتي قائلًا إنه مجرد مهدئ أو مسكن ليواصل العمل.

كانت تصرفات (أدهم) تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، عصبيته مفرطة على جميع العاملين بالشركة، ينهر العامل دون شفقة، دون مراعاة أن عمر ذلك الرجل يُضاعف عمرِه مرتين تقريبًا.

تلك التصرفات يُحكَم عليها بالإعدام فور رؤيته لي وكأنه يهابني، ولكنني أفضل ذلك الشيء، فأهم شيء أنه لا يؤذيني، وقد أتمكن من تغييره كما فعلت من قبل وجعلته ينتهي تمامًا عن مغازلة الفتيات، وإذا لم أتمكن من تغيره فلن أتركه، بل سأتغير أنا لأكون مثله تمامًا، أتطبع بطباعه.

غير تفكيري ناحيته من السلب المطلق إلى الإيجاب المطلق، أحببته بشدة، وكلما تذكرت كرهي وذمي له من قبل أضحك بسخرية على ما كنت أفعله، وكأنه ألقى بتعويذة على عقلي لتسحرني وتجعلني أغرق تائهة في بحور عشقه، بدأت أرى حنانًا ودفئًا في مقلتيه بكل لحظة.

في يوم كنت أجلس مع زميلاتي في استراحة الغداء، أخذت أتفقده بعيني هنا وهناك، وكأن هناك شيئًا قد ضاع مني، لا أراه بين زملائه، فُتح الباب فوجدته يدخل، استكان قلبي وهدأت ثورته، فوجدته يتجه نحوي فكسرت عيني وكأنني لم أبحث عنه بكل ركن وزاوية منذ ثانيتين.

- (سمر)، أنا عايز أقولك على حاجة مهمة؟؟

- خير يا (أدهم)؟!

- أنا هسافر البرازيل في شغل وتقريبًا مش راجع تاني.
- بس ازاي يا (أدهم)؟ وفرحنا!!

خفق قلبي بشدة لسماع تلك الكلمات، وأخذ قلبي يتساءل لما سيذهب، هل سيتركني؟ أخذ عقلي يُنكر فكرة ذهابه فأجاب قائلًا: بصراحة أنا جيت أقولك إن ما فيش وقت لأي حاجة خالص.

- ازاي يعني؟
- يعني لازم كل الموضوع يتلم في أسبوع مش أكتر من كدا.
- موضوع إيه؟؟

ضغط على قبضة يده بشدة وقال بتوسل محاولًا استحضار موافقتي: فرحنا، موافقة تسافري معايا؟ هنعيش مع بعض احنا الاتنين ومش هحرمك من حاجة أبدًا، هوفرلك كل حاجة أنتِ ممكن تحتاجيها أو حتى لو مش محتاجاها، هتكوني أميرتي وملكة على عرش قلبي وعمري ما هعمل حاجة تزعلك، ها قلتي إيه؟؟

- (أدهم)، أنا فرحانة وفي نفس الوقت خايفة، أول مرة هسافر برا مصر، وأنت بتقول إن أنت هتستقر هناك، يعني مش هشوف أهلي تاني.
- هنبقى ننزل في الإجازات يا (سمر)، ها قلتي إيه؟؟
- الموضوع صعب يا (أدهم) ومش هقدر أجاوبك غير لما اعرف رأي أهلي، وإن شاء الله خير.
- طيب إذا كدا كلمي باباكي ومهدي الموضوع كدا بالراحة وقوليلهم إن أنا هكون عندكوا النهاردا بالليل، تمام؟

- تمام.

للحظة الأولي مُنذ أن خلقني الله أشعر بتلك السعادة العارمة داخلي، لم يصمت (أدهم) وراح يُخبر الجميع، أصيب كل من بالكافيتريا بالصخب، والجميع يهنئون مديرهم الذي قرر أخيرًا أن يتزوج، أخذوا يحملونه على أكتافهم وكأنه طفل صغير، ضحكت وأخذ ينظر إلي على استحياء، ذهبت لمكتبي لأهرب من نظراته وعينيه الغامضتين، دخلت مكتبي، زميلاتي يهنئنني، تتناثر دموع الفرح بعيني (أبرار)، نظرت خلفي فوجدت (سوزان) تخلع ساعة ثمينة من يدها وتُلبسها لي وهي تبكي قائلة: دي ما عدتش تلزمني، سامحيني أنا عارفة إني ضايقتك كتير، بس دلوقتي خلاص كل حاجة انتهت، ومين عارف يمكن نكون صحاب في يوم من الأيام.

قالت تلك الجملة وأعطتني الساعة التي أهداها لها (أدهم) من قبل ورحلت، صُدمت لما قالته، شعرت وكأني قد أذنبت، ولكن هكذا صارت الأمور دون أي تدخل مني أو تطفل على علاقتها بـ (أدهم)، فهي تحبه بشدة وهو فقط كان يتسلى بمشاعرها، أعلم أن ما فعله كان خاطئًا، ولكن لن يفعل بي كما فعل معها؛ هو يحبني وأنا أعشقه، أنا متأكدة من أنه لن يفعل بي كما فعل مع (سوزان).

اتصلت بوالدتي وأخبرتها بأن تُنسق كل شيء وترتب لقدوم (أدهم) وعائلته، جاء (أدهم) وأخذ هاتفي وتحدث مع والدتي، وأخذ كلاهما يضحك بسعادة على الخط، فور انتهائه أعطاني هاتفي وطلب مني الرحيل لتجهيز نفسي ومساعدة والدتي وأختي بالمنزل.

- عايزك تكوني أحلى عروسة النهاردا، فاكرة الفستان اللي جبتهولك؟ إوعي تكوني ادتيه لواحدة تانية من صحباتك.

ضحكت وأومأت بالرفض فقال: أنا من يوم ما شفت الفستان دا وأنا قلت إن دا بتاع سمر، حسيتك واقفة فيه، فقررت إنك هتلبسيه في خطوبتك.

- خطوبتي؟ يعني أنت كنت عارف اللي هيحصل وإن احنا هنتخطب؟

ابتسم مترددًا وقال متباهيًا: هه، تقدري تقولي عندي الحاسة السادسة.

- أنا شكلي كدا لسه ما اعرفش عنك حاجات كتيرة.

أمسك بياقة قميصه وجذبها قائلًا بفخر: أنا عامل زي البير، هتحسي إنك عرفتي عني كل حاجة لكن في كل مرة هتكتشفي فيا حاجة جديدة.

أقلقتني كلماته ولكني ابتسمت ابتسامة خفيفة، فرك جبهته قائلًا: (سمر)، أنا عايز أقولك على حاجة بس اوعي تفهميني غلط.

- اتفضل يا (أدهم).
- بعد جوازنا في المستقبل مش عايزك تكلمي قريبك اللي جه هنا.
- ازاي يعني؟ دا ابن خالتي وزي اخويا.
- أخوكي إيه؟ دا كان هياكلك بعنيه، غير إنه سلم عليكي ولمس إيدك، وبصراحة بقى أنا مش طايقه.
- بس يا (أدهم)..

- ما فيش بس، اللي أنا قلت عليه يمشي، يا (سمر) يا حبيبتي أنا عارف إني بتدخل في عيلتك، بس دا عشان تريحيني، وبعدين لازم تبدئي تعرفي إيه اللي بحبه وإيه اللي بكرهه عشان نفهم بعض بسرعة، أنتِ أكيد فهماني يا حبيبتي، مش كدا؟

وافقت على كلماته واستأذنت، رجعت لمنزلي وغيرت ملابسي وذهبت لمساعدة والدتي في تحضير بعض الحلوى، فهي طاهية بارعة، ظلت أمي شاردة الذهن تفكر كيف سترد على أختها وترفض ابنها الذي تقدم العديد من المرات، وكيف ستخبرها بما حدث.

أمسكت والدتي بمعصم يدي وأخذتني لغرفتها، جلست أمامي وهي تُمسك بيدي بحنان وخوف لا أعلم كُنهه وقالت: (سمر)، أنتِ موافقة يا بنتي من جواكي على (أدهم) ومقتنعة بيه؟ لإن دا قرار هيحدد ازاي هتعيشي الباقي من عمرك.

نظرت إليها وأنا أبتسم قائلة لأطمئنها: ماما، ما تخافيش؛ (أدهم) شاب كويس وبيغير عليا جدًّا، دا معناه إنه بيحبني، وهو وعدني إن عمره ما هيعمل حاجة تضايقني، عارفة إنك قلقانة من اللي حصل قبل كدا.

- (سمر)، يومها أنا كنت مصدقاكي في كل اللي قلتيه، أنا عارفة إنك عمرك ما كذبتي عليا.
- أمال ليه ضربتيني؟؟

مسحت جفنيها الدامعين وقالت: أهو اللي حصل بقى.

قامت من مكانها وفتحت خزانتها وأخرجت منها سلسلة ذهبية بها قطعة محفور عليها آية الكرسي، جلست وأخذت تلبسني إياها وقالت: دي جدتك الله يرحمها وصت إنك تلبسيها يوم خطوبتك.

ابتسمت وقبلت يدها وذهبت لغرفتي وجلست على سريري وأخذت أتصفح موقعي على الإنترنت، الذي يُبعد المسافات بين الناس ويمنع مقابلتهم، ليجعل من حياتنا فقط حروفًا وتفاعلات، حروفًا زائفة لا معنى لها، ليست من أسلوبك في التحدث على أرض الواقع، ولكنها تصلح فقط على أرض شبكات الإنترنت وساحتها، تفاعلات لا تفي بالغرض لإخراج ما بداخلك من شعور فتكبح مشاعرك وتجمدها، نعم بالفعل، أسرت التكنولوجيا العالم بأسره وجعلت العالم أكثر سرعة، لكنها دمرت العلاقات بشكل ملحوظ دون حتى أن نشعر، فمن كنا نراهم أمامنا أصبحنا لا نراهم سوى على تلك الشاشة المسطحة، لتصبح حياتنا عبارة عن بعض الكلمات المجمعة المحفوظة، تفرح لمحادثة أحدهم لك أو لكتابة بعض الكلمات الرتيبة، أو حتى لوضع وجه يعبر عن امتنانه، فتكون كالطفل الذي أعطاه معلمه وجهًا مبتسمًا في دفتره.

سمعت صوتًا يأتي من الخارج فعلمت أنه (أدهم)، فتحت باب غرفتي على مهل لأراه يرتدي حُلة سوداء بداخل جيبها العلوي منديل أحمر، فنظرت إليه في ذهول أقول سرًّا هذا هو من تملك عقلي وقلبي معًا وحبسني أسيرة حبه.

رحب به والدي ليجلس على الكرسي المقابل لغرفتي، فنظر إلي وهو يجلس أمامي مباشرة، أضاءت عيناه بوهج أسود واتسع ذلك السواد ليغطي عينيه بالكامل باللون الأسود القاتم، أخذ يرمقني بنظرات خبيثة

فابتعدت عن الباب ووقعت على الأرض لأقع في ظلمة أفكاري وكأنني تهاويت لأقع في بئرٍ عميقة، ارتطم جسدي بالأرض بقوة بعد هبوط طويل، ضممت قدميَّ إلى صدري وأمسكت بهما جيدًا، أبكي في خواء، فوجدت تلك السلسلة الذهبية التي أعطتني إياها والدتي تضيء بشعاع من نور لينقشع كل الظلام الموجود حولي لأستيقظ وأجد نفسي على الأرض.

حاولت النهوض ورأسي يؤلمني، فسمعت أبي يستقبل (أدهم) فعلمت أن ما رأيته كان مجرد كابوس من كوابيسي والتي لا تنفك عن مراودتي، وكأن هناك من لعنني بلعنة لأرى (أدهم) بهذه الصورة البشعة كل ليلة، ولما أرى (أدهم) فقط وليس أحدًا غيره؟

ذهبت لأقف خلف الباب لأرى إذا كان ما حدث معي بالحلم سيتحقق أم لا، وهل سيكون (أدهم) على تلك الشاكلة المخيفة أم لا.

استقبله أبي وأدخله، ولكنه لم يجلس على ذلك الكرسي كما حدث بالحلم، لن أراه بتلك الطريقة، ظللت واقفة مكاني لأعلم كيف سيتم حديثهما، تحدث مع أبي عن كل شيء تقريبًا، ناداني والدي فخرجت وأحضرت صينية مليئة ببعض الحلوى التي أعدتها والدتي، فوضعت الصينية على (الترابيزة) ولم أنظر في عينيه خوفًا من ذلك الحلم، خوفًا من رؤية ذلك القطران الأسود بين مقلتيه.

غادر (أدهم) وجلست أنا ووالدتي إلى أن أتى أبي وجلسنا نتشاور.

- شكله بيحب سمر أوي، هيعملها كل اللي نفسها فيه، بس المشكلة إنه هيسافر البرازيل وعايز ياخد سمر معاه.

قالها والدي.

ردت أمي بعصبية: ازاي يعني بنتي أنا تعيش في الغربة بعيدة عني؟ لا يمكن تسافر معاه.

رد والدي ليحقن غضب أمي: سيبي الموضوع دا لسمر تفكر فيه براحتها، هي عارفة إيه الأحسن لها.

بدأت أمي بالتحفظ في رأيها بعدم تركي أذهب معه لبلد أجنبي لأعيش جو الغربة بكل ما فيه من قسوة، وأخذ والدي يربت على كتفي لأفعل ما أحب وأهوى؛ لأنه يعلم برغبتي في السفر منذ كنت طالبة بالجامعة، ويعلم أنني أريد السفر لأي دولة كانت لتحقيق أحلامي، ازداد النقاش حدة بين والدي ووالدتي، فقلت حتى أمنع شجارهما: خلاص أنا هصلي استخارة ونشوف الخير فين، وبكدا نقدر نختار بدل الحيرة دي.

اتفق الجميع على ذلك القرار وذهب الجميع إلى غرفته ليناموا بعد نقاش طويل، دخلت غرفتي وصليت العشاء وركعتين أتبعتهما بدعاء الاستخارة، وضعت رأسي على وسادتي وغطست في نومي لأذهب مع رحالة أفكاري لعالم الخيال والأحلام، فوجدت نفسي أحلق بطائرة كبيرة من الورق و(أدهم) هو من يمسك بخيطها، وحولي جنان خضراء وأراض واسعة وشلالات تنهمر لتعكس قوس قزح في السماء، ومن حولي عصافير تغرد والجو صافٍ ليس هناك ما يعكره، وكأنني في ربيع أحلامي، جلست أشاهد العالم من تلك الطائرة لأرى كل من على الأرض كالنمل يسبحون ويهيمون على الأرض، فنظرت بعيدًا لأرى طفلًا في غاية الجمال يحمل راية بيضاء يقف على جبل يُناديني لآخذه معي، سألته عن اسمه فرد قائلًا: (يحيى)،(ستحين فور دخولي الحياة).

استيقظت على صدى صوت ذلك الطفل الجميل ذي الملامح الحسنة والذي يُشبهني في لون شعري الأشقر وعينيَّ البنيتين، استيقظت لأول مرة منذ فترة مرتاحة البال أتمنى لو أنني غرقت الباقي من عمري أعيش في ذلك الحلم الرائع لأكون مع ذلك الطفل (يحيى) ولأسمع نبرته الطولية وأرى ابتسامته العذبة التي تملؤني تفاؤلًا وبهجة، فكرت جيدًا فتأكدت من أن هناك خيرًا في سفري مع (أدهم) لذلك البلد الغريب.

حتى وإن كانت أحلامي التي أحلمها غريبة ومخيفة بعض الشيء، فإنني سأتبع راحة قلبي وسأذهب معه وإن حدث مكروه ستنفك عقده بسبب تلك الرؤيا المبشرة، ذهبت وطرقت الباب على والداي، فلن أنتظر حتى الصباح لأخبرهما بما رأيت، فتحت أمي الباب وقالت بنبرة نعسة: خير يا سمر في إيه؟؟

- في كل خير يا ماما تعالي بس.

أخرجتها من غرفتها وأخذت أدور بها في سعادة حتى شعرت بدوار. فقالت: يا بنتي حرام عليكي هقع منك، في إيه؟

- أنا حلمت يا ماما، حلمت حلم جميل بجد.

قصصت عليها رؤيتي فشعرت باطمئنان وسعادة ومسحت بيدها على شعري وقالت: ربنا يرزقك الخير يا بنتي حيث كان.

كانت لدعوات أمي نكهة خاصة، فلا أشعر بالسعادة والثبات سوى عند سماعي تلك الدعوات، فأشعر وكأن حفنة من الهواء تدخل صدري لتنعشه من همومه وقلقه فأطمئن على مستقبلي وعلى حياتي، أرى دائمًا في عينيها الحب والدفء المتناغمين مع بعض الخوف الزائد عليّ.

أصدقائي يسأمون من أسئلة عائلتهم الدائمة وتوبيخهم عندما يقعون في الأخطاء، ولكني أفتقد تلك الأشياء عندما لا تفعلها معي والدتي، أنتظر اتصالها لتطمئن عليَ، كما أنتظر إعدادها للطعام ولأشياء عدة.

سمعت زميلاتي يتناقشن حول مَن أفضل أم من بين أمهاتهن، فلم يصل أحد إلى إجابة، وأخذ حوارهن يشتد بالجدال، فعلمت حينها أن لكل أم في العالم نكهة خلقها الله بها لتكون أفضل أم في أعين أبنائها، فرحم الله قلبًا ينبض لنا بالدعوات دومًا ولا ينقطع عن الدعاء إلا فور توقفه.

استيقظت صباحًا وفتحت هاتفي أتفحصه، فوجدت رسائل كثيرة، ولكن لم يلتفت نظري سوى لاسم (أدهم) من بين كل تلك الأسماء، ففتحتها ووجدت أنه قد كتب بها ألا آتي للعمل اليوم، أقلقتني رسالته فاتصلت به.

- (أدهم)؟ بلاش يا سمر صيغة الخجل الزيادة اللي بتكلميني بيها دي، أنتِ المفروض تكوني بتختاري اسم تدلعيني بيه.

ابتسمت وأنا أعيد خصلات شعري المتمردة خلف أذني وقلت: طيب هحاول اختار اسم، أنت ليه مش عايزني آجي الشغل النهاردا؟

- تقدري تقولي إني مش عايز حد يشوفك غيري بعد كدا، مش عايز حد يلمحك ولا يبصلك غيري أنا.

فرحت وشعرت بخوفه وحرصه عليّ، أسعدتني الكلمات التي قالها، عضضت على شفتي لكثرة إعجابي فلاحظ سكوني، فقال: (سمر)، أنتِ ساكتة ليه؟

- يعني أقول إيه؟

ضحك وقال: طيب أنا هفتح موضوع ونتناقش فيه، تمام؟

- تمام.
- إيه رأيك تسيبي الشغل؟
- ازاي؟ وأهلي؟ أنت عارف إني بساعدهم.
- قصدي تسيبي الشغل بعد الجواز، وأنا هوفرلك كل حاجة أنتِ وعيلتك، وصدقيني في سفرنا مش هخليهم محتاجين حاجة، أصل بصراحة ما بحبش الست اللي تشتغل بعد الجواز، قُلتي إيه؟

فكرت وأخذت قرارًا سريعًا لا أعلم نتيجته أو عاقبته، ولكنه لا يُفضَّل عمل السيدات بالفعل، قد يتشتت تفكيري بين منزلي وعملي، وقد لا أؤدي واجباتي كزوجة، وقد أتناسى بعض الأشياء بعملي، وأنا أخشى تركه لي، فقد أصبحت حياتي متعلقة بوجوده، أصبح لي ككرات الدم البيضاء، إذا اختفى سأنتهي، فقررت دون تردد وقلت: اللي تشوفه يا (أدهم)، وإذا كان دا هيريحك يبقى ما عنديش مانع.

ابتسم وقال: بجد يا سمر؟ ولإنك وافقتي صدقيني هعملك كل اللي بتحملي بيه، ويا ستي ليكي حرية الخروج براحتك، بس أنا عايز أقولك على حاجة كمان.

قلت باندفاع: اتفضل.

- بصراحة يا حبيبتي أنا شغلي متأخر في البرازيل، وأنا عارف إن دا ما يرضيكيش، أنا عايز إن احنا نسافر بأسرع وقت ممكن، نحاول نخلص كل حاجة خلال الأسبوع دا،

نتخطب ونجيب العفش وتضمني شقتك والشبكة والحنة والفرح، كل دا لازم يخلص في أسبوع.

- بس دي هتكون أسرع جوازة في العالم، وكل حاجة هتعدي بسرعة كدا ومش هنلحق نحس بفرحنا حتى!
- معلش يا سمر، كل حاجة هتتعدل وهتبقى أحسن، وهعوضك بعد سفرنا، يا سمر أنا ما اقدرش أسافر لوحدي وأنا في حالتي دي، أنا بجد محتاجك معايا.

شعرت بحشرجة صوته وكأنه سيبكي، فقلت لأواسيه: طيب يا أدهم نشوف أهلي ولو وافقوا أنا ما عنديش مانع، وبإذن الله مش هسيبك أبدًا، بس طمني عليك، أنت كويس؟

- آه أنا كويس، معلش يا حبيبتي أنا هروح اشوف حاجة وارجع اكلمك.

قالها بتردد وصوته مُثقل وكأنه يود قول شيء يُرهق روحه ولا يقوة على إخراجه، ولا يستطيع إخباري به وكأنه سر، كان (أدهم) عميقًا في كل تصرفاته ولا يتحدث إلا بما يريد التحدث به، لديه قوة كبيرة لا أملكها، قوة على الكتمان، تظهر عليه علامات وكأنه يخبئ شيئًا ولا يبادلني ما يشعر به.

بت أعلم أنه يحاول إسعادي حتى وإن كان كل شيء سيمر سريعًا، ولكنه عاهدني بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنه سيحاول جاهدًا جعلي سعيدة، فماذا أريد أكثر من ذلك؟؟ فكم من فتيات تزوجن دون أن يقام لهن (فرح) من الأساس، وأنا أعلم أن (أدهم) يحبني بشدة وهذا ما أريده.

في المساء أتى (أدهم) وعائلته لمنزلنا، تحدثت العائلتان واتفقتا على كل شيء وقلبي يتراقص من فرحته، تتغمدني السعادة وجو منزلنا مليء بالزغاريد، تجلس بجانبي أختي تغمزني وتضحك، تنظر لي وله ليشعر كلانا بإحراج وتبدأ بالضحك مجددًا، تهامسني عن عائلته وعن عطره الذي يفوح كالعود المعتق في جميع أرجاء المنزل.

حددت العائلتان موعد (كتب الكتاب) والذي سيُعقد غدًا بالمسجد، فرحت لسماعي تلك الكلمات، فجاءت والدتي وعيناها تدمعان والسعادة تغمر وجهها، لا تصدق أن ابنتها الكبرى ستتزوج، وعلى الرغم من رفضها لـ (أدهم) وعدم تقبلها شخصيته في بداية الأمر، فإن سعادتي المفرطة أثرت على قرارها وغيرت نظرتها تجاه (أدهم).

كان لدى والدتي حدس وتركيز ورؤية شاملة، تعرف شخصية من أمامها فقط بنظراتها، فتعرف صفاته وكيفية تعامله وكأنها تأتي بتقرير مفصل عن طبيعته، ولكن على الرغم من عدم تقبلها لـ (أدهم)، فإنها وافقت وأظهرت الفرحة لتسعدني وتبهجني ولا تكن سببًا في ضياع حب ابنتها الأول والوحيد.

كل منا يحمل قصة بين طيات قلبه لحبه الأول، والذي إما أن يستمر أو ينتهي مع الوقت، فالحب الأول ساذج بطبعه يحمل لنا العديد من المفاجآت.

(أدهم) أول حُب يدخل قلبي ويسكنه، بل ويُعشش كالطير بداخله، لكن غيابي عن العمل كان بمثابة انتزاع روحي مني، أجلس في منزلي لا أفعل شيئًا، الجو ممل بشدة، فقط أصبر حتى تلك اللحظة التي أرى (أدهم) فيها ليلًا لتُرَد إلي روحي.

لا زلت أرى كوابيس وأشياء مزعجة تلاحقني بصورة متكررة، ولكني لن ألقي لها بالًا؛ فهي قد تودي بعلاقتي مع حب حياتي (أدهم)، والتي لا أتمنى زوالها أبدًا.

دخلت غرفتي بعدما ساعدت والدتي في ترتيب بعض الأشياء، فتحت هاتفي فوجدت سبعين مكالمة، تعجبت كون جميعهم من (أدهم)، تفاجأت برسالة هو أيضًا من أرسلها، فأحضرت عقلي لاستقبال كلماته الرومانسية الهادئة والتي أعشقها.

فتحت الرسالة فوجدته قد كتب فيها «(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) يا رب تكوني فهمتي معنى الآية الكريمة، أنا لما عرفتك كان نفسي إن احنا نأسس بيت بيخلو من المكر والخبث، ألاقي حضرتك ما بترديش على مكالماتي، اعرفي كويس إن ما فيش حاجة بتشغل الست عن جوزها إلا النجاسة، واعرفي كمان إني براعي ربنا فيكي لإني بحبك من قلبي».

لا أعلم ما الذي فعلته، بدأت أبحث عن شيء خاطئ فعلته دون قصد ولكني لم أجد، ما الجرم الذي ارتكبته ليبعث لي برسالة تحذيرية يملؤها الوعيد؟ رسالة كهذه يجب أن تُرسل إلى فتاة قد أفسدت العالم برمته، وأفسدت جميع العلاقات وخرجت عن كل ما يسمى بالحلال، اندفعت دمعات متتالية من عيني لما قرأته، لِمَ قد يفعل ذلك؟ هل هذه هي هدية (كتب الكتاب) الذي سيُعقد الليلة؟ انشغلت عن هاتفي قليلًا فظن أنني سأتركه؟ لم أعلم أن انشغالي بغسل الأطباق قد يُزعجه إلى هذا الحد!!

أقشعر بدني من تلك الرسالة وأخذت أبكي حتى تورمت عيناي، فقررت مكالمته لمحاولة معرفة سبب تلك الرسالة ومحاولة إرضائه.

- أهلًا آنسة (سمر).

غريب، لم يناديني بأي كنية وهو لا يعرفني، والآن عندما ارتبطنا وتعلقت به أصبح يناديني بكنية قائلًا يا (آنسة)!

قلت في شجن وصوتي يغمغم بالبكاء: أنا آسفة.

- على إيه؟ ليه أنتِ عملتي حاجة غلط؟؟

انهمرت بالبكاء وأخرجت ما أثقل صدري دون أن أشعر: (أدهم)، كفاية بقى حرام عليك، أنا كنت بساعد ماما والتليفون كان بعيد عني ولسه حالًا شايفة رسالتك اللي مش عارفة إيه سببها، أنت ليه بتعمل كدا؟ ساعات بتكون كويس وزي الفل وساعات ببقى مش قادرة اتكلم حتى معاك بسبب تصرفاتك، (أدهم) أنا مش فاهماك، أنت ليه بتعمل كدا؟

لاحظ عصبيتي وحديثي الباكي فقرر كبح عصبيته هو الآخر، والتي لا معنى لها، وقال محاولًا تهدئتي: خلاص يا سمر اهدي ما متزعليش نفسك، أنا ما كانش قصدي.

- ما كانش قصدك ازاي يعني؟ ازاي فهمني، اللي أنت كاتبه كفيل يخليني ما اكلمكش تاني أصلًا، تصرفاتك على طول متناقضة وبحاول افهمك بس مش عارفة، ساعدني يا (أدهم) لإني بجد بحبك.

- صدقيني وأنا كمان بعشقك، بس أنا اتنرفزت لما ما ردتيش عليا وخفت، وما تسألينيش ليه خفت، سمر، أنا بحبك غير أي بنت عرفتها، ومتمسك بيكي لآخر لحظة من عمري،
- بس أنت..
- ولا كلمة، أنا لا يمكن أسيبك ولا أنتِ كمان، أنا قررت إني ارتبط بيكي يبقى لا يمكن يحصل العكس، وبعدين اوعي تفكري في يوم إن احنا لو زعلنا من بعض إنك مش هتكلميني، كلامك معايا هينقطع بموتي، أنتِ فاهمة؟

لاحظت انفعاله وكلماته النابعة من عقله فقلت وأنا أمسح أدمعي: خلاص اهدا، أنا آسفة إني زعلتك.

- وأنا آسف عشان عليت صوتي عليكي، وعالعموم من دلوقتي اتعودي على اتصالي كل ساعة عشان اطمن عليكي، والمفروض تجهزي نفسك يا عروسة عشان النهاردا كتب كتابنا.

ضحكت بنشوة وأخذت أداعب خصلات شعري الساقطة على عيني وأخذ يتحدث معي بلغة العشاق التي لم أعتد سماعها من قبل، ظلت كلماته تتجول بين جدران قلبي، يتحكم بكل صماماته، أشعر بكل عروقي لكثرة الدم المتدفق بها، شعرت بحبه الساكن في همساته وأقواله الهادئة، شعرت وكأنني عدت لوطن ليس بموطني، ولكنه شيء أجمل بكثير من ذلك، شعرت وكأنني ذلك الطير الذي فاته سرب الطيور ليجد مأوى أفضل مما كان سيكون فيه، أصبح لي سكني وأمسى لي مأوى، وكأنه ذلك المخدر الذي يريح مدمنه، لذا مهما فعل من أخطاء سأغفرها له.

أهداني حُبًّا يُعمي بصيرتي عن أخطائه التي تُزعجني ولا يعلم أحد بها إلا أنا، كان يُرغمني على عدم التحدث مع والداي ويقنعني بأن الفتاة الصالحة هي من تتجاهل عيوب زوجها حتى تؤسس بيتًا صالحًا يخلو من المشكلات والنزاعات، كلماته كانت صحيحة بعض الشيء، نبرته كانت قاسية وحادة بعض الشيء، أحبه ولا أقوى على مفارقته لعدة ساعات، لكن هناك تصرفات باتت من منغصات تلك العلاقة منذ بدايتها.

فكم قابلت مثل هؤلاء الأشخاص الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولكن بالقوة والعنف، بطريقة قد تجعل من يسمعهم يمتد في طغيانه، تلك القوة لم يأمرنا بها ديننا، فقط أمرنا بالإحسان واللين في إبداء الرأي وإعطاء النصيحة؛ ليتمكن ذلك الشخص الذي تتقولون عليه الأقاويل من تحسين شخصيته دون إجراء عملية غسيل مخ أو ما شابه له.

كل مدى يتغير (أدهم) ولا أعلم كنه شخصيته الجديدة، ولا أعلم إذا كانت جيدة أم لا، فقط أعلم أن ذلك التغير الجذري يكمن في طبيعته وفي شخصيته الغيورة بشكل يُثير إعجابي، هذه الغيرة ما هي إلا حب وعطف منه، ولا أظن أنها ستؤذيني يومًا في المستقبل.

ذهبنا نحن وعائلة (أدهم) لاختيار (الشبكة)، كانت والدته تعدني ابنة لها، فهي لم تنجب إلا (أدهم)، أخذت تطمئن على كل شيء يخصني بنفسها، لم أشعر بمثل ما تقول صديقاتي عن الحموات وأنهن قاسيات، فهي لم تعاملني بأي قسوة، بل شعرت وكأنها والدتي تنتقي لي ما أتمنى قبل أن أطلبه.

مر الوقت بسرعة كبيرة لم أشعر بها من فرحتي، تمنيت لو مر الوقت ببطء شديد لأشعر بكل لحظة وأحفرها جيدًا وأنقشها في مُخيلتي حتى لا يأتي يوم وتكون تلك اللحظة مشوشة بين الكثير من الذكريات الجميلة المحملة بالغبار.

أذن المؤذن لصلاة العشاء، وقف الجميع وشرعوا في الصلاة، بدأ بعدها عقد القران، أكاد أقفز من مكاني لسعادتي، كنت أقف مندهشة، فرحة مع كل كلمة يرددها حبيبي (أدهم) خلف المأذون وهو يمسك بيد والدي والمنديل الأبيض يُغطي يديهما، أتت أخيرًا تلك الجملة المنتظرة والتي أسمعها دائمًا في مثل هذه المناسبات، وكم كنت أود سماعها تقال لي:

«بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير».

سحبتني تلك الكلمات لعالم جميل، شعرت وكأنني سأطير من فرحتي العارمة، وأخيرًا مد (أدهم) يده ليمسك بيدي، قبل جبهتي فعلمت أنني الآن في كنفه كما انتقل أمر حمايتي من والدي ليقع على عاتق من أحببت، ليكتب مصيري والباقي من عمري بخط يده.

رفعت رأسي فوجدته يحتويني بنظرات عاشقة هزت كياني وجعلت من وجهي متوردًا كحبات الطماطم الصغيرة، أمسك بيدي وضغط عليها ووضع يده الأخرى حول كتفي لأشعر بحرارة صدره ويده على كتفي، نظرت أتفقد من حولنا، الجميع ينظرون لنا، أصدقاؤه، صديقاتي، المقربات، والأهم من ذلك عائلتانا، أختي تلقي النكات وأخي يصافح (أدهم) الذي يساعده في كل ورطة يقع فيها وكأنه أخ له، السعادة تعم أرجاء المسجد، حتى المأذون أتى ببعض الحلوى ليطعم الجميع، ويمدحنا كلينا وكأنه يعرفنا من قبل.

نظرت له لينزل يده وأشرت بعيني إلى من حولنا فقال هامسًا في أذني مستندًا علي: سيبك منهم، أنتِ دلوقتي بقيتي مراتي.

أبعدت عينيَّ عن عينيه التي وقعت علي لتسكب ما بداخلها من عشق فعلم بإحراجي وخوفي.

رجعنا لمنزلي فوجدت المنزل مليئًا بالناس الذين أتوا لمقابلتي، ومن بينهم صديقاتي وزميلات العمل وأقربائي، انتبه (أدهم) لوجود ابن خالتي (إبراهيم)، تغير لون وجهه وانعكست بهجته إلى غضب وحملق به لثوانٍ بسيطة حتى جاء وكاد أن يرفعني من على الأرض، وضع يده على كتفي وضمني إليه بقوة وصديقاتي يطلقون الضحكات وبعض الكلمات الساذجة علينا، أخذ يبتسم على ترهاتهم وكلماتهم المحملة ببعض من البذاءة، نظرت بعيدًا فعلمت بوجود (إبراهيم)، لاحظ نظرتي له فضغط على أسنانه بقوة حتى سمعت أزيزهم.

أتى (إبراهيم) وسلم عليه ومد يده ليسلم عليّ فنظرت في خوف إلى (أدهم) فنظر إليّ وابتسم ابتسامة صفراء، فقلت له دون مصافحته: عقبالك يا بن خالتي.

لم أناده يومًا إلا باسمه، لكن هذه اللحظة لا تتطلب غير تلك الكنية ليتفهم أنني لم أكن ولن أكون سوى أخت له، فهم (إبراهيم) عدم رغبة (أدهم) في وجوده فانطلق وهو يُشعل سيجارته وذهب دون أن يسلم على أحد.

انطلقت الزغاريد في المنزل وأجواء السعادة تغمر الجميع، سعادتي لا تضاهيها سعادة فمن أحببت صار بجانبي أخيرًا، عجز لساني عن وصف ما أشعر به وأنا بجانبه، فذلك يفوق وصفي، فقط أشعر برضا وهدوء نفسي

لم أشعر به من قبل قط.

بعد ذهاب البعض شعرت ببعض الهدوء، ذهبت لغرفتي فأتى (أدهم) خلفي وجلس على سريري مُبتسمًا والفرحة تملأ صحراء قلبه ارتواءً، فضحكت ضحكة انتصار فقال: أخيرًا بقيتي مراتي، يااااه من أول يوم شفتك فيه وأنا بحلم باليوم دا، لما تكوني بتاعتي لوحدي، تكوني حبيبتي ومراتي اللي بعشقها.

تملكني الارتباك لكلماته الرقيقة والمليئة بالعذوبة والعظمة التي يشعر بها لامتلاكي، لا بد من أنني شيء ثمين بالنسبة له، نظراته تفقدني صوابي وتفقدني تركيزي، حرك رأسه متسائلًا عن سبب شرودي وكأنه يطلب مني التحدث، فقلت في خجل: وأنا كمان عمري ما كنت متخيلة إني أكون مراتك في يوم من الأيام.

ملت برأسي لأسفل لتسقط دمعة قشعرت جسدي بأكمله، فرفع وجهي إليه بأطراف أنامله وأخذ ينظر إليّ وكأنه يرسمني في مخيلته، نظرت إليه وبدأت بتحريك عيني هنا وهناك وكأنها تهرب من الوقوع في مرمى عينيه الساهمتين، مسح جفوني وقال: مبروك يا أغلى إنسانة عرفها قلبي.

ابتسمت في خجل فاحتضن وجهي بين كفيه وأخذ ينظر لي في عجب، بدأت ضربات قلبي تتصارع وجسدي يتعرق بشدة وتتملك جسدي البرودة، كفا يدي مُثلجتان حتى النخاع، قبل جبهتي وقال: سبحان الخالق فيما أبدع، طول عمري رافض فكرة الجواز، بس عرفت السبب دلوقتي، عارفة ليه؟ لإني ما كنتش لسه لاقيت اللي تحتويني وتستحملني بغباوتي وعصبيتي ولساني الطويل.

رجع لكلامه المتباهي فأغمضت عيني ليستكين جسدي الذي يرتعد خجلًا، أتحت الفرصة لخيالاتي وكوابيسي للقدوم في يقظتي لتعرَض أمامي وكأنها شريط سينمائي، ففتحت عيني بسرعة كبيرة فشعر بخوفي، فوضع رأسي على صدره في حنان وأخذ يُغلغل أنامله بين خصلات شعري على مهل، فانهمرت بالبكاء وأخذت أرتجف، تعجب من بكائي في يوم كهذا، فرفع وجهي ليكون موازيًا لوجهه وقال: سمر، خير في إيه؟ أنا عملت حاجة غلط؟؟

أومأت بالرفض، فقال مندفعًا: أمال في إيه فهميني؟ أنتِ كل ما أكلمك يا ساكتة يا بتعيطي، في إيه يا سمر؟ احكيلي في إيه وبصراحة.

احترت واحتار أمري في معرفة ما سأقوله وكيف سأقوله له، هل سأعترف له بما يصدر منه ليلًا في أحلامي منذ رأيته للمرة الأولى؟ هل سأكشف عن تلك الأسرار التي دخلت وباتت جزءًا من عقلي الباطن؟ هل سأحكي له عن تلك الأفكار والخيالات التي ترافقني وتتسلل إلى عقلي ببطء كاللصوص لتسرق عقلي لأصبح دون عقل؟

أصر علي بعصبية لأتحدث، فعلمت أنه لا مفر من معرفته بالأمر، فلن يُشكل فارقًا كبيرًا إذا علم بالأمر في المستقبل أو في الوقت الحاضر.

أطلقت العنان للساني وقصصت كل ما يحدث معي في أحلامي والخيالات التي تطاردني صباحًا.

بدأ (أدهم) يستمع لي ببردة فعل باردة دون أن يُقاطعني وكأنه هو فعلًا من يأتي ليلًا ليدق أبواب عقلي ويستبيح تعذيبي، جلس يستمع ولم يُحرك ساكنًا، جلس أمامي يستمع في فتور وأنا ألهث أمامه من كثرة البكاء، فور انتهائي سألني إن كان هناك أي شيء آخر لم أبح به فأومأت

بالرفض، ربت على كتفي بكبر وخرج دون أن ينطق ولو بكلمة واحدة، سأله والدي إلى أين سيذهب تاركًا المنزل، فاعتذر مُدعيًا بأن هناك عمل مفاجئ وأنه سينتهي منه بسرعة ليطمئن علينا.

هل ضايقته كلماتي أم شعر بحزن وأسف على حالتي؟ لو فعل لكان نطق بكلمة واحدة ليواسيني، لم أعلم أن كلماتي كانت مؤثرة لهذا الحد، حاولت التحدث معه والاتصال به لأكثر من مرة ولكن لم يجب، لمَ يتجسد العناد بشخصيته وأنا الآن زوجته؟

انطلق (أدهم) مسرعًا وكأنه يهرب من واقع قد يعيد ذكريات ماضيه ويرجع ليعذبه ويدمره بالبطيء، أشعل سيجارته التي بدت تتوسل طلبًا للرحمة حتى انتهى منها وفركها أرضًا بقدمه وألحقها بأخرى، ركب سيارته وانطلق مسرعًا خارج الحي الذي تعيش به (سمر)، شعر بضيق أنفاسه المتتالية، شعر بفوران أعصابه وغليانها، أخذ يتأمل الطريق بلامبالاة على جانبيه النيل، زاد سرعة سيارته دون أن يشعر، بدأت الإطارات بالتصفير على ذلك الإسفلت تحاول إسماعه صوت تعذيبها ولكنه لم ينتبه لها بسبب شرود ذهنه في تلك الورطة التي وقع فيها مجددًا ليتحمل هو فقط العواقب، انتبه لإطار السيارة الأيمن ينفجر، ركز أكثر على الطريق أمامه فوجده مسدودًا مع أنه لم يكن كذلك، حاول كبح سرعة السيارة بالفرامل ولكنه لم يستطع، فقط سمع دوي انفجار الإطار الآخر على جانبه، بدأ يفقد السيطرة على سيارته وبدا ذلك الخلل واضحًا، حاول تعديل ما حدث حتى انقلبت السيارة به في الماء ليغرق جسده بسبب أفكاره وأوهامه هو الآخر.

فتح (أدهم) عينيه فوجد أنه محاط بالماء تمامًا ولا يرى شيئًا مطلقًا، الظلام كاحل لا يستطيع رؤية ما حوله، نزع عنه حزام الأمان وحاول فتح بابه ولكنه كان موصدًا، شعر باقتراب نفاد الأكسجين من صدره فحاول الخروج من الباب الآخر ولكنه كان موصدًا هو الآخر، شعر بارتباك شديد وكأنه سيفقد حياته، تذكر (سمر) التي يود عيش حياته المليئة بالعقد معها، دفع الباب بقوة جنونية حتى فُتح، بدأ يصعد لأعلى متجهًا نحو الأضواء الموجودة على ذلك الكوبري حتى بدأ بالتقاط أنفاسه من جديد ولكن بصعوبة بالغة.

5

جلست طوال نهار اليوم التالي في غرفتي أحاول الاتصال بـ (أدهم) دون أن يبتلع حلقي لقمةً واحدة، جلست بصمت دون سكب أي دموع أخرى من عيني استمع لأصوات تصدح بالرجاء من حولي لكي أهرب، وكأن هناك من يحاول تحذيري ولكني كنت مُثلجة المشاعر وأعلم أن هذه الأصوات ليست سوى من وحي خيالي الذي أبعد (أدهم) عني البارحة، كنت صامتة لكن قلبي يضج بالعويل، كان صمتي أبلغ من تعبيري.

حاولت الاتصال به مجددًا ولكنه أغلق هاتفه، وقفت أنظر من نافذة غرفتي فوجدته هو يتدلى من سيارة أجرة! غريب، أين سيارته؟ نظر نحو نافذتي فابتسمت له فأشر لي أنه سيصعد، أخذت أرتب غرفتي والأشياء الساقطة أرضًا وفردت سريري، وخرجت مسرعة لاستقباله.

سلم عليَ وعلى والدي، لاحظ الجميع تلك الخدوش والكدمات على وجهه، تساءل والدي ولكنه برر ذلك بوقوعه أرضًا، لم يتقبل تفكيري تلك الكذبة، نظر إلي بانكسار وأمسك بيدي التي أصبحت هي والباقي من جسدي وأي شيء أمتلكه ملكه، وقال ليُسمع الجميع: يلا يا جماعة كله يجهز عشان نروح نجيب العفش، عايزين نخلص كل حاجة بسرعة وفي

نفس الوقت نجيب أحسن حاجة، عايز كل حاجة تبقى من أحدث موضة عشان حبيبتي سمر.

نظرت إليه في عجب؛ فالبارحة كان غاضبًا ولا يجيب عن اتصالاتي والآن سيأتي لي بأثاث في شقة لن نحتاجها بعد سفرنا لذلك البلد الأجنبي!

شعر باندهاشي فأحاطني بين ذراعيه أمام عائلتي فشعرت بخجل، حاولت الابتعاد عنه بهدوء حتى لا تلاحظ عائلتي.

- سمر، خدي جوزك واقعدوا شوية مع بعض اتكلموا على ما أجيب الغدا عشان ناكل لقمة مع بعض.

قالتها أمي.

- لا غدا إيه؟ أنا لسه فاطر من شوية، حتى اسألي سمر أنا بفطر متأخر.

- خلاص يا ماما روحي حضري الغدا وأنا هقنعه بس ما تتأخريش؛ أنتِ عارفة (أدهم) دايمًا مستعجل.

أمسكت بكف يده وذهبت لغرفتي، جلست وجلس أمامي، سكت كلانا لبرهة، فشعرنا بالسكون فقلنا في آن واحد وكل منا يتحدث مع الآخر على استحياء: أخبارك؟ عامل/ة إيه؟

ضحك كلانا على حديثنا في نفس اللحظة، فطلب مني التحدث أولًا، فقلت ممسكة تلك الكدمة بوجهه: من إيه دي يا (أدهم)؟

تهرب بنظره وأبعد يدي عنه قائلًا: ما قلتلك وقعت والحمد لله جت بسيطة.

- (أدهم)، ما تحاولش تقنعني إنها وقعة، اسمع، إذا كنت مش عايز تتكلم خلاص أنت حر، لكن ما تكدبش عليا.
- أنا عملت حادثة امبارح بعد ما مشيت من هنا، بس الحمد لله عرفت أخرج، بس الغريب إن العربية اتدمرت، اللي يشوفها يقول إن اللي فيها دا أكيد اتعجن.
- أنت بتقول إيه؟ ازاي دا حصل؟ مش تخلي بالك من نفسك، أنا عارفة أنا السبب في اللي حصلك امبارح، أنا السبب، أنت لو فضلت قاعد هنا امبارح ما كانش دا حصلك.

حاول تهدئتي من بكائي قائلًا بمرح: أخيرًا بقى عندي حد يدقق في تفاصيلي وفي كل حاجة بعملها ويزعل عليا، لأ ومضايقة عشان مشيت وسيبتك امبارح، حد قالك قبل كدا قد إيه أنتِ إنسانة رقيقة وجميلة؟

ابتسمت وبدأت أمسح دموعي فقال: (سمر) يا حبيبتي، زي ما أنتِ عندك أسرار تاعبة دماغك أنا كمان عندي أسرار تاعبة دماغي، هه، وكإننا اتخلقنا لبعض عشان نوجع دماغ بعض.

- ما فيش مانع إن احنا تكون دماغنا تعبانة، بس الأهم إن دا ما يأثرش على حياتنا ولا يبعدنا عن بعض زي ما حصل امبارح، إذا كانت دماغنا احنا الاتنين بالفعل تعبانة يبقي لازم نساعد بعض ونحكي لبعض همومنا.

ابتسم ساخرًا من حاله ومن سذاجتي وقال: ما تستعجليش هتعرفي كل حاجة في وقتها، كل حاجة هتوضح قدامك، بس ياريت تقدري تتصرفي ساعتها.

- مش فاهمه، أنت ليه دايمًا كلامك كله ألغاز؟

ضحك ليبعد ذلك الجو القاسي وتلك المحاضرات التي بدأ يلقيها كل منا قائلًا: نفضي بقى يا سمر وتعالي نشوف أهلك عشان ما يزعلوش.

أمسكت بيده قبل خروجه هاربًا وقلت: أنا بس عايزة افهم كلامك الغريب مش أكتر.

ضحك وهو يضع يده على رأسي: اعرفي حاجة واحدة بس، أنتِ في كل لحظة لازم تحاربي عشان تكوني معايا.

غادر غرفتي وتركني في حيرتي أنظر إليه يتحدث مع والدي ويضحك وكأن شيئًا لم يكن، لم أفهم أيضًا تلك الجملة، ولكن إذا اضطر الأمر أن أحارب لأظل بجانبه فسأحارب لأبقى معه.

أتت والدتي بصينية الغداء ووضعتها في غرفتي وقالت: يلا يا حلوين تعالوا كلو لقمة مع بعض.

مال (أدهم) علي قائلًا: (سمر) بلاش ناكل جوا، خلينا هنا عشان أهلك ما يتضايقوش.

أجبته بمشاغبة: ليه؟ أنت مكسوف تقعد معايا ولا إيه؟

ابتسم في خضوع وذهب إلى غرفتي، فور دخولي تفاجأت به يمسك بيدي قائلًا بمرح: بقى أنا مكسوف أقعد معاكي لوحدنا؟ دا أنا بمنع نفسي عنك بالعافية وعمال أقول اصبر يا واد بكره يبقالك بيت تتلم فيه وياها وساعتها تعمل كل اللي نفسك فيه.

وضعت كفي على فمه وقلت محاوِلة إسكات فمي عن الضحك: وطي صوتك بابا برا.

قال هامسًا: ما دا اللي أنا بتكلم فيه، مش عايزين فضايح من أولها.

أمسك بكف يدي وقبله بهدوء، تسللت قبلته الساحرة إلى قلبي فاقشعر جسدي بأكمله، فابتعدت عنه ليجلس كلانا ويتسابق في إطعام الآخر، شعرت وكأنني أتذوق الطعام لأول مرة بحياتي، وكأنه شهد أتى من ملكات النحل، بدأت أبتسم في خجل فأشار إلي أن أطعمه بيدي، جلس معتدلًا وقال: أنا كدا نفسي اتفتحت، بس أنا مش هاكل غير من إيدك.

قلت ضاحكة بمرح: لأ بقى دا أنت داخل على طمع.

- هو في حد بيطمع في مراته وحبيبة قلبه برده؟

تخضبت وجنتي بالحمرة وأخذت أرجع خصلات شعري خلف أذني فقال: دا أنا كفاية عليا أصحى الصبح وأشوف القمر دا بالنهار والمس نعومة شعرك بإيدي.

رن هاتفي وأنا لا زلت أنظر لملامح (أدهم) في تيه ولم أحرك عيني حتى لأرى من المتصل، قطب (أدهم) جبينه وأغمض عينيه بقوة ونفور والغضب يتقافز بين عينيه حتى شعرت بخوف شديد، فنظرت إلى هاتفي فوجدت (إبراهيم) يهاتفني وهذا لا يحدث عادة، مددت يدي لانتشال هاتفي من أمامه لأغلقه حتى لا يزعجنا مرة أخرى، أمسك بيدي وضغط عليها بقوة وأخذ الهاتف بقوة من بين يدي وأجاب قائلًا: أيوا مين معايا؟

- أنا إبراهيم، هو دا مش رقم سمر برده؟

- لأ النمرة غلط، ويا ريت ما تتصلش هنا تاني.

أغلق الخط وأنا لا زلت أنظر إليه في دهشة مستغربة نظراته الحادة ونبرته القاسية، فتح الهاتف وأخرج الشريحة وقام بكسرها وقال: هشتريلك واحدة جديدة وما حدش يعرف رقمها غير مامتك وباباكي، ولا حتى اخواتك يعرفوها، أنتِ فاهمة؟

- بس البنات صحابي وزميلاتي في الشغل هكلمهم ازاي؟
- (سمر)، بلاش قلبة دماغ، احنا مسافرين كمان تلت أيام وهتنسي الناس دي كلها ومش هتحتاجي تكلميهم؛ لإن كل حاجة بتربطك بيهم هتتقطع، وبعدين أنا بعمل كدا عشان مصلحتك ومصلحتي، عشان نعرف نعيش مع بعض.

أومأت بالإيجاب فابتسم وأحاطني بذراعيه حتى كدت أن أكون جزءًا منه، شعرت بدفء وحنان صدره ولم أنتبه لما يُحاول إقناعي به وبما يُرسخه داخل عقلي، ليسألني عن رأيي في نهاية الأمر فلا أمتلك سوى الموافقة ليغمرني بحنانه، لأشعر وكأنني تلك الطفلة التي رضي عنها خاطفها عندما صمتت عن البكاء ليصب ذلك في مصلحته حتى يستمر في تعذيبها وإبعادها عما تهوى، ليُغيرها إلى شخصية مختلفة عنها تمامًا.

- (سمر)، البسي هدومك عشان نخرج نجيب عفش شقتك.

قالها (أدهم) ليُخفي حيرتي في تفسير ما فعله.

(أدهم)، احنا كدا كدا مسافرين، ما لهاش لازمة الشقة يا حبيبي، وطول ماأنت جمبي خلاص مش عايزة حاجة تاني من الدنيا.

قال مندهشًا: أنتِ قلتي حبيبي صح؟ مش مصدق وداني، قوليها تاني كدا.

نظرت له بعجب يُخالطه بعضًا من الخجل وقلت بصوت خفيض: حبيبي.

لم أشعر إلا بتطاير جسدي من على الأرض وأنا أضحك بهستيرية على (أدهم) الذي يحملني ويدور بي في غرفتي حتى كدت أن أقع من بين يديه، دخلت والدتي عندما علا صوتي فشعر كلانا بإحراج كبير وتلعثم (أدهم) في الكلام فقلت: ما حصلش حاجة، بس افتكرنا موقف بيضحك في الشغل.

- ربنا يسعدكوا ويجعل حياتكوا كلها فرح وسعادة.

خرجت والدتي وخرج (أدهم) معها ليجلس مع والدي لأرتدي ملابسي لنذهب لإحضار أثاث منزلنا الذي يُفترض بأنه سيظل مهجورًا إلى أن نعود من البرازيل.

أخذنا (أدهم) بسيارة والده -الذي أتى ليزورنا- إلى أفضل الأماكن لنختار أثاثًا فخمًا لمنزلنا، وكلما اخترت شيئًا بسيطًا أمسك بكف يدي برقة وأشر بسبابتي نحو شيء باهظ الثمن قائلًا لي بهمس: الملكات ما ينفعش يقعدوا على أنتريه عادي، الملكات لازم يتوجوا على عرش.

أبتسم بخجل لسماعي كلماته الحانية والرقيقة التي تفقدني حواسي لتجعل قلبي يرتبك متعجبًا تحقيق ما حلم به منذ الصغر، أرى كل ما حلمت به يسير أمامي بشكل منظم كما رتبته في خيالاتي، أتفاجأ بكل ما حدث وكأنه حدث معي من قبل، لكن في عصر آخر يشبه عصرنا في الشخصيات وفي سير الأحداث فقط، ضحكات (أدهم)، معانقته والدي، زغاريد العائلتين، رأيت كل تلك الأشياء لكن في صغري، وها أنا الآن أعيش أحلام اليقظة.

سعادتي تكاد لا توصف، ابتسامتي تكاد تصل لأذني، عقلي مشوش وكأن هناك أفكار كالومضات تتضارب به، تأتي للحظة تكاد تكون منعدمة لتذهب ثانيةً من حيث أتت، بعض القلق يجوب بالي الآن، فليس هناك سعادة أبدية كما تنتهي جميع الروايات الرومانسية، لكن هناك تقلبات، فتأتي السعادة على طبق من فضة دون أن تشعر، وسرعان ما تتفاجأ بتلاطم أفكارك لحل مشكلات قد غرقت بها دون أن تدري، فليس هناك سعادة إلا و لها مُقابل من الحزن، فمثلما تعطيك الحياة تأخذ منك أضعافًا بالمقابل لتأتي عليك فترة لا تعلم مدة انقضائها، قد تتمنى زوالها لكنها تكون الفيصل بين حياتك القديمة والجديدة، ترتدي ثوب الصدمة لتتعلم وتدرك مدارك هذه الحياة، تقنط وتصبر وتفقد الأمل تارة لتصبر مرة أخرى، لتجد الحلول مبسطة أمامك مقدمة على ذلك الطبق من الفضة مرة أخرى، لتأتي مُحملة بوهج من الفرح لتضاهي ذلك الجلَد الذي عانق جسدك.

هذه هي الحياة، تأخذ مثلما تعطي، تُرى ما الذي ستأخذه مني الحياة؟ لدي عائلة وزوج، سأسافر إلى بلد لم أحلم بالذهاب إليه يومًا، ترى ما الذي ستأخذه مني الحياة؟ فمن لديه العائلة فقد أحلامه، ومن فقد العائلة رُزق بأطفال، ومن فقد الأطفال رُزق راحة البال، ومن فقد راحة البال قد انشغل بجمع المال، ومن فقد المال علمه الله معنى السؤال، ومن فقد السؤال فقد طعم الحياة بأكملها.

انتقينا كل ما نود شراءه من أثاث لمنزلنا، استأجر (أدهم) أُشخاصًا لفرش منزلنا بأسرع وقت ممكن لأجل سفرنا، فعمله مُعطل بسبب زواجنا وأنا أشعر بالذنب لأني سبب تعطيل عمله، ولكن (أدهم) بطبيعته يُدير

وقته بطريقة صحيحة، يتحكم بعقارب ساعته كيفما شاء، فكل شيء مخطط له بالدقيقة، يحرص على إتمام كل شيء بأسلوب جديد غير متوقع، لتكون تلك نكهته الخاصة في كل عمل يُشرف عليه.

أقف كالمديرة فقط آمر وأنهى، ضع هذا هنا وذاك هناك، منزلنا الجديد مليء بالعمال العاملين على قدم وساق لينتهوا بأسرع وقت، أناملي لا تلامس الأرض، فكل شيء يسير كما أردت دون تخطيط مني.

- يارب تكون عجبتك الشقة يا حبيبتي.

قالها (أدهم)

نظرت إليه بامتنان وقلت: ربنا يخليك ليا وتفضل معايا سندي وستري وحبي الأول والأخير.

عانقني بقوة وهو يزفر أنفاسه وكأن هناك شوكة قد علقت بصدره قائلًا: ربنا ما يحرمني من كلامك الحلو وأفضل دايمًا مصدر سعادتك.

سكت كلانا ننظر في أعين بعضنا، عيناه تفيضان بكلمات لا معنى لها، لمعت عيناه بدمعة عكرت عيناه وأحالتها محمرة، نظر حوله هربًا بتلك الدمعة نحو العمال ينهرهم لينجزوا عملهم بسرعة، نظر إلي مبتسمًا محاولًا إذابة تلك الدمعة بمرحه، وكزني في كتفي ونظر على مرمى بصره قائلًا: أنا عارف البنات بيتهبلوا على النيش والأطباق والكوبيات اللي فيه، مش عارف على إيه بس أنا جبتلك حاجات من أحدث موضة، حتى لو رجعنا بعد سنة اتنين هتكون موضتها لسه موجودة.

- (أدهم)، أنت كويس يا حبيبي؟

قلتها بهمس وقلق يغمر وجهي.

- ما فيش يا حبيبتي، أنا بس نسيت آخد الدوا ونسيت أشرب القهوة بتاعتي فتلاقي دماغي مش مظبطة، ما تشغليش بالك.
- خلاص قلي إيه هي أدويتك وأنا هروح أجيبهالك.
- (سمر)، قلتلك ما تشغليش بالك خلاص لما أرجع البيت هبقى أخدهم.
- أنت ازاي بتقول كدا؟ دا علاج، يعني لازم تاخده، لحظة يا (أدهم)، أنت عندك إيه؟ ليه بتاخد كمية الأدوية دي على طول؟؟
- (سمر)، قلتلك ما تشغليش بالك، وبعدين أنا هبطل آخد الدوا، دي كانت شوية فيتامينات وخلاص مش هاخدها تاني، يعني أنا حاسس إني بقيت أحسن.
- طيب ليه بتاخد الفيتامينات دي؟ عندك إيه يا (أدهم) فهمني؟؟
- يوووووه، مش هتبطلي دماغك الناشفة دي، أنا خارج أشم نفسي برا.

خرج ولا أعلم ما هو مرضه، بدأ القلق يدق أبواب عقلي و ليس هناك إجابة واحدة على الأقل تفتح بابه، تذكرت ما حدث معه البارحة (الحادثة)، عصبيته كادت أن تقتله، خرجت مسرعة متجهة نحو الباب أبحث في كل صوب واتجاه عنه، لمحته عيناي يجلس في ركن على سلالم منزلنا الجديد، ذهبت وجلست بجانبه دون أن أنطق بكلمة، استرقت بعض النظرات فوجدت عينيه تدمعان ولا أعلم السبب، أمسكت بذراعه، لم أسأله

عما يحدث معه حتى لا أتسبب في مضايقته، فقط نظرت إليه أكفكف دموعه حتى غمر جسده داخل صدري لتغرق دموعه الصامتة ملابسي.

حاولت تهدئته فأحاطني بقوة كادت أن تكسر أضلعي وقال: (سمر)، أنا مش عايز منك غير إنك تستحملينى.

- (أدهم)، اعتبرني الصندوق اللي هتحبس فيه كل أسرارك، ما تخافش أنا مش عايزة منك حاجة إلا إنك تفضل جنبي وما تسبنيش بعد ما أتعلق بيك.

همس بصوت خفيض سمعته بصعوبة: ما تصعبيهاش عليا.

سمعت كلمته وعلمت أنه يخشى تركي ولا أعلم ما الذي قد يُنغص حياتنا، وما الذي يحمله قلبه ولا يود أن أعرفه، وضعته على صدري وكأنه طفلي محاوِلَة طمأنته وتهدئته، شعر بسكون وانتفض ماسحًا دموع قهره التي لا أعلم سببها، نزل عامل من العمال فرآنا نجلس دون محادثة، فقال ساخرًا: من أولها كدا وانتوا ساكتين؟ دا انتوا بادئينها بدري يا عرسان.

نظر كلانا للآخر وضحكنا على كلمته، نظر لي وأمسك بيدي ونهض كلانا من مكانه، نظر ليده ممسكة بيدي وقال: هنحاول مع بعض ما نكسرش العقدة دي، صح؟؟

نظرت له بتشتت فيما يقوله وقلت مؤكدة: طبعًا، عمرها ما هتتكسر.

التقط أنفاسه وصعدنا مرة أخرى إلى منزلنا لننهي فرشه وتنظيمه، جاء (أدهم) وأغمض عيني وأدخلني إلى غرفة مليئة بالملصقات الكرتونية، ألوانها زاهية تُريح القلب، نظر لي مبتسمًا وقال: إيه رأيك؟ دي أوضة الأطفال.

ـ جميلة، تحفه بجد!

ـ ما فكرتيش هنسمي ولادنا إيه؟؟

ـ بصراحة لأ.

قاطع كلامي وأجاب قائلًا: بصي لو ربنا رزقنا ببنت هنسميها ياسمين، ولو ربنا رزقنا بولد هنسميه يحيى.

اندهشت أذناي من ذلك الاسم، تذكرت صورة ذلك الطفل في حلمي «(يحيى)، ستحين فور دخولي الحياة»، وكيف كان يُناديني (ماما)، كيف لها أن تكون صُدفة؟ كيف لأحلامي أن تتحقق؟

لاحظ (أدهم) صمتي وفتور ملامح وجهي فقال: إيه يا سمر روحتي فين؟

ـ هو ليه يحيى؟؟

ـ نعم؟ مش فاهمك!

ـ يعني ليه اخترت الإسم دا يا (أدهم)؟

ـ عادي خطر في بالي وقلته، ما اعرفش إنك بتكرهي الإسم دا.

لاحظت أن حوارنا قد بدأ يقسو بعض الشيء فقلت: لأ مش بكرهه، وما دام أنت نفسك نسمي (يحيى) يبقي هنسمي (يحيى)، بس أنت أهم حاجة ما تزعلش، اتفقنا؟

نظر لي مُبتسمًا وأومأ بالإيجاب، وخرج ليرى والده الذي ناداه، ظل قلبي قابعًا في تذكر حُلمي وما قاله (أدهم)، فمن بين كل الأسماء التي عرفها هذا الكوكب لم يخطر بباله إلا هذا الاسم، شيء مُحير! بت أكره

تلك الأحلام التي تتحقق لتشغل بالي، ولكني لن أبالي، كل ما يحدث معي يحدث بمحض الصدفة وفقط الصدفة.

بعد انتهائنا أصر والدي على تناولهم طعام العشاء معنا، أعدت والدتي وليمة العشاء وجلسنا لتناول الطعام وعائلة (أدهم) معنا وإخوتي من حولي يلقون النكات والضحكات تتعالى من حولي، أشعر ببعض الدوار، تركت الطعام من يدي وأمسكت برأسي. سألتني (حماتي): مالك يا حبيبتي؟ شكلك تعبانة!

- لا ولا حاجة بس شوية صداع، أنا هقوم آخد حباية مسكن وهبقي كويسة.

دخلت غرفتي فشعرت وكأني انعزلت عن صوت الضجيج الذي بالخارج، جسدي مُرهق ورأسي يدور، نظرت إلى سريري فشعرت وكأنه يجذبني إليه، جلست وتمددت فوجدت يدًا تفتح باب غرفتي وتطفئ النور، أظلمت الغرفة ولا أرى إلا السواد، شعرت بخوف، أخشى الظلام بحلكته المُضنية، أغمضت عيني بقوة محاوِلة استدراج النوم إلى جسدي، شعرت وكأن نورًا خافتًا يأتي من تحت سريري، ففتحت إحدى عيني بهدوء فوجدت ضوءًا يأتي من تحت سريري، خشيت مصدر ذلك الضوء، ولكن خشيتي من الظلام واختناقي جعلاني أترك سريري لأنزل تحته، ليس استكشافًا ولكن لأني أشعر ببعض الأمان في الأماكن المضيئة.

نزلت تحت سريري فلم أجد المُتبقي من صناديق جهازي، ولكني وجدت بابًا خشبيًّا مغلقًا بقفل صغير يكاد لا يُرى!

دسست نفسي تحت سريري وأمسكت بذلك القفل باستهزاء، فمن يضع على باب مخفي تحت سرير قفلًا كهذا؟ أمرٌ عجيب! أمسكت بالقفل وأخذت أسحبه لأنزعه عن الباب، ومع كل سحبة من يدي أسمع صوت ضحكات عالية تشبه في رنتها صوت ضحكتي، ازداد حماسي لفتح ذلك القفل، أخذت أسحبه بقوة فتعالى صوت تلك الضحكات وتعالى معه صوت الصرخات فور انتزاعي ذلك القفل، أخذ الباب يتحرك من مكانه وكأن ثورًا يود كسره بقرونه، شعرت بأيدٍ تلامس قدمي فتشتت تركيزي نحو ذلك الباب ونحو تلك اليد السوداء التي تُمسك بقدمي بقوة، سحبتني تلك الأيدي وصوت تحذيري يأتي من بعيد «انفدي بجلدك».

استيقظت على صراخ هستيري وأنفاسي تتصاعد وتتهابط، أضرب أحدًا بكلتي يدي على صدره، وزخات من العرق على جبيني، فتحت مقلتيَّ فوجدت (أدهم) يُمسك بيدي ويمسح على وجهي محاولًا تهدئتي قائلًا: (سمر)، اهدي دا أنا، اهدي يا سمر.

فتحت مقلتيَّ فوجدت نظرات حائرة خائفة يحملها في عينيه، نظرت حولي فوجدت والديه وعائلتي يقفون والدهشة تملأ وجوههم يحملقون في مستغربين تركي لهم لأخلد للنوم، وعندما حدث وغفوت استيقظت بتلك الطريقة المفزعة، جميع من حولي ينظرون لي وكأني أعاني الصرع، الجميع يقف في اندهاش وتجمد تام، لم تتفوه والدتي حتى بكلمة، تنظر إلي فقط بعتاب على ما فعلت، لم تتفوه بكلمة لتوضيح الأمر على الرغم من معرفتها بذلك، لم يتحدث أبي ويبرر موقفي وهو الذي يقرأ على رأسي كل ليلة تقريبًا!

فسرت (حماتي) الأمر وكأنني أعاني ضغطًا من تلك المرحلة التي سأقبل عليها، وهي دخول عالم جديد يحمل الكثير من الأشغال والمسؤولية التي ستقع على كاهلي، أخذت أمي تؤكد فكرتها، خرج الجميع من غرفتي يتحدثون وكل منهم يُبرر الموقف من طرفه.

ظل (أدهم) جالسًا أمامي يحمل نظرات قلقة مُحيرة، ظل قابعًا في سكوته، ظل ينظر إلي بخفوت وكأنه يُخبئ شيئًا ما، قصصت عليه ما حدث معي، ظل صامتًا وكأنه على دراية بالأمر، و قف ولم يُعقب، خرج من الغرفة دون أن يشاركني همي، وكأن الأمر لا يشكل لديه فارقًا.

ما هذه الأحلام التي تود إتعاسي وإبعادي عن حُبي وقُرة عيني؟ ما هذه الأحلام التي ترغب في إفساد حياتي لتجعلني أشبَه بمختلة عقليًا أمام (أدهم) وعائلته؟

خرجت من غرفتي مُسرعة لألحق به قبل أن يذهب هاربًا كما يحدث في كل مرة أخاطبه فيها عن أحلامي وهواجسي، وقفت أمامه فحاول تجنبي وإكمال طريقه، تقدمت ووقفت أمامه وقلت: مش هتسألني إيه اللي بيحصل معايا؟ مش هتطمن عليا؟ مش هتقول أي حاجة؟

أجابني وكأنه مُجهز للرد: لأ مش هسأل ومش هقول أي حاجة.

أجبته بعصبية وصوتي قد علا بعض الشيء: ليه مش هتقول حاجة؟ أنت ليه بتعمل كدا؟

- بعمل إيه؟ وبعدين وطي صوتك أنا مش عايز مشاكل.
- صح، أنت صح، احنا مش عايزين مشاكل، بس أنت لازم تعرف إنك مش مجبر عليا يا (أدهم).

تركته والتفت لأدخل منزلي لأعود أدراجي إلى غرفتي، أمسك بمعصمي حتى كاد أن ينزعه من مكانه، كدت أن أقع أرضًا فنظر إلي بعصبيته ونظراته القاسية وقال: أنتِ رايحة فين؟ أنا ما قلتلكيش تمشي!

- أنت بتعاملني كدا ليه؟ أنا بجد مش فاهماك، يعني أنت عايز تمشي وما تسألش فيا ومش عايزني أعاتبك حتى؟!

ضغط على أسنانه بقوة وتحدث قائلًا: ما فيش حاجة اسمها ما بتسألش فيا، أنا مخنوق زيك بالظبط، ومش ذنبي إنك بتشوفي كوابيس وحشة، ومش ذنبي إن أنا الشخصية الشريرة في كوابيسك.

- لا بجد؟ خلاص يا (أدهم) أنا آسفة إني حكيتلك، أنا آسفة إني طلبت مساعدتك عشان أخرج من اللي أنا فيه.

قلت جملتي وأبعدت يده عني بقوة والتفت عائدة إلى غرفتي، لم أتقدم إلا خطوة تقريبًا حتى نزعني من مكاني وجذبني إلى صدره مهدهدًا على كتفي بحنان وكأنه شعر بندمه، قال بصعوبة بالغة وكأن الكلام لا يكاد أن يخرج من حلقه: أنا آسف، أنا ما كانش قصدي أضايقك.

أجهشت بالبكاء وقلبي ينتفض من مكانه دون أن أتفوه بكلمة، جسدي يتقافز بين ذراعيه، أخذ يهدئني، نظر إلي وقال: خلاص يا حبيبتي ما تزعليش نفسك، خلاص اهدي يا سمر عشان خاطري.

حاولت السكوت الذي لا أملك غيره الآن، لكن جسدي لا يزال ينتفض بأنفاسي المتصاعدة، فقال وهو يواسيني: (سمر)، خلاص أنا هحل الموضوع دا، بس اصبري الفرح يخلص ونسافر، وبعدين لو اتكرر الموضوع دا تاني ممكن أعرضك على أي دكتور شاطر هناك، خلاص اهدي بقي عشان خاطري.

هدأت من روعي ومسحت دموعي وعاد كلانا لأسمع والدة (أدهم) تحاول إقناع والدتي بذهابي إلى شيخ ليقرأ عليَ وكأنني ممسوسة، سكت الجميع فور دخولنا وقامت والدته بتغيير الموضوع تمامًا لينقلب إلى مراسم الزفاف وكيفية إنهائها، قالت لي بأن أجلس بجانبها، أخذت تبتسم وتتحدث عن كوني ابنتها التي لم تلدها، شعرت كالمنبوذة بينهم جميعًا، أبتسم لهم وأجاملهم ولكن عقلي لا يتقبل ما يدور بعقولهم عني الآن، لست تلك المسكينة التي يظنون أن وصلات عقلها قد اشتعلت، لست تلك المسكينة التي يظنون أن عفريتًا أو جنيًّا قد تلبس جسدها، لا لم أجن بعد ولن أسمح لهم بالتفوه بتلك الترهات عني مرة أخرى.

استأذنت عائلة (أدهم) بالذهاب، دخلت غرفتي وأغلقت بابها بقوة فور رحيلهم، أخذت والدتي وأختي يدقان الباب.

- (سمر) افتحي الباب، سمر بقولك افتحي الباب.
- مش فاتحة وامشوا من هنا دلوقتي حالًا، ما تخافوش عليا أصلًا ما فيش حاجة حصلت، أنا تعبانة وعايزة أنام مش أكتر.

غطست لأضع رأسي داخل وسادتي لأبكي بحرقة، لهيب من الغيظ يخترق صدري، عيناي تنهمر بالدموع التي أغرقت وسادتي بأكملها، أفرغت ما بصدري حتى تورم جفناي وتوصلت أخيرًا لقرار يكون حاجزًا نفسيًّا بيني وبين كوابيس، قررت ألا أتحدث مرة أخرى، سأُخرِس نفسي، سيكون الصمت هو صديقي الوحيد، إلى أن تكف أحلامي عن مراودتي، أو إلى أن أمَل أنا الصمت.

استيقظت صباحًا لأجد يدًا تداعب منابت شعري بهدوء، فتحت عينيَّ التي أثقلتها دموع الأمس، فوجدت (أدهم) يجلس بجانبي، لم أندهش ولم أتحرك، أغمضت عينيَّ مجددًا وهبطت برأسي إلى وسادتي، لاحظ صمتي غير المعتاد فقال: حبيبتي اللي حنتها النهاردا مش هتقوم تجهز نفسها ولا إيه؟؟

ظللت صامتة دون التفوه بكلمة، فقال: (سمر)، أنا عارف إيه اللي مضايقك، وأنا أكتر واحد فاهم اللي حسيتي بيه امبارح، سمر أنا آسف، بس أنا عايزك تعرفي إن كل واحد في حاجة منغصة عليه عيشته، بس احنا لازم نواجهها علشان نعرف نعيش.

- ولو كانت الحاجة دي ما ينفعش تواجهها؟ حاجة من وحي خيالي أتفاجئ بيها بتتحقق قدامي وأتفاجئ تاني بكل اللي حوليا وهما بيشككوا في قدراتي العقلية.
- (سمر)، انسي كل اللي حواليكي، وارفضي رأيهم فيكي بكل عيوبك، أنتِ بس اللي تقدري تحددي لو الحاجة دي هتأثر عليكي في المستقبل ولا لأ.
- قصدك إيه؟ يعني ممكن أحلامي تستمر بعد جوازنا؟ قصدك ممكن تخرب حياتنا؟!
- بصي، أنا ما قلتش كدا بالظبط، بس ليه لأ؟
- وإيه العمل؟
- لو الموضوع دا استمر معاكي يبقى ما فيش حل تاني غير إن احنا نشوف حد متخصص، وصدقيني مش عيب إنك

تتعالجي عند دكتور نفساني، أكبر رؤساء العالم بيتعالجوا عند دكاترة نفسيين.

- بس يا (أدهم) أنا..

قال مُقاطعًا لإقناعي: اسمعي أنا هقولك على سر هيخليكي تصدقي كلامي، أنا كنت بتعالج عند دكتور نفساني قبل كدا من سنتين.

أجبت مندهشة: بجد؟ ازاي وعملك إيه؟

- هه، عملي إيه يعني، كتبلي علاج وادينى قدامك اهو زي الفل ومدير أكبر سلسلة من الشركات وهتجوز أحلى مخلوقة على الكوكب.

انفرج فمي بابتسامة كادت تشقق وجهي فقال ليغير ذلك الجو الكئيب: أنا هخرج اعمل تليفون مهم، إيه رأيك تكلمي صحباتك وتعزميهم؟

اتصلت بجميع من أعرفهن تقريبً،ا حتى جاءت والدتي لتجلس بجانبي، بدأت تطرح أسماء بعض من معارفنا وأقربائنا، علمَت بأنني لم أتصل (قصدًا) بخالتي خوفًا من (أدهم)، فأصرت عليّ للاتصال بها.

دخل (أدهم) فوجدني أتحدث إلى (إبراهيم) الذي رد على هاتف والدته، ظل واقفًا يبتسم بغيظ إلى أن أغلقت الخط وخرجت أمي، علمت بضيقه فحاولت التحدث معه ليتفهم ما حدث، لم ينتظر حتى أكمل كلامي حتى رفع كفه نحوي، فانتفضت لأرجع إلى الوراء، أضع وجهي بين كفي يدي خوفًا منه، لاحظ ذعري فظل واقفًا على حالته للحظة ثم أنزل كفه لأكشف وجهي ببطء، انهمرت الدموع من عيني بغزارة فمسح

وجهه مستغفرًا، دخل أخي غرفتي ليناديني فلاحظ حزني، سألني عما أبكاني، نظر إلي (أدهم) نظرات مليئة بالوعيد والتهديد، فقلت: ما فيش يا (أحمد)، عندي شوية صداع، ما تخافش،روح وأنا هحصلك.

لم أقل ذلك بسبب خوفي من تلك النظرات، ولكن قلتها لعدم التقليل من شأنه أمام عائلتي، فهو الآن زوجي، يمتلكني ويتملكني حُبه، تذكرت تلك اللحظة، بعضًا من وصايا أمي التي كانت تنصحني بها "إوعي في يوم تزعلي جوزك، إوعي في يوم تخليه يتعصب، خليكي عاملة زي ضله بس ما تخنقيهوش، الراجل دايمًا كل حاجة فوق دماغه، لو في يوم اتعصب عليكي ومد إيده عليكي الدنيا مش هتقف، مشاكل الراجل والست هتفضل موجودة ليوم الساعة، بس الست الشاطرة اللي تحافظ على علاقتها مع جوزها مهما حصل، إذا حسيتي في يوم إن حبه ليكي بدأ ينقص يبقى أنتِ أكيد مقصرة، يبقى تراجعي حساباتك وتعرفي ازاي تصالحيه، اتعلمي فن التودد، اتعلمي فن الحكمة والرزانة، شوفي الأمور من زاوية تانية، كوني ليه عكازه وقت كسرته، اوزني بدماغك واعرفي إمتى تتكلمي بقلبك وإمتى هتتكلمي بعقلك".

كانت كلمات أمي البسيطة ـ التي نادرًا ما تقولها أم لابنتها في زماننا الذي يكسوه انعدام القيم ـ هي سلاحي الذي يجعلني أرضخ لأفعاله الغريبة، كانت تلك النصائح من أثمن ممتلكاتي.

لم ترَ (سمر) القابع بين فواصل تلك الكلمات من قمع، والذي يُقنع نظيراتها من الفتيات ويُرغمهن على عيش حياة مليئة بالقهر، تُرغمهم تلك الكلمات المؤثرة سلبًا على الاستمرار في حياة يملؤها الخداع، تُرغمهن على الإنصات والخضوع للأوامر دون التفكير أو المناقشة،

تجعلهن كالآلات يتحركون دون علمهن بأنهن مسخرات ليعملن بالسُخرة وليس في عُش زوجية كما يسمونه، نعم بعض العلاقات تبدأ بتلك الكلمات الرقيقة والتي تُفقد الطرفين كليهما حواسهم لتبدأ عملية بناء عش الزوجية الخاص، بهم ليكون دليلًا وتوحيدًا لحُبهم، فيفاجأ أحد الطرفين بظهور الآخر على شاكلة هو لم يعتد وجودها بذلك الجسد الذي كان ينضح بالحنان سابقًا.

بعض العلاقات تمر علينا عابرة فنود استمرارها ولكنها تذهب دون رغبةً منا، وعلاقات أخرى تأتي رغمًا عن أنوفنا لتستمر أبد الدهر، ولكنها تظل تحمل اسم (علاقة)، تظل كما هي ببرودها وفتور مشاعرها، بلونها الباهت المُشوه لأجل أسباب هي لنا أهم ما نمتلك، كتلك السيدة التي تقطن بجوارنا، أراها تتحمل عبء زوجها السكير لأجل أبنائها، ليشكلوا سعادتها لتتناسى آلامها ولتكون لهم السكن والأمان ومصدر تحقيق أمنياتهم، كان فقدانها لهم يُمثل فقدان السماء لنجومها، استمرت بحياتها مع ذلك العربيد السكير لإخراج أطفالها من بالوعة الوصم والعار تُحارب لأجلهم، لأجل إبعاد كلمات مجتمعنا القاسي عن فلذات كبدها.

نعيش في مجتمع يعيش على التسمع والتطوير، مجتمع يسمع الأخبار خلسة ويطور منها كما يود نشرها وكما يود الباقي سماعها، لتكثر الأقاويل وتزداد الإشاعات.

- (سمر)، أنا عايز أفهمك حاجة، أنا عصبي والكل عارف كدا وما بعرفش اتحكم في أعصابي، وممكن أقول أي حاجة واعمل أي حاجة وأنا متعصب، فيا ريت تحاولي ما تعصبنيش نهائي عشان نعرف نعيش مع بعض.

- بس أنا ما عملتش حاجة.
- خلاص يا سمر أنا ما بحبش الكلام الكتير، أنا فاهم قصدك وهتحمل وجود البني آدم الرخم دا في فرحي غصب عني، وبعدين هما يومين ونسافر ونسيب مصر خالص ونبدأ حياة جديدة مع بعض ما فيهاش أي حد يتدخل في حياتنا.

صمتت للحظة وقلت: أنت بتغير عليا؟؟

أجاب ساخرًا: هه، أنت عارفة إجابة السؤال دا كويس.

- بس أنا عايزة اسمعها منك.

نزل على ركبتيه ليجلس أرضًا وأنا لا زلت أجلس على ذلك الكرسي بغرفتي وأجاب قائلًا: أنا بغير عليكي من السماء اللي شايفاكي، بغير عليكي من هدومك اللي أنتِ لابساها، بغير عليكي من السرير اللي بتنامي عليه، بغير عليكي من صحباتك اللي بيكلموكي، بغير من والدك لما بيحضنك، ببقى عايز أخبيكي، ما تستغربيش كلامي بس أنا بحبك لدرجة إني مش عايز حد يلمحك غيري.

لا أحد يفهم غيرة الرجل، لا أحد يتفهم معانيها المتعددة الواسعة، غيرة الرجل تكمن في هيبته وعظمته، يمنحها فقط لمن يعشق لتكون هي الدالة الوحيدة على رجولته وعلى صدق حُبه، ولا أحد يُبدد وجودها

في الذات الشخصية للرجل، لكن هناك فرقًا كبيرًا شاسعًا بين غيرة الرجل وهوسه، ذلك الهوس الذي قد يؤدي إلى تدمير علاقة كاملة مبنية على الحُب الصادق المُخلص بمنتهى السهولة بدون أي إنذارات مُسبقة.

- (سمر)، أنتِ دلوقتي أهم حاجة في حياتي، انتِ من أهم ممتلكاتي، وبصراحة أنا بتعصب لما بشوف حد بيبصلك، بحس إن روحي هتطلع مني، بحس بضيق وخنقة، ببقى عايز افقع عين أي حد بيبصلك حتى لو كان قريبك.

لم يكن كلامه طبيعيًّا كان يتحدث من أعماق قلبه، يُخرج ما بصدره دون تخطيط أو حتى تزيين لكلماته كان كلامه صادقًا، لم يراني منذ فترة طويلة ولكنه أحبني بهذه الطريقة، غيرته قد تكون مؤذية على المحيطين بي لكن ليس علي أنا، فهو يحبني، قد يكون سفرنا ربحًا لعمله، ولكنه سيكون بالتأكيد إنقاذًا لحياة أحدهم.

انفردت صفحة وجهي، أعجبتني كلماته التي تدل على عشقه وهوسه بي، فمن منا تجد أحدًا يُحبها أكثر من نفسه ولا تعجب به؟ نظر إلي منتظرًا أي رد مني على كلامه، خائفًا من ردة فعلي، جلست بجانبه وسحبت كفه وقبلت براجمه مؤكدة تقبلي أي شيء يصدر منه.

ابتسم دون تصديق، قبل جبهتي بحنان وذهب مُسرعًا ليرى تجهيزات قاعة الزفاف، والتي سيتم فيها زفافي الذي سنحلق بعده بطائرة تخترق السُحب إلى البرازيل.

ليلًا بعد انتهائي من حفلة الحنة بعد مغادرة الجميع، صديقاتي وأقربائي، أخذ (أدهم) يُرسل لي بعض الصور التي قد التقطها ليريني كل التجهيزات، يُتابعني منذ رحل بالبث المباشر على هاتفه ليخبرني بكل جديد.

أتى صباح جديد وانشقت سماء يوم مليء مُحمل بالسعادة الممزوجة بدموع الفرح كما تُسميها أمي، فاليوم هو الأخير لي في بيت عائلتي، استيقظت مبكرًا قبل الجميع وأخذت أمسح على كل حائط موجود بالمنزل لأشتم عبق الذكريات المحفورة بكل شبر من منزلي، خرجت لأجلس في تلك الطرقة أمام منزلنا، والتي تعد مكاني المفضل الذي

أفرغ به أرقي من طفولتي، يتسلل نسيم الصبح البارد المشبع بالأكسجين الصباحي ليداعب أنفي وينعش أفكاري، جلبت كرسيًّا صغيرًا وجلست أتذكر ذكريات الطفولة في هذا المكان منذ كنت أكتب فروضي وأنتظر عودة أبي بجدائل شعري وشريطة حمراء صغيرة وضعتها لي أمي لأكون أجمل الفتيات كما كانت تقول، سأترك كل تلك الذكريات خلف ظهري ولا أعلم هل سأتمكن من العودة إليها مرة أخرى أم لا.

تساقطت زخات قليلة من المطر على وجهي، تفاجأت فنهضت وبدأت بالقفز في بقعة الماء تلك على الأرض، خرجت أختي أراها تنظر إلي وتضحك بفرح وكأنها تود ملء عقلها بملامحي، نظرت إلي نظرة مشتاقة مودعة، خرجَت للعب والقفز مثلما كنا نفعل في الصغر، نظرت لي وهدأت ضحكاتها ببطء شديد وجلست على الكرسي، دمعت عيناها بقطرات متلألئة من دموع محملة بالحب المكنون داخل قلب أختي لي.

عانقتها فأخذت تحرك أناملها صعودًا وهبوطًا على كتفي برقة وهي تقول: هتوحشيني، مش هلاقي حد أتخانق معاه، مش هلاقي حد أسرق هدومه وأغلس عليه زيك، بجد هتوحشيني يا سمارة.

اعتادت أختي مناداتي بـ "سمارة " لمضايقتي في صغرنا، ولكن الآن أصبحت تلك الكلمة من أحب الكلمات على قلبي، والتي سأفتقدها

بشدة في المستقبل.

- جاءت والدتي قائلة: يا سلاااام، قاعدين هنا زي عادتكوا، قومي يا حلوة نحضر الفطار، وأنتِ يا سمر هتفضلي قاعدة مع البت دي كتير هتوجعلك دماغك، قوموا يلا يا حبايبي عشان عندنا شغل كتير النهاردا.

العائلة هي أفضل ما قد يحتاج إليه الفرد، هي التي تقويه وتُنميه وتجعل منه فردًا قادرًا على مواجهة الحياة بعقباتها، العائلة هي القوة الخارقة التي قد تجعلك تنجح وتسعد بحياتك، فقط إذا كانت طبيعية مستقرة وقوية، وقد تجعلك تنهار تمامًا إذا ظلت العلاقات بها رخوة لا يمكنك الاستناد إليها، فهي سلاح ذو حدين كأشياء كثيرة، إما أن تقوينا أو تُضعفنا.

أتى اليوم الموعود الذي ينتظره جميع من حولي بفارغ الصبر وهم فرحون، منزلنا مليء بأناس لا أعرفهم، أحدهم يقوم بتعليق الزينة وعقود الأنوار المضيئة متعددة الألوان، والدتي مشغولة هُنا وهُناك تكاد أن تنشطر لكثرة الأعمال التي تود القيام بها، الكل يعمل والفرح يغمرهم، أسير بينهم أراهم يضحكون ويتغامزون، يلقون التحية والابتسامة تُزين ثغورهم وكأنني شخصية مشهورة من فيلم ما، تغمر السعادة وجه والدي وهذا فقط ما أريده.

جاءت عائلة (أدهم) لتتمم على بعض الأشياء، وجدت أصدقائي وزميلاتي بالعمل وجميع من أعرفهم حولي، منزلنا لم يعد يحتمل ذلك الكم الهائل من البشر داخله، تجهز الجميع وانقسموا ليقوموا بتجهيز العريس والعروس.

صعد (أدهم) إلى سيارته بعد أن ركبت فيها ليأخذني إلى الكوافير، صعد كل المقربين مني ليأتوا في سيارات أخرى ليساعدوني ويجهزوني وكأني عروس! بالفعل أنا عروس وهذه اللحظات تعد الأخيرة لي، ليس مع عائلتي فقط، بل في مصر بأكملها.

الجميع يضحكون ويضعون المساحيق، أبادلهم فقط الابتسامات لا أعلم ما الذي يُربكني إلى هذا الحد، لا أعلم، أشعر وكأنني كنت فاقدة لوعيي فترة من الزمن، وكأن عقلي كان منومًا مغناطيسيًّا، أتذكر كل اللحظات التي قضيتها مع (أدهم)، ولكنني أتساءل كيف فعلت هذا؟ ولما فعلت هذا؟ لا أملك خيارًا آخر سوى الابتسام لأخوض مع الخائضين دون فهم ما يحدث.

لما ذلك الارتباك إذا كنت سأتزوج من أحببت؟ لم الخوف؟ فلم تراودني أحلامي المزعجة منذ ثلاثة أيام تقريبًا، وذلك يعني أن لا وجود للخطر على الأقل اليوم.

أخذتني والدة (أدهم) لتريني فستان زفافي، لاحظت هدوئي الممزوج بالشرود فسألتني عما أصابني، خبأت تعابير وجهي وابتسمت وقبلت رأسها وقلت لها إنني سأذهب لارتداء الفستان.

خرجت من غرفة تبديل الملابس فصرخ الجميع من فرحتهم، عانقتني والدتي وأختي، بدأ الجميع بالاستعداد لحفل زفافي الذي لم يتبق عليه إلا ساعات قليلة ويبدأ.

انتهيت من اللمسات الأخيرة التي تعتقد أمي بأنها ستجعلني أجمل، بعد دقائق قليلة أتى (أدهم) بحُلته الرائعة وهو يحمل باقة من الورود بين يديه ومنظره يخطف الأنظار من حولي، وبقوامه الفارع جعل الفتيات يتغامزن ويتهامسن فقط على جماله.

وقف أمامي باسم الثغر، قبل رأسي وانحنى نحوي قائلًا: أنتِ أجمل واحدة شوفتها في حياتي، أخيرًا لقيتك عشان تنوري حياتي.

أظهرت ابتسامة خفيفة، عقلي لا يصدق الأمر ولا يتقبله البتة، مر كل شيء بسرعة دون أن أشعر، أفقت من شرودي فور إمساكه بيدي ليتشابك ساعدي في ساعده، تفاجأت وكأن ذلك لم يحدث من قبل.

دخلت السيارة ولم ألتفت لجمالها، ولم أعرها اهتمام، فقط أضغط على يد (أدهم) لأتمكن من التحرك في ذلك الكعب العالي الذي آلم قدمي منذ الآن، أشعر وكأنني في حُلم مليء بالحركة والهذيان المخلوطين بالدهشة، أضحك سرًّا على ما يحدث معي، فأنا كنت رافضة تمامًا لفكرة الزواج وها أنا أتزوج، وها أنا أذهب لقاعة الأفراح لأحضر زفافي وليس زفاف واحدة من صديقاتي.

نظرت لـ (أدهم) الذي كانت تظهر عليه علامات الرضا، نظرت له نظرة شاملة ليست لهيئته فقط، تأكدت أن ذلك الشخص هو الذي حلمت به ورسمته في خيالي منذ صغري، متعلم، ذكي، جذاب، أراه بجانبي ممسكًا بيدي يسألني في خيلاء إذا كان يُعجبني مظهره الآسر، فأنظر إليه وأضحك بشدة، يقوم بتعديل رابطة عنقه ويقول في تذمر: أنتِ بتتريقي؟ يعني شكلي وحش بجد؟

- لأ طبعًا.
- أمال في إيه؟؟
- أنا بس مش مصدقة اللي بيحصل، مش مصدقة إن أنت معايا دلوقتي، عارف أنا رسمتك قبل كدا وأنا صغيرة والصورة عند ماما في البيت.

- بس أنتِ شوفتيني إمتى وأنا صغير؟ إوعي تكوني حاطة عينك عليا من وأنا لسه في ابتدائي.
- ههههه، لأ طبعًا يا ظريف، أنا بس اتخيلت فارس أحلامي وأنا صغيرة هيكون شكله إيه، وبالصدفة رسمتك على هيئتك دي دلوقتي وأديك بقيت جنبي.

نطق هامسًا بجملة لم أسمعها: يعني دا مش الدوا؟!

- غوا؟ أنت تعرف حاجة عن البلد دي؟ دي في الهند.
- لأ غوا إيه وبتاع إيه، أنا بس مستغرب يعني دي حاجة حلوة إنك تتنمي حاجة وفجأة تتحقق.
- دا ما كانش خيال، أنا حلمت حلم ورسمت الشخصية اللي في الحلم على الورق.
- يااه يا سمر لو احلم إن أنا مالك أكبر شركة في البرازيل ويتحقق الحلم دا.
- ربنا يرزقك.
- يااه أكبر شركة في البرازيل لاستيراد وتوريد الأدوية، دا حلمي اللي هموت واحققه، دا سبب سفرنا البرازيل.

داهمنا الوقت ووصلنا إلى قاعة الأفراح، اشتعلت القاعة بصخب الأغاني العالية والحماس والضوضاء الناتج عن كم الحضور الهائل من العائلتين كلتيهما، الجميع يهنئونني ويلتقطون لنا الصور وأنا في غاية السعادة، عائلتي حولي، ليس هناك ما يؤرقهم أو يُثقل صدورهم، مر الوقت كالبرق ولم أشعر إلا بـ (أدهم) الذي يُناديني لنلحق بالطائرة فور انتهاء زفافنا.

وصل الجميع للمطار وودعت عائلتي والدموع تنهمر فرحًا وحُزنًا لذهابي عنهم، قبلت يدي والدَاي وودعت أخي وأختي وسلمت على عائلة (أدهم) التي لم تُظهر تلك العاطفة التي أثارتها عائلتي لتوديعي، يبدوا أنهم اعتادوا سفر (أدهم) عنهم لأوقات طويلة حتى جفت مشاعرهم.

أمسك (أدهم) بيدي وانطلقنا راكضين نحو الطائرة خوفًا من أن تفوتنا الرحلة، صعدنا إلى الطائرة وجلسنا نلتقط أنفاسنا وننظر بعضنا للبعض ونضحك لوصولنا في الوقت المناسب، جلسنا على الكراسي المخصصة لكلينا، وضعت رأسي على كتف (أدهم)، أخذت نفسًا عميقًا وأخرجته بهدوء وكأني اشعر بالراحة لأول مرة في حياتي.

- صدقيني من دلوقتي كل حاجة هتتغير، حياتك هتتشقلب وهتعرفي ناس جديدة وأماكن جديدة وهتعملي كل اللي أنتِ عايزاه براحتك، وخصوصًا إني محضرلك مفاجأة هتعجبك.
- بجد؟ إيه هي؟
- تبقى مفاجأة ازاي لو قلتلك؟ استني وهتشوفي.

جلست أنظر من نافذة الطائرة الموصدة على المنازل والمُدن التي تظهر لي كعلبة الكبريت، كل الأضواء التي نراها في مدينة واحدة وبكثرة تظهر لي وكأنها كومة من الخرز المتلألئ، كان المنظر خلابًا ورائعًا يبعث الراحة والهدوء في النفس.

تمنيت لو أنني أظل مُحلقة بهذه الطائرة بعيدة عن العالم السُفلي بما فيه من مشكلات وخلافات وتعقيدات وصراعات، لأبتعد عن جميع تلك الأشياء المُخزية كالصراعات والحروب البشرية التي تأتي بالعار لشعوبنا.

العالم بأكمله يتحرك وأنا وسط السحاب، نظرت لأسفل فوجدت أن الماء تحتنا من جميع الاتجاهات، فعلمت أن هذا هو المُحيط، أخذت أنظر بتمعن فلا أرى سوى صفحة زرقاء لا تتحرك ثابتة، نظرت بجانبي لأرى (أدهم) فوجدته قد غفا فظللت أملأ عيني بتلك المناظر الخلابة.

أنزلت الطائرة إطاراتها لتهبط، وصلنا أخيرًا إلى البرازيل، ترجلنا من الطائرة إلى المطار، وفور دخولنا الصالة المخصصة لنا وجدت فرقة ترتدي ملابس غريبة بدأت بالعزف والغناء، كانت الموسيقا هادئة ورقيقة ورومانسية.

نظرت لـ (أدهم) بامتنان فقال بأنه لم يُحضر تلك الفرقة، غريب! لم تكن تلك هي المفاجأة، صرخ (أدهم) بفرح ناطقًا باسم شخص لا أعرفه، أفلت يدي ورمى الحقيبة من يده وذهب ليعانقه، رجل يرتدي ملابس غريبة كالغرب (الأجانب)، فعلمت أنه صديق (أدهم) جاء بتلك الفرقة لاستقبالنا.

أخذنا بسيارته بعد أن ألقى علي التحية، ظل يتحدث مع (أدهم) بلكنة لا أفهمها على الرغم من أنه مصري الجنسية، لم ألقِ بالًا؛ فتلك المناظر الخلابة الجديدة على ناظري جذبت انتباهي أكثر من حديثهم.

لفتت انتباهي كلمة أظن أنها تعني مرض نفسي أو ما شابه، حاولت التدقيق فيما يقولونه فوجدت أنهما يتحدثان عن موضوع خطير لم يُحدثني به (أدهم) من قبل، شيء خطير عن العمل وعن مرض يُعانيه، لاحظ (أدهم) تركيزي واتساع عيني في مرآة السيارة الأمامية، نظر إليّ في ذهول؛ فهو لا يعلم أنني درست خمس لغات ولسوء حظه تحدث بواحدة منهم أمامي، ولحسن حظي أني علمت بالأمر منذ البداية.

أحلت بصري عنه وبدأت أنظر لنافذة السيارة مرة أخرى كالبلهاء التي لا تعي شيئًا، شك (أدهم) في أنني كشفت سره الذي لم يقصص لي عنه شيئًا، بدأ الخوف يسكن قلبي من جديد، لا أعلم شيئًا عن هذا المرض ولكني بت أعلم أنه مرض نفسي.

سرعان ما وصلنا إلى منزلنا، أنزلنا صديقه، أدهشني منزلي الجديد الذي زينه (أدهم) لي بالورود من جميع الاتجاهات، دخلت منزلي محمولة بين يديه لأرى منزلي الجديد الذي لم أحلم بقرينه في أحلامي، تصاميم هندسية راقية وكل شيء متوفر وكأني دخلت الجنة، أنزلني (أدهم) من بين يديه فبدأت بالتجول هنا وهناك حتى أتى لي بورقة وقال لي أن أقرأ ما فيها، تفاجأت مما كتب بتلك الورقة، علمت مفاجأته أخيرًا، أهداني منزلنا الجديد هدية ليصبح ملكي.

تفاجأت مما فعله، كان تصرفه كبيرًا، شعرت بالامتنان فقلت: (أدهم)، ما كانش ليه لزوم دا كله، كفاية إن أنا هعيش معاك، وبعدين احنا الاتنين واحد.

- ما هو عشان احنا الاتنين واحد أنا كتبت البيت دا باسمك، و بعدين بلاش النظرة الغريبة اللي في عنيكي دي، أنتِ هتعيطي؟ أنا مش عايز نكد، لسه ورانا كتير نعمله.

ابتسمت ضاحكة بخيلاء، ذهب وفتح ستار صالة منزلنا الكبيرة لتطل على حديقة واسعة بها حمام سباحة كبير، أسرني ذلك المنظر الذي لم أعتد مشاهدته سوى على شاشة التلفاز.

نظر إلي قائلًا: يا رب تكون المفاجأة عجبتك حرمنا المصون.

- عجبتني؟ دي أحلى حاجة حصلت في حياتي، ربنا يخليك ليا.

غالبًا ما يكون بداخلنا شعور نكبحه بتعابير وجوهنا بلغة الجسد، والتي إذا تحكمنا بها جعلتنا نتفادى وقوع الكثير من المشكلات، أحيانًا نتغاضى عن بعض الأشياء التي تضايقنا لأسباب بالغة الأهمية لدينا، لنتمكن من إكمال حياتنا مع من نحب دون أن تتحول التفاصيل الصغيرة إلى مشكلة كبيرة.

لن يُخبرني بأمر مرضه، لن يخبرني الحقيقة، سيدعي بعض الأكاذيب ليقنعني بأي شيء غير الحقيقة؛ لذلك قررت أن أعلم دون إخباره، وذلك لأنني أخشى أن يُصيبه مكروه، أخشى مضايقته بأمر معرفتي فقررت البحث سرًّا دون علمه حتى أتمكن من مساعدته.

الحُب ليس إلا خيوطًا من نسيج لها طيف نشعر به ولا نراه، ولا يراه إلا من يرى ملائكة السماء، وذلك هو المستحيل بأم عينه، الحُب هو إرادة الخالق وقضاؤه الذي لا مرد له إلا انقلاب الأقدار.

يمر عليَ الوقت وأنا بجانب (أدهم) في تلك المدينة التي لا زلت لا أعرف عنها شيئًا، كان (أدهم) حريصًا على عمله ودائمًا ما يكون مشغولًا به، يذهب في الصباح إلى العمل، يرجع في المساء مُتعبًا، فقط يود النوم ليعيد يومه ضمن العديد من الأيام.

يُغلق الأبواب والنوافذ قبل خروجه للعمل حرصًا على ألا أتعرض للأذى في تلك المدينة الجديدة، والتي تختلف عاداتها عن عادات وتقاليد مجتمعنا، مضت أيام وأسابيع وأنا لا زلت محبوسة بين جدران

منزلي الجديد، لا أستطيع الخروج لأستنشق بعضًا من الهواء النظيف في حديقة المنزل.

أحاول إلهاء عقلي في ترتيب المنزل مرارًا وتكرارًا حتى وإن كان كل شيء مرتب أعيد ترتيبه من البداية من كثرة الملل الذي أصابني، عادت أحلامي المخيفة إلى عقلي، وكلما حاولت التحدث مع (أدهم) في الأمر تجاهلني ولم يُبدِ أي اهتمام لمُعاناتي، فقط يواصل روتينه اليومي بسعادة مُطلقة دون أي كلل أو ملل.

بدأت أخشى المنزل بما فيه لكثرة أحلامي المُخيفة التي تراودني كل ليلة بصورة مُلحة، أشعر بها حتى في يقظتي، أشعر وكأن هناك من يمشي خلفي، أسمع صوت مياه تغمر أرجاء المنزل، وعندما أتفحص المكان لا أجد قطرة واحدة، صوت الأواني يضج في المكان وكأن أحدهم بالمطبخ، وفور دخولي أجد كل شيء هادئًا وطبيعيًّا.

لا زلت أفكر بلامبالاة وعدم اهتمام (أدهم) لي، هل لمرضه دور في عدم الاهتمام بي؟ هل يعلم بتقصيره معي؟ هل أساله عن مرضه؟

لا لن أسأله؛ فإذا سألته عما يخفي فسيجيب بهيئتين والاثنتان لن تكمن بهما الحقيقة، فهيئة المُحب (أخفي عنك ما لا تحب)، وهيئة المُنافس (أخفي عنك ما يُمارس).

لم يُبالِ (أدهم) بوحدتي وخوفي، بل لم يكترث لأمري، أنتظر منه يوميًّا كلمة تُخرجني من اكتئابي، انتظرت نزهة واحدة مما وعدني بهم قبل مجيئنا لهذه المدينة، كم أود العودة، شعرت لوهلة بفقدان صوابي، بفقدان من أحببت ومن عشقت، شعرت بمشاعري الجياشة نحوه التي لم يُقابلها سوى البرود المُثلج بعدم الاهتمام.

جاء (أدهم) من عمله متأخرًا، أحضرت الطعام وجلس كلانا على الطاولة دون أن يحرك أي منا فمه لينطق بكلمة، وضعت كفي على وجهي وجلست أنظر إليه بالتماس فقال: خير يا سمر في حاجة؟

ارتبكت وقلت: لأ ولا حاجة.

- طيب كملي أكلك.

أمسكت بالملعقة بين يدي وجلست أداعب حبات الأرز دون ابتلاع لقمة واحدة؛ تفاجأت به يضرب على الطاولة التي أمامه قائلًا: سرحانة في إيه؟ سمر في إيه؟ لو أنتِ عايزة تقولي حاجة قولي.

قلت دون تفكير ودون مراجعة نفسي: بصراحة آه، أنا عايزة أكلم أهلي يا (أدهم)، من يوم ما وصلنا هنا وأنا ما اتصلتش بيهم ولو لمرة اطمن عليهم.

- يووووه، كام مرة يا سمر اتكلمنا في الموضوع دا؟ أنتِ ما بتزهقيش؟!!

لاحظ هدوئي وجلوسي مرة أخرى، لاحظ لمعان عيني بالدموع، فجاء ومال بجذعه مستندًا على الطاولة وقال بهدوء: سمر يا حبيبتي، أنتِ المفروض مش ناقصك حاجة، أنا موفرلك كل حاجة في البيت، وبعدين دول ما بقوش من مستواكي، أنتِ عارفة أنتِ متجوزة مين دلوقتي؟ وبعدين أهلك عايشين عيشة عمرهم ما كانوا يحلموا بيها.

وقفت في مكاني في ذهول وقلت في حيرة: مش من مستواك ازاي؟ لما هما مش من مستواك دخلت بيتهم واتجوزت بنتهم ليه؟!

أجاب بعصبية يحاول كتمها داخله: سمر، أنتِ عايزة إيه؟؟

- عايزة أكلم أهلي.
- طيب ولو قلت إني مش عايز أي تواصل بينك وبين أهلك؟ اسمعي، عارف إني بطلب منك حاجة صعبة عليكي، بس بجد يا ريت ما تفتحيش الموضوع دا تاني.

التفت ليذهب لغرفته دون إكمال طعامه، فقلت وأنا أكظم غيظي: أدهم، هو إيه اللي حصل؟ هما أهلي زعلوك في حاجة؟

أتى وقبَّل جبهتي قائلًا: لا يا حبيبتي أبدًا، الفكرة إني ما بحبش حد يشاركني في حاجة بتاعتي.

- بس دول عيلتي، لازم أكلمهم واتواصل معاهم.
- عن إذنك عشان هموت عاوز أنام، تصبحي على خير.

لم أتخيل يومًا أنني سأشتاق لسماع صوت أمي، لم يخطر ببالي أنني سأشتاق لتفاهات أختي ومزاح أخي، ذهب لغرفته لينام وأنا لا زلت جالسة على طاولة الطعام في خواء ذهني وأصابني الشرود، قلبي يشعر بأسره، وعقلي يلومه تارة ويهدئه أخرى قائلًا لعل القادم أفضل، لعل القادم خير.

يبدو أن قلبي لم يتحمل الصدمة، يخفق بشدة، يخفق بألم، كيف لي أن أنسى عائلتي؟ شعرت بالشتات، شعرت بمعنى انقطاع الأرحام، شعرت بحزن أصاب قلبي، تساءلت ما هو قرارك، تتركين عائلتك لتنفيذ أوامر زوجك؟ أم ستتركين زوجك لترضي عنك عائلتك؟ بل لتري كل فرد منها مرة أخرى؟

جلست أفكر إلى أن توصلت إلى قرار سيفصل بين وجود دعاء والدتي ونصائح والدي الثمينة، وبين زوجي ومن أحببت، قررت ترك عائلتي التي تحتاج الخروج من الظلام إلى النور، تركت عائلتي لأجل أختي التي تود إكمال دراستها، لأجل أخي الذي يخطط لبناء مُستقبله وتحقيق حُلمه.

نظرت نظرة عامة إلى حياتي الجديدة الغريبة، فعلمت حينها أنني لست سوى خادمة في الصباح وزوجة مُحببة في الليل، زوجة تتودد وتُنفذ الأوامر لإبقاء تلك العلاقة على حالها، زوجة تتودد وتُنفذ الأوامر لإبقاء تلك العلاقة على قيد الحياة.

وقفت عند الطاولة وأخذت الأطباق لأغسلها، وجدت شخصًا ما يُنادي باسمي، خرجت وفتحت باب المنزل فلم أجد أحدًا، لكن لا زال ذلك الشخص يُنادي، ذهبت خلف الصوت الذي بدأ يبتعد تدريجيًّا، ظللت أسير وأتتبع الصوت وكأنني نسيت أقدامي بالمنزل، أتحرك بسرعة على الأرض وكأنني طائرة دون قدمين تُقيدان حركتي بالخطوات.

استقر الصوت خلف شجرة كبيرة، الليل قاتم لا أرى شيئًا سوى تلك الشجرة الضخمة وذلك الصوت ينادي بخفوت، ناديت بأعلى صوتي "من هُنا؟ من يُنادي؟"، لاحظت تغير صوتي ولغتي معًا للفصحى، سكت ذلك الشخص، شعرت بحركة خفيفة خلفي، نظرت ورائي فلم أجد أثرًا لأي مخلوق، سمعت صوت خربشة وكأن هناك أحدًا ينحت شيئًا، دخلت بين تلك الأشجار التي تفوق حجمي والأوراق تخدش وجهي، ويدي وصلت لساق أكبر شجرة ليزول الظلام بعض الشيء بضوء اكتمال القمر فتنفرج أنفاسي بعض الشيء، نظرت لتلك الشجرة بتمعن فوجدت رسالة

محفورة عليها كلمة تقول «أنتِ مُراقبة»، فإذا بشخص يأتي من خلفي يُمسك بكتفي يحمل زجاجة من الماء بين يديه ويوقظني قائلًا: سمر، أنتِ كويسة؟؟

فتحت عيني بفزع فوجدته (أدهم) يقف أمامي وأنا لا زلت بمنزلي وكل شيء كما هو، حتى الأطباق مكانها، نظرت له مندهشة فقال: تعالي نامي مكانك.

ذهبت لغرفتي، وضعت رأسي على وسادتي وأنا أحدق في سقف تلك الغرفة اللامع المُرصع بالإضاءات الخافتة الملونة، تذكرت سقف غرفتي القديمة المشروخ كقلبي تمامًا، قارنت حياتي القديمة بحياتي الجديدة إلى هذه اللحظة التي يضع فيها (أدهم) يده على خصري كالذئب الذي يحمي ضحيته، يُخبئها داخل صدره خوفًا من أن ينتشلها آخر، دون أن يعلم بأن حرصه الزائد عليَ يخنقني ويزيد حياتي تعاسة، كنت أستنشق الحرية لكن الآن أتمناها لأرى (أدهم) يقف في طريقي قائلًا تبًّا للحرية التي قد تفتح بابًا للخيانة، تبًّا للحرية التي قد تُفقدني إياكِ.

تذكرت ذلك الحُلم المُزعج، ما تلك الرسالة؟ هل أنا مُراقبة بالفعل؟ ولكن من الذي يُراقبني؟ لا أؤمن تمامًا أن الأحلام في المنام رزق! فأغلب أحلامي تحذيرية، إذًا من يُراقبني في صمت؟ ولمَ يُراقبني؟ هل ينتظر مني فعل سوء ليوقعني بفخه؟ أي كائن كان من يكن ذلك الشخص سأظل مُتأهبة ولن أقع في شباكه.

استيقظت صباحًا وألم يُمزق أمعائي، فذهبت وأخرجت ما بمعدتي كله حتى كدت أسقط أرضًا، خرجت مُترنحة أرى كل شيء أمامي ضبابي، أمسك (أدهم) بيدي وجلس بجانبي يسألني عما أصابني بهلع، فأجبته

بأنني أشعر بالغثيان وألم لا يُفارق معدتي وعيني، أشعر وكأني سأفقد بصري قبل توازني.

انفرد وجهه بالسعادة التي أراها تقريبًا لأول مرة منذ دخولي هذا المنزل، تناسيت ألمي وفرحت لابتسامته العريضة التي لا أعلم سببها، أدخلني إليٍ غرفتي وساعدني في ارتداء ملابسي، خرج وأدار مُحرك سيارته وأتى ممسكًا بيدي أستند عليه من ألمي ليصطحبني معه إلى العمل، وهناك سيعرضني على أخصائية تعمل معه.

أنا أتلوى من الألم وهو ينظرِ إلي ويبتسم في وجهي، لا زلت لا أعلم كُنه تلك الابتسامة، ظل مُمسكًا بيدي بقوة والسعادة تغمره، حاولت التحكم فيٍ ألمي لأرى تلك الابتسامة التي لم أرها منذ فترة، أمسك بيدي وقبلها قائلًا: سمر، حاولي تستحملي، قربنا نوصل وبإذن الله خير ما تخافيش يا قلبي.

خرج (أدهم) مُسرعًا والتف حول سيارته ليفتح لي الباب، أمسكت بذراعه كطفلة خائفة من نظرات من حولها لها، لم أخرج من منزلي منذ فترة، شعرت وكأن الجميع ينظرون لي، وجدت طبيبة ترتدي معطفًا أبيض، والذي يرتديه الأطباء عادةً.

جاءت لتُلقي التحية علينا، كان (أدهم) لبق وبشدة، يتحدث بأسلوب أرقى مما اعتدته منه في الفترة الأخيرة، تلك الطريقة ذكرتني بـ (أدهم) القديم الذي عملت لديه بشركته، فـ (أدهم) الجديد لا يتحدث ولا يبتسم في المنزل، وكأنه قد تعاقد مع الجيش مؤخرًا.

تحدث مع تلك الطبيبة وأخبرها بأنني زوجته فقالت: أنا دكتورة (ابتسام) دكتورة مُخ وأعصاب، ممكن تناديني باسمي بدون تكاليف، وأتمنى إن احنا نبقى أصدقاء.

رحبت بفكرة صداقتها بلهفة، فتلك الوحدة قد أعلت جسدي وتفكيري، ولكني عندما نظرت لـ (أدهم) وجدته قد ذم تلك الفكرة بطريقة لن يفهمها غيري، أمرها بالذهاب لعملها، لاحظت عدم رغبته في تقرب أي شخصية كانت مني، على الرغم من أن تلك الطبيبة (ابتسام) كانت في غاية الاحترام، امرأة مُجتهدة في عملها، تدرس بجانب عملها كطبيبة سلوك المرضى النفسيين وكيفية علاجهم في علم النفس، لا أفهم كُره (أدهم) لها، ولكني لم أهتم.

أخذني (أدهم) لغرفة طبيبة نسائية فجعلته ينتظر خارجًا وأخذتني لتقوم بفحصي، بدت عليها علامات السرور هي الأخرى، وبعد أن انتهت خرجت ونادت (أدهم)، جلسنا أمامها على مكتبها لتخبرنا بأروع ما سمعت مُنذ وصولي هذه المدينة، تعجبت لذلك الخبر، تعجبت لخبر أنني سأصبح أمًّا قريبًا، تفاجأت بخبر أني سألد طفلًا ليأتي ويُخرجني من مرارة عيشي ومن كآبتي، ليملأ حياتي بهجةً وسرورًا.

ظل (أدهم) يصرخ بفرح: أخيرًا يا سمر هيبقى عندي ابن يحمل اسمي ويشيل شغلي وشركاتي.

لم أتفاجأ بردة فعله، لقد نسب الطفل لنفسه وكأنه شيء من ممتلكاته هو الآخر، حتى قبل أن يأتي إلى هذه الحياة، عانقني بفرح واعتصر جسدي داخل صدره، دسست جسدي بين ذراعيه، عانقته بيديَّ كلتيهما وبكل ما أوتيت من قوة وقلت وأنا ألتقط أنفاسي لكثرة فرحتي: مبروك يا حبيبي، أنت هتكون أحسن أب في الدنيا كلها، هيبقى عندنا ابن وهنعمله كل حاجة مع بعض، هيكون أجمل حاجة في حياتنا، مش كدا؟

- هيكون أجمل حاجة عشان أنتِ هتكوني مامته، ربنا يخليكي ليا يا أجمل ما خلق ربي.

قبل رأسي وشكر الطبيبة وذهب لإحضار السيارة أمام ذلك المبنى، طلب مني الانتظار في غرفة الاستقبال، فوجدت تلك الطبيبة (ابتسام) قد جاءت وسلمت عليَ وسألتني ما إذا كنت قد انتهيت من الفحص الطبي، فأخبرتها بذلك النبأ السار الذي وصلني توًّا وأنا بأمس الحاجة لسماع خبر كهذا.

فرحت كثيرًا لسماع ذلك الخبر وكأنها تعرفني مُنذ زمن، طلبت مني أن أعطيها رقم هاتفي، فارتبكت لأنني لا أحمل هاتفًا، فلم أحتج واحدًا، وكل شيء متوفر لدي.

لم يوافق (أدهم) على امتلاكي هاتفًا ولا أعلم السبب، فقط جعل لي هاتفًا في المنزل ليتصل ويطمئن عليَ أثناء عمله، أعطيتها رقم (أدهم) وقلت لها أن تهاتفني على هذا الرقم، أتى (أدهم) وأمسك بيدي ويحيط ذراعه حولي وكأنني مريضة، ولكنني سعيدة لأنني لم أرَ ذلك الاهتمام منذ ليلة زواجي، علمت أن ذلك الطفل لن يكون مصدر سعادتي فقط، بل سيجعل زوجي ومن تملَّك قلبي وتربع على عرشه يهتم بي.

ضغطت أستند على يديه وأنا أضحك لذلك الاهتمام الذي بِت أفتقده وبشدة، رجعنا إلى منزلنا، أمسك (أدهم) بيدي وأخذني لأجلس على الأريكة وقال مُتأهبًا: بصي بقى يا ستي، من النهاردا أنا اللي هعمل الأكل وأنضف وكل حاجة، وأنتِ هتفضلي قاعدة مكانك زي الملكة تطلبي وأنا أنفذ وبس.

- بس يا حبيبي أنا مش تعبانة، وكفاية خالص إنك تروح الشغل.
- اسمعي الكلام، خليكي قاعدة هنا أتفرجي على التلفزيون وأنا هروح أحضر الغدا، ولو احتجتي حاجة ناديني.

استسلمت لرأيه وجلست أشاهد التلفاز وذهب هو لإعداد طعام الغداء، بعد ساعة تقريبًا استيقظت بعد أن غفوت على صوت أواني تنكسر ورائحة حريق، فقمت من مكاني أركض نحو المطبخ، فعلمت أن (أدهم) قد أحرق الطعام الذي حاول إعداده ولأول مرة، نظرت إليه وأنا أبتسم، نظر إلي وهو يحمل طاسة الطعام المحترق يلتمس العُذر لإتلاف المطبخ.

أمسكت بيده وقلت: مش مهم ما تزعلش نفسك خالص، عادي بتحصل مع أكبر شيفات العالم.

ضحك وقال: على كدا أنا هكون شيف عالمي؟

- هههههه طبعًا.

تفاجأت بجرس إنذار يرن والسقف يُمطر بشدة على رأسينا في جميع أنحاء المنزل ليقوم بإغراق الأثاث والسجاد، لم أعلم أن ذلك من الأساليب الحديثة المُتبعة لإطفاء الحرائق لعدم إلحاق أي ضرر بالمنزل، بالفعل هذه الدولة متقدمة في كل شيء، تبللت ملابسي وأنا أصرخ من دهشتي و(أدهم) لا ينفك يضحك وهو يُهدئني محاولًا إقناعي بأن ذلك الأمر طبيعي وحدث بسبب حرقه للطعام.

لأول مرة أشعر بجمال علاقتنا، شعرت بمعنى الرومانسية الحقيقية والذي يُخطئ فيه الكثيرون، ليست الرومانسية كما يعتقد البعض أنها كلام مُحبب أو قول يحمل معاني قد تكون وهمية وخيالية، أو حتى أفعال مُفتعلة تكمن خارج شخصية من نُحب.

الرومانسية هي صفاء ونقاء العلاقة بين أي فردين اتفقا على العيش تحت سقف واحد ليكونا هُم أهم أولويات بعضهما البعض، الرومانسية هي نقاء الروح، هي التصرف بتلقائية دون تكلف أو تصنع، دون أي شكليات، الرومانسية هي الرجوع لحظة تعصب وتأزم الأمور، وتظل كلمة الرومانسية كلمة تتعدد معانيها ووظائفها حسب اختلاف الشخصيات التي تتقمصها.

طلب (أدهم) الطعام من أحد المطاعم، دق جرس الباب وهو يُهاتف والده ففتحت الباب واستلمت الطلب وسألت موصل الطلبات من خلف الباب عن المتبقي له من الحساب، تفاجأت بـ (أدهم) يُمسك بيدي ويضغط عليها بشدة والغيظ يملؤه، دفعني عن الباب بقوة داخل المنزل فوقعت أرضًا، أغلق الباب ولم يُبالِ بي ولم يطمئن عليَ، فقط أخذ الطعام الموجود على الطاولة وذهب لغرفته.

وقفت على الأرض وأنا أفكر مليًّا ما الذي فعلته لأثير غضبه إلى هذا الحد، لما فعل ذلك؟ دخلت وقلت وأنا أستسمحه خوفًا وذعرًا من عينيه الملتهبتين بالغيظ: هو أنا عملت حاجة غلط؟

- ما اعرفش
- بس أنت وقعتني على الأرض ومش عارفة إيه السبب!
- معلش اعتبري إن ما فيش حاجة حصلت.

- (أدهم) أنا حامل دلوقتي، يعني ما ينفعش تمد إيدك عليا زي زمان.

قُلت تلك الجملة بعصبية ولم أشعر بنفسي أو حتى بوجود جسدي على أرض هذه الحياة إلا بعد ثلاث ساعات تقريبًا، استيقظت من إغماءتي فوجدت أني غارقة وسط بحيرة صغيرة من الدماء ولا أكاد أقوى على النهوض بجسدي من كثرة الألم، أطحت بعينيَّ على ساعة الحائط التي أمامي فوجدتها السادسة مساءًا، اتكأت بساعدي على الأرض لأكتشف من أين أتى ذلك الدم على الأرض حولي، فعلمت أنه قد نزف من قدمي اليمنى، فالتقطت أنفاسي التي أخرسها خوفي وحمدت الله.

حركت رأسي فلمحت حُطام زجاج على الأرض فعلمت أنه من تلك الطاولة الزجاجية التي وقعت عليَ ولا أعلم كيف! فآخر ما علق بذاكرتي هو اشتداد الحديث بيني وبين (أدهم) لينزع عنه حزام بنطاله الأسود ويُنزله على جسدي وكأنه سوط لجلاد يُعذب به المساجين لديه ولا زلت لا أعلم السبب!

تذكرت تلك اللحظة وجلست أبكي بمرارة، فتلك هي شخصية (أدهم) الجديدة التي تجعله غير راضٍ عن اتصالي بأحد، وبالأخص عائلتي، والتي افتقدها بشدة، ومنذ أتيناً إلى هذه المدينة وأنا لم أخرج من منزلي إلا اليوم للفحص الطبي.

مُنذ دخولي لهذا المنزل ومن أول ليلة أُلقيَت عليَ (الممنوعات الخمسة)، قد تبدو كلمة غريبة، ولكن تلك (الممنوعات الخمسة) تتلخص في: "ممنوع الخروج من المنزل في غيابه، ممنوع التحدث مع الجيران وإنشاء صداقات، ممنوع التحدث معه في أي موضوعٍ كان عقب

رجوعه من العمل، ممنوع طلب شيء قد أشعر برفضه له، وأخيرًا، ممنوع فتح الباب للغرباء مهما حدث".

يا لغبائي! علمت الآن فيما أخطأت ولمَ حدث كل هذا، ولكن لم يرَني موصل الطلبات، لقد حدثته من خلف الباب، أمرٌ غريب!!

أطحت بنظري على باب المنزل فلم أرَ المُفتاح مُعلقًا فيه، فعلمت أن (أدهم) غير موجود بالمنزل، حاولت النهوض من على الأرض بصعوبة وجلست على الأريكة وأخرجت قطع الزجاج المكسورة داخل قدمي، والتي جعلت قدمي تنزف بشدة، عقمت الجرح وحاولت استجماع قوتي لتنظيف المكان حتى لا يتضايق (أدهم) فور رجوعه.

أخذت أنظف وكأني مُخدرة تمامًا لا أشعر بأطراف جسدي، عقلي مُشتت ألوم نفسي على فعلتي، ليتني لم أفتح الباب، ليتني لم أخطئ هكذا خطأ، ما الذي فعلته؟ ضايقت زوجي وأثرت غضبه وأنا أعلم أنه غيور الطبع، وأنا أعلم أنه يُحاول حمايتي من ذلك العالم الموحش.

عاد (أدهم) إلى المنزل في الثالثة فجرًا بعد أن غفوت على تلك الأريكة أنتظره، فسألته بطيب خاطر للاطمئنان عليه عن سبب تأخره إلى هذا الوقت، نهرني بقسوة وهو يُلقي بمفاتيح سيارته على الطاولة قائلًا بترنح ولسان ثقيل: أنتِ ليه بتدخلي في اللي ما لكيش فيه؟ يا ريت تفضلي في حالك وما تسألينيش عن أي حاجة تاني بعد إذنك.

انتهى من إلقاء خطبته العصماء وذهب لينام في غرفته كعادة انتهاء أي نقاش بيننا، دون أن يسألني عن حالتي، لا أعلم ما الذي فعلته لكل هذا! وهل ما فعلته يستحق كل ذلك العناء؟

بات كل شيء غريبًا وكأنني في أحد كوابيسي أسير بلا هُدى وعقلي مُشتت مُضطرب؛ فحُبي الأول وعشقي الذي تمنيته منذ طفولتي يُنكر عيشًا قد تقادم عهده محاولًا قطع كل حبال الوداد، والتي أحاول جاهدة إعادة ربطها مرة أخرى لتبقى تلك العلاقة بلا تتغير لتكون كما تمنيت.

اشتقت لنفسي القديمة البسيطة التي كانت تعمل سكرتيرة في إحدى الشركات، اشتقت لذلك الوقت الذي كان يتقرب فيه (أدهم) مني، اشتقت لتلك اللحظات الرائعة التي قضيناها معًا، اشتقت لعائلتي، اشتقت للتحدث، للكلام، اشتقت لكل شيء أصبح ينقصني.

شعرت بالضعف والهزيمة والندم لأول مرة على زواجي، والذي لم أعرف طعمه إلى الآن، شعرت وكأنني أذوب من حسرتي على نفسي، فإذا كان الحديد يشعر بتلك الحرارة التي يُسلطها الحداد على جسده فمن أنا حتى لا أذوب من تلك القسوة التي يُسلطها عليَ زوجي الذي أحببت؟!

غرست حُبه بقلبي وبنيت آمالًا واهية ورسمتها، بل ورسختها في عقلي، شغلني بكلماته الحانية وبأحلامه الوردية ولم أرَ بعد ذلك شيئًا، حتى أنني لم أطلب أيًّا من هذه الأشياء، فقط تمنيت حياة طبيعية كأي زوج وزوجة يعيشان حياتهما دون مشكلات، دون شك، دون ريبة، دون أسئلة، وعلى الرغم من كل ما حدث وما سيحدث فأنا أحبه، ولن يتغير ذلك الحُب ولن يقل درجةً واحدة، وسأظل أحبه حتى آخر شهقة وزفيرها لي على هذه الأرض.

الحُب هو سرطان المشاعر والألم الذي يُصيب قلبك ليجعله مُمزقًا مائلًا إلى السذاجة، الحُب كلمة نراها بأعيننا صغيرة، نكتبها بأيدينا فلا نشعر بحجمها، ولكن تلك الكلمة تشمل الكثير من المعاني والتصرفات،

والتي قد ترفع من شأنك أو تُنسيك آدميتك، الحُب كلمة لزجة جميلة تربطك بالأشياء حتى وإن كانت قبيحة ولا تستحق عناءك.

دائمًا ما يتسلل ذلك الحُب إلى قلوبنا، فهو ضيف لا يُفضل الاستئذان قبل دخول القلوب، يتسلل إلى مشاعرنا ويسلبها ويأسر حواسنا ويجعلنا كالمجاذيب بمجرد سماعنا لكلماته الدالة عليه، فلا تنظروا إلى الكلمات، انظروا إلى مشاعرها لتتمكنوا من معرفة ما بها من حُب.

تسلل الصباح بنسيمه العابر، نظرت للوقت فوجدتها السادسة فانتفضت من مكاني وقمت وأعددت الفطور لـ (أدهم) حتى يأخذه معه للعمل كعادته، وبعد انتهائي ذهبت لإعطائه إياه فرفض ولم يسألني ما إذا كنت أحتاج شيئًا كعادته، وغادر وهو يُغلق الباب بقوة.

لا أعلم كيف سأحاول تهدئته ومُصالحته، أخذت أُرتب بعض الأشياء الموجودة في المنزل، وبينما كنت أمسح الغبار عن تلك المكتبة الصغيرة التي تحوي الكثير من الكُتب، لفت انتباهي وجود كتاب كنت قد قرأته من قبل، أمسكت به وأخذت أقلب صفحاته، أرجعته لمكانه فتحرك كتابان من مكانهما دون أن ألمسهما، فسمعت صوتًا كصوت أزيز لباب قديم، فوجدت المكتبة بما فيها من كُتب تتحرك إلى الأمام.

اندهشت ورجعت إلى الخلف خوفًا مما حدث، توقفت المكتبة عن التحرك وأنا لا زلت أقف مكاني أشاهد في ذهول، أمسكت بطرف المكتبة لأنظر خلفها فرأيت غرفة كباقي غرف المنزل تُشبههم في اللون والتصميم، ولكن تم سد بابها بتلك المكتبة العملاقة عمدًا.

دخلت تلك الغرفة فوجدت حاسوبًا والعديد من الشاشات التي تُشبه شاشات التلفاز مُعلقة على الحائط، كلما نظرت لكل واحدة منهم على

حِدة وجدت جُزءًا من المنزل بها، غرفتي وغرفة المعيشة وصالة المنزل والحديقة الخارجية، حتى دورة المياه، كل شبر من ذلك المنزل الواسع موجود في تلك الشاشات.

ضغطت عن طريق الخطأ على أزرار الحاسوب الموجود أمامي وأنا أتكئ على الطاولة، فرأيت نفسي البارحة عندما كان (أدهم) يُفرِغ عصبيته وسخطه عليَ.

علمت أن تلك الشاشات تابعة لكاميرات مُراقبة مُتناثرة بجميع أرجاء المنزل، وتلك الكاميرات تقوم بتسجيل كل ما يحدث داخل المنزل، تذكرت حُلمي الذي حلمت به من فترة وتلك الرسالة المحفورة على الشجرة "أنتِ مُراقبة"، بالفعل أنا مُراقبة!

شعرت بوخزة ألم وليس حُب كالمرة الماضية، لم أتخيل أن (أدهم) قد يفعل ذلك بي، لم أصدق أنه يُشكك بي وأنا لا أعرف أحدًا غيره في هذه المدينة الغريبة عني، وهو يمنع اختلاطي مع البشر، لكن إذا كانت كاميرات المُراقبة موجودة هُنا بالمنزل فلا بد من وجود جهاز يُظهر له ما يُعرض على تلك الكاميرات معه يُخبره بآخر أنبائي، ولكن هل هذه الغرفة مُراقبة أيضًا؟

كيف لي أن أعرف؟ لم يعد الأمر مُجديًا، لم يعد الأمر مُهمًا، فلا أعلم ما الذي فعلته لأستحق ذلك البُغض والكُره من زوجي الغالي! خرجت من تلك الغرفة التي كادت تحبس عني الأكسجين في عروقي، أرجعت المكتبة لمكانها الطبيعي وقررت ألا أتحدث معه عما رأيت حتى لا أتسبب في إحراجه، وإن حدث وعلم بما حدث من خلال تلك الكاميرات فلن يكون هناك جدران بيننا وقتها، فقط سأحاول فهم أهمية

وجود تلك الاحتياطات بمنزلنا.

لن أتكبد عناء المُجادلة في موضوع كهذا حتى لا أدفع بنفسي في ورطة لا أستطيع الخروج منها، وخصوصًا أنني أحاول جاهدة ألا أضيع ذلك الطفل الموجود داخلي، والذي حلمت بوجوده قبل زواجي.

تذكرت الآن أحلامي التي كانت تراودني عن (أدهم) وعن هيئته البشعة والتي كنت أراها يوميًا، فها هي تتحقق شيئًا فشيئًا، كنت أخشى تلك الأحلام وأنعتها بالكوابيس، لم أعلم أن لحظات اليقظة التي أعيشها قد تكون أكثر وحشيةً، لم أعلم أن حياتي ستصبح أكبر كابوس رأيته منذ ولادتي.

دخلت تلك الحياة دون قصد، دخلتها عن عمد، دخلتها لألقى قدري المحتوم يوم ولادتي، تألمت وتألمت أمي العزيزة، لم أعلم أن مُفارقة عالمي الصغير ستُرهقني إلى هذا الحد، لم أعلم أن غرفتي ببطن والدتي كانت هي الجنة الصُغرى بحد ذاتها، لأخرج إلى هذا العالم الموحش الذي ابتدأ بضوء مُسَّلط على عيني، وطبيب يضربني أسفل ظهري والكل ينظرون ويبتسمون بثغر واسع لا تسعهم فرحتهم بقدومي لهذه الحياة، لم أكن أعلم أن الدنيا بهذه الكلاحة، فلو علمت لما خرجت من ذلك النعيم الذي كنت أعيشه ببطن أمي، كل ما أحتاجه يصلني دون أن أطلب، دون أن أشعر بحاجتي إليه، فلو علمت أن هذا هو مصيري للففت ذلك الحبل الذي كان يُطعمني حول عُنقي لأختنق دون الخروج من حافظتي الصغيرة.

لو كنت أعلم لما تسابقت بشراهة مُنذ البداية نحو رحم أمي لأكون أنا الفائزة بسباق الحيوانات المنوية، لأولَد وأعيش هذه الحياة المُزرية والتي تكسرني كل مدى وتحطمني دون أن أعرف السبب، شعرت وكأني

أسيرة في سجن كبير مُرفَّه مليء بالنعم، كل ما أحتاجه حولي بجانبي إلا الحُب الذي تمنيت، إلا العائلة التي فقدت، إلا الذكريات التي أضعت.

تذكرت تلك الأحلام التي تتهادي أمام عينيَّ كفيلم رُعب يعرضه عقلي الباطن ليُخيف المتبقي من أجزاء جسدي، ما آلمني بالأمس يزورني اليوم رغمًا عن أنفي، وما أقبح تلك الزيارة التي تحمل في جُعبتها الكثير من ألم الماضي وقُبحه ومرارة المستقبل!

المستقبل الذي لا أضمنه ولا أعلم كيف ستكون وجهتي لأجعله أفضل مما أنا عليه، جلست على الأرض ووضعت يدي على رأسي والهم يملؤني وأنا لا زلت أفكر في تلك الورطة التي وقعت فيها دون أن أشعر.

(أدهم) شكاك بطبعه، وعصبي لدرجة لا أتحملها، حياته مريبة وبها الكثير من الغموض، فما الذي سأفعله؟ توسلت لربي ليساعدني مررًا وتكرارًا.

رفعت يدي إلى السماء وجلست أبكي خوفًا وإرهاقًا مما أعاني من قلة حيلتي، لم تهمني رؤيته لي في تلك الكاميرات المحيطة بي في كل مكان، أصابني شعور خدر جسدي حتى أوقعت نفسي في انهيار عصبي لكثرة بكائي، أخرجت ما ضاق به صدري سرًّا دون أن أرفع صوتي بحرف واحد، فقط دموع تتسارع لتملأ تلك البقعة التي أجلس عليها.

كلما حاولت مسح دموعي وتهدئة نفسي شعرت بضيق واختناق أنفاسي ببطء، جلست على الأريكة وتمددت أحتضن وسادة داخل صدري، فوجدت نفسي أغوص بداخلها حتى وقعت في ثقب أسود، مكان مُظلم لا أرى منه شيئًا، حاولت النهوض ولكني شعرت بألم شديد في بطني، نظرت حولي فوجدت ضوءًا خافتًا يأتي من نافذة صغيرة مُغطاة

بأعواد من الحديد وكأنها نافذة لسجن ما.

حاولت جاهدة مقاومة الألم، ذهبت نحو الضوء وعندما اقتربت من تلك النافذة علمت أني لست بمنزلي من الأساس، وكأن هناك من خطفني، تحسست جسدي فوجدت نفسي على غير هيئتي الطبيعية، أرتدي ملابس بيضاء مُتسخة غريبة اللون، لمست بطني فوجدتها أكبر حجمًا مما كانت عليه من قبل، وكأن الوقت قد مر بسرعة!

حاولت الاستناد إلى الحائط لأبحث عن أي مصدر إنارة في هذه الغرفة، وجدت زر الإضاءة أخيرًا، ضغطت عليه فأنارت الغرفة لتُصدم عيناي مما رأت، لست في غرفتي، بل لست في منزلي من الأساس!!

هل هذا سجن؟ لا لحظة، ما تلك العلامة الموجودة على السرير؟ اقتربت بخوف وأنا أشك في ماهية وجودي هُنا في هذا المكان، تحققت شكوكي في نفس اللحظة وتأكدت من وجودي في مشفى للأمراض العقلية، أنا في مشفى للمجانين!!

استيقظت على صوت دق جرس الباب، انتفضت من مكاني، تقدمت قدمي إلى الأمام ورجعت مكانها مرة أخرى، أصابني هلع وذُعر، بل ضجة عارمة، ولكنها تحدث بصمت وسكينة بالغة داخل قلبي دون أن تظهر شظايا لهيب تلك الحمم المُتناثرة داخل كل بقعة داخل جسدي.

رن جرس الباب مرة أخرى فاضطررت فتحه، وعندما وجدت الطارق ارتاحت أنفاسي وهدأت قليلًا تلك العاصفة داخلي، سلمت عليها وسألتها عن سبب زيارتها المفاجأة، فلم تنتظر إجابتي، دفعت الباب ودخلت إلى المنزل، تجمدت مكاني ونظرت إليها تدخل ثم لساعة الحائط، فعلمت أن وقت قدوم (أدهم) من العمل قد اقترب، وهو يمنعني من استضافة

أي بشرية على وجه الأرض في منزلنا، قالت بعدما جلست على الأريكة: جميل بيتك يا سمر، إيه أنتِ هتفضلي واقفة مكانك كدا؟

ابتسمت لها في ارتباك وأغلقت الباب وذهبت لإحضار كوب من العصير وجلست تتحدث معي عن العمل وعن عائلتها وعن ابنها الصغير، كانت تتحدث وكنت أنا شاردة البال فيما قد يحدث إذا حدث ودخل (أدهم) المنزل الآن، ما الذي سيفعله إذا رآها؟ لا، بل تُرى ما الذي سيفعله بعد رحيلها؟

سيُفرغ عصبيته المُفرطة وينهال عليَّ ضربًا، ولن أستطيع الدفاع عن نفسي، قررت الاقتصار معها في كل حديث فتحته ولم يهمني ظنها في أنني لا أود استقبالها، أخذت أنصت لها، أومئ برأسي وأبتسم على كل شيء تقوله تقريبًا.

سمعت صوت الباب يُفتح فعلمت أنه قد أتى، نظرت إلى الباب في خوف وهو يُفتح؛ فأنا أعلم أن مصيري المشؤوم يقف خلفه، فتح (أدهم) باب المنزل فتفاجأ بوجود الدكتورة (ابتسام) زميلته بالعمل.

استغربت ردة فعله، ألقى عليها التحية وجاء ليقف بجانبي، أحاطني بذراعيه وقبلني وكأنه يتطبع بطباع أهل هذه المدينة، وأخذ يمدحني أمامها وأنا لا زلت أقف كالصخرة دون أن أحرك ساكنًا، أبتسم ابتسامة خفيفة مُندهشة من تلك المسرحية التي تُدار أمامي، ليكون زوجي العزيز هو البطل كالعادة، فهو الزوج الرائع المثالي الذي يتمناه الجميع ولا أحد يعرف حقيقته غيري.

جلس (أدهم) يتحدث معها عن العمل وعن نفسه ويمتدح أسلوبه الراقي في إدارة شركاته الخاصة، أخذ يسألني عن أشياء في عمله لا أفقه عنها شيئًا ليجعل مني أضحوكة أمامها.

كانت تلك الطبيبة راقية الفكر، أحسست من نظراتها أنها قد فهمت ما يحاول (أدهم) فعله، فاستأذنت للرحيل مدعية أنها قد تأخرت، ذهبت وذهبت خلفها لأرافقها إلى الباب، نظرَت إلى تلك الضمادة على قدمي فقلت لها إنني قد جُرحت قدمي البارحة، سلمت عليَ وأعطتني كارت صغير به رقم هاتفها لأحدثها إذا احتجت شيئًا.

أغلقتُ الباب خلفها وقلبي يرتعد خوفًا مما قد يحدث الآن، أدرت ظهري وذهبت لأجلس بجانبه على الأريكة، لم يقل أي منا كلمة واحدة، نظرت إليه فوجدت أن تعابير وجهه لا توحي بالخير، فقلت لأكسر ذلك الصمت البليغ: أخبار الشغل إيه يا حبيبي؟ كله تمام؟

وضع يده أسفل ذقنه وقال مُبتسمًا بمكر: كله تمام يا حبيبتي.

- (أدهم)، أنا آسفة إذا كنت ضايقتك في حاجة، وأنا آسفة إني دخلتها بس أنا..

قاطع كلامي وهو يرمقني بنظرة منافية لكلامه: بس أنتِ ما عملتيش حاجة غلط يا حبيبتي، مش كدا؟

تأملت كلماته المُغطاة واندفعت قائلة: إذا ما كنتش عملت حاجة غلط ليه ضربتني؟

قام من مكانه والتف خلف ذلك الكرسي الجالسة عليه وأمسك بكتفيَّ وضغط عليهما بقوة وقال بدهاء وهو يزفر أنفاسه الغليظة: ضرب الحبيب زي أكل الزبيب يا سمر، وما دام أنتِ زعلانة أوي كدا فمن

النهاردا ما فيش ضرب وبهدلة ولا حاجة تزعلك مني تاني، من النهاردا هنتبع أساليب جديدة هتخلينا نعيش حياتنا بدون أي مشاكل.

قبل جبهتي وذهب لغرفته ليبدل ملابسه وتركني غارقة في أفكاري في تلك الكلمات الغامضة التي قالها لي، تُرى ما تلك الأساليب الجديدة التي سيستعملها (أدهم) والتي ستُسعد حياتنا؟ هل تلك الكلمات تحمل معاني السعادة بالفعل؟ أم تحمل بين طياتها الغموض والتورية التي ستجعل مني أتعس بشرية على هذا الكون؟!!

قمت وجهزت الطعام وجلسنا نأكل معًا ونتحدث عن عمله وعن إدارته الجديدة لشركة أحلامه التي كان يتمناها منذ فترة، فور انتهائنا من الغداء أخذ الأطباق وأصر على غسلها هو، أعجبني ذلك التغير المفاجئ، ولكني لا أود أن أحسد نفسي على هذه اللحظات، فلا أعلم ما قد يأتي لي في المستقبل.

من الغريب أنه لم يتحدث عما رآه بتلك الكاميرات، هذه ليست طبيعة (أدهم) التي أعرفها، تُرى ما الذي يُخطط له؟ البيت كله مُحاط بكاميرات المراقبة، وبالتأكيد علم بأنني اكتشفت أمر تلك الكاميرات، لما لم يعلُ صوته بالضجيج؟ أمرٌ عجيب!

أتى (أدهم) ومعه كوبان من عصير الرمان الذي أفضله وقال: إيه رأيك؟ عملتلك العصير اللي أنتِ بتحبيه عشان ما تزعليش.

ابتسمت وشكرته وجلس كلانا يُشاهد التلفاز إلى أن أتت مكالمة هاتفية لـ (أدهم) فذهب ليُجيب، بعد انتهائه أتى والسرور يملأ وجهه، سألته فأجاب: إيه رأيك تيجي معايا النهاردا؟ كل الموظفين في الشركة عاملين بارتي صغننة عشان مسكت مكتب الإدارة النهاردا، إيه رأيك؟

وافقت دون تفكير، كانت تلك هي فرصتي الوحيدة منذ فترة لأخرج من جو الكآبة الذي أعيشه، بدلت ثيابي وارتديت أبهى فستان لدي، فذلك يعد موعدي الأول مع زوجي منذ قدومي لهذه المدينة، خرجت وركبت السيارة و(أدهم) ينظر إلي برفق، انطلقنا متجهين إلى أكبر الفنادق والتي سيقام في باحتها حفل تكريم (أدهم).

أخرجت رأسي من نافذة السيارة أشتم عبق الأكسجين النقي الذي لم يُداعب أنفي منذ فترة، نظر إلي (أدهم) مبتسمًا، أمسكت بكفه وغلغلت أصابعي بين أصابعه لتكون جزءًا من يديه فقال لي: سمر، أنتِ لسه بتحلمي بحاجات ملخبطة وكدا ولا خلاص راحت الأحلام لحال سبيلها؟

ترددت في الإجابة وقلت بارتباك: ساعات بحلم بس عادي كل الناس بتحلم، وأنا ما عدتش بخاف زي الأول.

- بس أنتِ قلتيلي إن أحلامك كانت بتتحقق!
- ما اعرفش يا أدهم، ما تيجي نغير السيرة بقى.
- أنا بس كنت بتطمن عليكي عشان أنا كلمت أهلك من يومين.
- بجد يا أدهم؟ وأنت ليه ما قلتليش؟ أنا كنت عايزة اطمن عليهم.
- أهو اللي حصل، ما تقلقيش هما كويسين أوي وبيسلموا عليكي، ومامتك سألتني عن حالتك النفسية، عشان كدا أنا بسألك.

شردت بذهني دون أن أجيبه في ذكريات الماضي التي جعلتني أخشى كل ما يدور من حولي.

عام 2010:

كنت في عامي الأول، طالبة جديدة تدخل مدينة جديدة عليها في كلية التجارة الخارجية بجامعة طنطا، سافرت لأجلس في مدينة جامعية مع أقراني من الطالبات وتركت عائلتي ورائي لإكمال دراستي، وبالطبع كان سبب سفري هو مجموعي الذي خانني في الثانوية العامة كأي طالب لا يأخذ ما يريده ولا يكون في ذلك المكان الذي تمناه.

دخلت وبدأت حياتي الجديدة في الجامعة، تعلمت الكثير من الأشياء وكونت العديد من الصداقات، فأنا بطبعي اجتماعية أحب الناس والتعامل معهم حتى حدث ما حدث.

في يوم كنت جالسة أذاكر واضعة سماعات الأذن في غرفتي التي تحوي اثنتين من زميلاتي اللاتي يرافقنني بغرفتي في المدينة الجامعية، كان كلٌّ منا يُذاكر على طريقته، وكلُ منا يجلس في ناحية، أنا على الأرض، و(نجلاء) على السرير، و (منة) على طاولة الطعام، جلس الجميع يُذاكر في صمت؛ فغدًا هو امتحان (الميدتيرم) كما يسمونه، ومادة دكتور (عبد السميع) تحتاج إلى مُذاكرة، بل تحتاج إلى (هرس) الكتاب وبلعه لتتذكر أثناء الحل، وإلا ستكون من الراسبين الذين يبقون لعام دراسي آخر، حدقت بي (نجلاء) فنزعت السماعات عن أذني وسألتها ما بها، قالت لي بأنها تحتاج لشيء تأكله، تملك الجوع من كلينا، حتى أنا شعرت بهبوط، ذهبت أسأل (منة) إذا كانت تحتاج شيئًا.

كانت (منة) انطوائية لا تفضل التعامل مع أحد، فقط تُفضل البقاء وحيدة مع نفسها دون سلام أو كلام، فقط تذهب لمحاضراتها وترجع

لتذاكر أو لتتحدث عبر هاتفها، لا نعرف عنها شيئًا، على عكسي أنا و(نجلاء)، فلا يوجد سر بيننا، نعرف أسرار الأسرار بعضنا عن البعض، كانت (منة) مرتبطة بشاب تحبه ويحبها، يتحدثان على الهاتف طوال الليل حتى تسقط جفونها لتنام، وفي الصباح لا يمنعها عن الحديث معه إلا محاضراتها.

تركتها جالسة على طاولة الطعام تذاكر في التراس، أو في (البالكونة) كما نسميها نحن، دخلت فوجدتها تتحدث مع حبيبها وتصرخ فيه بشكل جنوني وكأنه قد قام بافتعال مصيبة.

لم أستمع لتلك النبرة من قبل في صوت (منة)، لم يعلُ صوتها إلى هذا الحد من قبل، ترى ما الذي يحدث معها؟ سمعت صراخها فظللت واقفة مكاني أراقبها من خلف الباب، رأت ظلي يتحرك على الطاولة أمامها، التفتت وقامت بالصراخ في وجهي لأذهب من أمامها.

تركتها ورجعت لأجلس مع (نجلاء)، فوجدتها تقول لي: يا ختي سيبك منها ويلا ننزل نجيب أكل، أنا هموت من الجوع.

- لا يا نجلاء اصبري نطمن عليها وبعدين ننزل.
- بقولك إيه، أنا مش فاضية لشغل الهبل دا، لو مش هتيجي أنا نازلة.
- اصبري يا نجلاء، قُلتلك هنطمن عليها وننزل.
- خلاص خليكي أنا نازلة.

لاحظت إصرار (نجلاء) وجديتها في أسلوبها، فاضطررت النزول معها خوفًا عليها لأن الوقت كان قد تأخر، وأيضًا لأنني أريد استنشاق

بعض الهواء النقي الذي قد يفتح آفاق عقلي للدراسة، نزلنا من الدور الخامس والذي نقطن به، فوجدنا حارس الأمن والمشرفة لم يوافقا في البداية على إخراجنا لشراء الطعام، فأخرجت ورقة بفئة خمسين جنيه وأعطيتها للمشرفة، أخيرًا قامت بإقناع حارس الأمن.

ذهبنا لشراء كيس من قطع الفراخ، أو (البانيه)، وبعض من أكياس الكاتشاب ورجعنا مسرعين كما نبهتنا المشرفة، وجدنا شخصًا يتحرك في الأفق وكأنه خيال لرجل طويل يقفز من فوق سور المدينة الجامعية ليركض مهرولًا بسرعة، لم أرَ وجهه، ولكن بدت عليه علامات الخوف، انطلق وانطلقنا دون تعقيب، فلا بد أنه كان هناك ليقابل إحدى الفتيات أو لسرقة شيء ما، لم يهمنا الأمر ولم نتحدث عنه طويلًا.

دخلنا المدينة فلم نجد لا الحارس أو المشرفة، غريب! ذلك مكان جلوسهما، أين اختفيا تاركين الباب خلفهما لأي لصٍ يمر هكذا؟ دخل كلانا إلى المبنى وإذا بصوت عويل مُذرٍ يكاد أن يخلَع طبلة أذني، جميع الأبواب تُفتح ليروا مصدر الصوت، وجميع الطالبات الجامعيات كنَّ بالخارج ينظرون وينتظرون معرفة سبب ذلك الصراخ.

وجدت حارس الأمن يطل علينا تقريبًا من الدور الخامس يقف على السلالم قائلًا باستغاثة: اطلبوا الإسعاف اطلبوا الإسعاف.

لم نفهم مقصده من طلبه للإسعاف، ولكننا لم نهتم، فلا بد من وقوع أحدهم على الدرج أو ما شابه، ولكن ازداد الفضول لدى (نجلاء) قائلة: سمر، إيه رأيك نطلع نشوف في إيه؟ صوت الصويت مش سهل، أكيد فيه مصيبة والبنات كلهم نازلين بيعيطوا ونازل عليهم سهم الله.

قلت لها بضيق: ما تهدي بقى يا نجلاء كفاية الفضول بتاعك دا بقى هتودينا في داهية في يوم من الأيام بسبب كلامك الزيادة، وبعدين كدا كدا المصيبة اللي هتموتي وتعرفيها حاصلة في نفس الدور، تعالي يا اختي أما نشوف اللي حصل.

صعد كلانا ومع كل درجة نصعد عليها يزداد صوت العويل، الفتيات ينزلن لاطمي الخدود والأعين مليئة بالدموع ولا نعلم السبب، سمعت إحدى الفتيات تهمس: "يا حرام كانت غلبانة وفي حالها"، وأخرى ترد عليها قائلة: "يا ترى هي عملت في نفسها كدا ليه؟"، وثالثة ترد عليهم: "أعوذ بالله! إيه اللي يخلي بنت تنتحر بالشكل دا؟ دي أكيد اتجننت".

ساورتني الشكوك وازدادت ريبتي من الأمر، سمعت فتاة تهمس باسم (منة) وهي تبكي، نظرت إلى (نجلاء) والذعر يملأ قلبها، نظر كلانا للآخر في خوف، قلبنا يتأهب لسماع صدمة لم تكن بالحسبان، تطايرت أقدامنا تسابق درج السلالم راكضين نحو الدور الخامس، أوقفتنا إحدى الفتيات والتي كانت صديقة (نجلاء) قائلة وهي تضع يدها على كتف (نجلاء): منة تعيشي أنتِ.

دلفت تلك الفتاة تبكي بحرقة، نظر كلانا للآخر في ذهول وتجمدت أقدامنا مكانها للحظات من الصدمة، ولكن صرعتنا أصوات البكاء فأفقنا راكضين نحو غرفتنا لنجد (منة) مُممددة على الأرض غارقة في دمائها السائلة لتحيط بجسدها النحيل من كل صوب فتتشوه ملابسها البيضاء لتصبح ملونة بالكامل باللون الأحمر، وجدناها ممددة أرضًا، تتدلى من رقبتها الشرايين وبيدها سكين كبير لم أرها يومًا في غرفتنا.

لقد ذبحت (منة) نفسها ولا يعلم أحد منا السبب، الغرفة مليئة بأناس كثر، وجدت الحارس والمشرفة فعلمت أنهما قد تركا عملهم بسبب تلك الواقعة.

صُدمت لما رأيته، صرخت بشدة وخرجت لإفراغ ما بمعدتي الخاوية، أبكي بشدة من هول المنظر، قدماي ترتعدان فمي يسيل باللعاب بشدة، قلبي يتهابط ويتصاعد في خوف، أمسكت إحدى الفتيات بي قبل أن أتدحرج من سلالم الدور، بدأت أبكي بعويل كسابق الفتيات، أبكي صارخة باسمها مرارًا وتكرارًا مشيعة الندم على تركها، أرثيها بهدوئها ونقاء قلبها وما فيها من محاسن.

أتت سيارة الإسعاف، صعد المسعفون لحملها، لم تنقضِ ثوانٍ حتى صعد رجل يرتدي جاكيتًا أسود من الجلد وبنطالًا أسود ذا شوارب عريضة وحاجبين ملتصقين يتحدث في جهاز لاسلكي، يأمر بعض الرجال العراض من حوله مُتجهًا نحو غرفتنا، والتي ماتت بها صديقتنا، دخل وأمر المسعفون بتركها مكانها إلى أن يتم التحقيق ليتعرف إذا كانت جريمة قتل أو انتحار.

بعد وقت لا بأس به وليلة مريرة عصيبة على جميع من بالمدينة أمر الضابط بنقل (منة) صديقتي التي ذهبت ـ ولا يعلم أحد السبب إلا الله ـ إلى المستشفى العام ليتم عرضها على الطب الشرعي لمعرفة ما إذا كانت القضية جريمة قتل أم بالفعل هي من ذبحت نفسها.

أمر الضابط رجال الشرطة بالقبض علينا أنا و(نجلاء) والحارس ومشرفة الدور واثنين من الفتيات، واللتين قاما بالإبلاغ عن وقوع الحادثة.

- حضرتك احنا مالنا؟ احنا كنا بنشتري أكل ورجعنا اتفاجئنا باللي حصل، قالتها (نجلاء) دون خوف.
- انتو هتشرفونا يومين لغاية ما ييجي تقرير الطب الشرعي، ادعو إن صاحبتكوا تكون انتحرت؛ لإنها لو كانت جريمة قتل اعرفوا إن السنة هتضيع من عمركوا.
- بس حضرتك احنا ما عملناش حاجة، حرام احنا ما لناش ذنب، مش كفاية صاحبتنا ماتت؟ كمان عايزين تسجنوننا بدون سبب؟ نطقت بجرأة وعصبية تملكت جسدي بأكمله.

أشر بيده إلى ضباط الشرطة لأخذنا إلى (البوكس) الذي يحملون به المجرمين، القتلة منهم والسفاحين والذين لا يمتون لشبابنا ولعمرنا ولشخصياتنا بصلة.

صعد جميعنا إلى (البوكس)، المشرفة تبكي وتداري وجهها بطرحتها التي على رأسها، الحارس يردد (حراااام حراااام يا ناس، احنا مال أهليـ..) لم يُكمل كلمته حتى ضربه العسكري أعلى ظهره قائلًا بتهكم: هنشوف أنت مال أهلك يا روح أمك.

علمت أننا ذاهبون إلى المالانهاية، نظرت إلي (نجلاء) في خوف فأمسكت بيدها لأطمئنها وأنا بالكاد أحاول طمأنة نفسي، فإذا انفتحت (نجلاء) بالبكاء فلن تصمت، ظلت قابعة في سكون على إثر الصدمة؛ فرؤية الدم ليست هينة، وخصوصًا إذا كان نازفًا من صديقة غرفتك، والتي تعد كأختك التي ببيتك.

قلبي يشحذ السكون والهدوء، لكن دقات قلبي لا تقبل الهدوء الذي يأمره به عقلي، أخذ العسكري الجالس أمامنا ينظر إلينا وكأنه يقيس

أجسادنا بالشبر، يتفحص ملامحنا بعينيه ليُرضي غرائزه، منعت نفسي عن لكمه لتتورم عيناه التي ستسقط علينا، يبدو أنه لم يرَ أي فتاة منذ سنين.

وصل الجميع إلى القسم، أنزلنا الضابط وحبس الجميع في زنزانة تطل على مكتبه، تقريبًا هي المخصصة لمن يأتون في تحقيق جديد، ظللت واقفة أنظر إليه في خوف، أنظر إليه بانكسار محاوِلَة جعل قلبه يلين لإخراجنا على الأقل أنا وصديقتي (نجلاء)، ولكنه لم يهتم، جلس يؤدي بعض الأعمال المكتبية، يرتسم أمامنا بشخصية بالتأكيد هي ليست ملكه، يرمي الأوراق ويسب أمناء الشرطة والعساكر أمامه بأبشع الألفاظ ويُدخل الأهل في شتائمه، نظرت إلي (نجلاء) وبدأ الخوف يُجلجل قلوبنا وأخذت تبكي في هدوء شديد.

أمر الضابط بإحضار الحارس ليأخذ أقواله ولكنه لم يأخذ أقواله فقط، فقد ضربه أمامنا بشدة، وبالتأكيد لم ينفك عن تهديده وسبه بأبشع الألفاظ وأبذئها، كان لسانه لا يحمل طيبًا، فقط يشوه أسماعنا بتهديد ووعيد وأشياء لم تقع على آذاننا من قبل.

جاء دوري قبل (نجلاء) بعد أن أتى دور المشرفة والفتاتين معنا، خرجت فأمرني بالجلوس أمامه على الكرسي، لم تسقط دمعة من عيني، جلست أمامه دون خوف؛ فأنا لم أفعل شيئًا لأُحاسَب عليه، فقط سأقول الحقيقة ولا يهمني ما سيحدث لي، فلن يصيبني من خير إلا وقد كُتب لي، ولن يصيبني شر إلا وقد كُتب عليَ.

ـ أهلًا يا آنسة سمر، تاخدي تشربي مياه؟

بدا لي في جلسة تعارف، أردفت قائلة: لا شكرًا.

- طيب أنتِ كنتِ فين وقت الحادثة؟ ولو ما جاوبتيش هطلع عين أ**.
- من غير شتايم حضرتك، أنا وصاحبتي كنا بنجيب أكل من برا المدينة.

تعجب ردي واستغرب جرأتي فرد قائلًا: طيب يا حلوة يا اللي ما بتحبيش تتشتمي، بتقولي كنتي برا بتجيبي أكل أنتِ والسنيورة اللي هناك، إيه اللي يخرجك من المدينة وفي حارس والساعة كانت داخلة على ١١ بالليل وأنتِ عارفة إن المنطقة هادية؟

- كنا جعانين ومحتاجين أكل من برا، ولو حضرتك مش مصدق اسأل البياع اللي في البقالة اللي على الناصية وشوف أكياس الأكل لسه زي ما هي، وقعت مننا في الدور الرابع أول ما عرفنا الخبر.
- وأكيد اللي طلعكوا الحارس ابن الوس**.

ضغطت على أسناني بقوة كدت أن أكسرها وقلت: لأ اللي خرجتنا المشرفة.

- ازاي بقى يا حلوة؟؟
- دفعتلها خمسين جنيه عشان تخرجنا.
- أيواا وأنتوا بقى..

قاطعت كلامه وقلت: حضرتك بتحقق في قضية قتل ولا قضية خروجنا من المدينة؟

نظر إلي في تحدٍ ومال على الكرسي الجالسة عليه قائلًا: شكلك أنتِ العاقلة اللي فيهم، اسمعي لما أقولك، القضية قضية قتل مش انتحار، يعني أنتوا مطولين معانا ولسه في نيابة وسين وجيم، فاللي يعرف حاجة منكوا ينطق عشان ما تباتوش في التشريفة الليلة دي.

لم تنكسر عيني عن النظر إليه بحدة على الرغم من ذلك الخوف الذي يرتجف منه قلبي، ولكنني حاولت عدم إيضاح ما يدور داخلي له، قال جملته ونظر إلى تلك الزنزانة ليرى من بها، نظرت إلي (نجلاء) وقالت في همس وهي تبكي: أنا عارفة حاجة.

ذهب إليها الضابط يهرع كالمجنون قائلًا: إيه اللي أنتِ عارفاه؟

- إوعدني إني لو قلت إنك هتخرجنا أنا وسمر.

نظرت لها بعصبية، كنت أود كسر عنقها لنتخلص منها هي الأخرى بسبب كلامها الزائد ولسانها المُنفلت، جلست بجانبي على الكرسي الآخر والضابط يملأ قلبها بالوعود الزائفة التي أخذت تصدقها كالبلهاء دون تركيز، جلست فأعطاها الماء والعصير، كما عرض عليها التدخين قبل أن يخرج سيجارته ليدخن هو الآخر.

ما هذه المسرحية التي تُدار حولي؟ لما يرانا ذلك الضابط وكأننا بائعات هوى أو ما شابه؟ فبعرضه تلك السيجارة على (نجلاء) يجعل منا أضحوكة ونكتة تافهة لتُشعر من حولنا بأننا لا نعرف شيئًا عن الاحترام، يُمسك بيدها خوفًا من أن يقع كوب العصير من يدها، شعرت بالجزع، كم كان ذلك الضابط مُقززًا بمعنى الكلمة! كان يُثير اشمئزازي.

- اتكلمي يا نجلاء وسيبك من سمر خالص، ووعد هخرجك أول ما تقوليلي على كل اللي أنتِ عارفاه.

قالت وهي تتلعثم بخوف وهي تبكي: حضـ.. حضرتك احنا قبل ما نطلع نجيب الحاجة من برا لقينا (منة) بتتكلم في التليفون حضرتك وبتزعق بصوت عالي، ودا مش طبعها لإنها هادية جدًّا وخجولة بطبعها، واحنا حضرتك راجعين لقينا حضرتك راجل بينط من فوق سور المدينة حضرتك وخفنا نناديله ليكون حرامي أو يئذينا.

نظر إلي الضابط بمكر وقال: إيه رأيك يا سمر في الكلام دا؟

- حصل.
- وليه ما قُلتيش من الأول؟ كنتِ مخبية ليه؟ يا ترى القاتل شريكك وليكي يد في قتل (منة) صاحبتك؟ انطقي.

ردت نجلاء مسرعة: لأ طبعًا، سمر ما لهاش علاقة، سمر طول الوقت كانت قاعدة بتذاكر وفضلت تتحايل عليا إن احنا ما ننزلش غير لما نطمن عليها ونعرف مالها، لولا إن أنا رفضت عشان ننزل نجيب الأكل.

أرجعنا الضابط كلينا إلى الزنزانة، في هذه المرة أرسلنا نحن -الفتيات- ومعنا المشرفة إلى زنزانة أخرى بها الكثير من السيدات، جلست على الأرض أناجي ربي وأتحدث معه وأنا أبكي، أتوسل إليه ليخرجني من محنتي، ليغيثني، أخذت أقول بصوتٍ مسموع وأنا أطرق رأسي بالحائط التي أستند عليها: "يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني".

جاءت سيدة لا أعرفها ووضعت كفها خلف رأسي لأطرق رأسي على يديها، انتبهت لوجودها بعد دقائق فتوقفت عن تحريك رأسي، نظرت إليها فلمحت بقلبها طيبة على الرغم من علامات السكين الذي قد خدش وجهها من قبل، وضعتني في صدرها وبدأت أبكي وأنوح على حظي وامتحاناتي وموادي الدراسية التي قد تفوتني، بل سنة من عمري قد

تضيع هباءً وظلمًا وجورًا دون أن أفعل أي شيء.

بات موت صديقتي (منة) أمرًا مفزعًا، ولكن الأكثر فزعًا هو ضياع مستقبلنا، فلا نمتلك الوقت لنحزن على صديقتنا، ولا نمتلك الوقت لتذكر ما حدث من الأساس، فاليوم كان مُربكًا بقدرٍ كافٍ لتعاستنا لشهور، بل لأعوام، قصصت على تلك السيدة ما حدث معنا منذ الصباح حتى تلك اللحظة التي أجلس فيها بجانبها على الأرض.

قامت تلك السيدة وقالت لحارس الزنزانة: بقولك إيه يا عم فتحي، روح هات لبناتي شوية ساندويتشات، ويا ريت تتصرفلنا في موبايل نكلم أهاليهم إن شالله يخليك يا اخويا.

نظرت إلي (نجلاء) متعجبة الأمر، فبادلتها نفس النظرة الغريبة المتفاجئة بسلطة تلك السيدة على الرغم من أنها مسجونة، أحضرت تلك السيدة هاتفًا وأعطتني إياه، فنظرت لها بامتنان فقالت بلغتها الشرقية: اخلصي يا اختي، أنتِ لسه هتبصيلي؟ ما فيش وقت، انجزي وسلميلي على أمك وطمنيها عليكي.

نظرت إليها متعجبة قولها، كيف لها أن تعرف والدتي؟ فوالدتي سيدة حكيمة لم تعتد مصاحبة هذا الصنف من البشر، علمت أنها تمزح، أخذت الهاتف واتصلت بوالدتي وقصصت عليها ما حدث، هلعت أمي وصرخت وبدأت بالبكاء مكررة (بنتي بقت رد سجون)، كانت جدتي لا زالت على قيد الحياة، نزعت الهاتف من يد والدتي لتتحدث معي وأمرتني بالهدوء وظلت تردد (ما تخافيش، بكرا الصبح هتلاقينا كلنا فوق راسك، إيه؟ هما فاكرينها سايبة؟ أنا مش هسيبهم ياخدوكي مني).

أغلقت الخط مع جدتي فور سماعي لصوت (دَبَّة) حدثت عبر الهاتف، بت قلقة على أمي، تخيلت سقوطها فاقدة لوعيها مما سمعته، فما حدث معي ليس بالأمر السهل لا عليّ أو على فرد واحد من عائلتي، فكلنا مترابطون ونخشى قتل نملة، فلمَا ستكون ابنتهم سفاحة مأجورة مثلًا؟

6

صعدت الشمس إلى كبد السماء لتنير جزءًا بسيطًا من تلك الزنزانة، جميع من بالزنزانة نائمون، لم تغفُ عيناي قط، طوال الليل وأنا مستيقظة، (نجلاء) لم تنم أيضًا، ولكنها غفت بعد سماعها أذان الفجر وكأنها كانت تنتظره ليبعث السكينة والطمأنينة داخلها.

فوجئت بذلك الحارس، العم (فتحي)، كما كانت تناديه تلك السيدة، يهمس بصوت منخفض: فين سمر محمد؟ فين سمر يا جماعة الخير؟

رفعت يدي وكأنني بالصف ووقفت في مكاني منتفضة وقلت: أنا سمر.. قال بهدوء: تعالي، أهلك بيكلموكي من الصبح ومش عارف عايزين إيه.

تعجبت من غبائه، فلِمَ قد يتصلون بي وهم يعلمون بأن ابنتهم محبوسة في زنزانة قاتمة اللون والظلام يحيطها من كل الجهات، ولحوم البشر تكاد تكون متراكبة بعضها فوق البعض لكثرة الأجساد هنا في هذه الزنزانة.

أخذت الهاتف فوجدت أبي يتحدث، ارتجفت يداي فور سماعي صوته، فعلى الرغم من أنني لم أفعل شيئًا فإنني شعرت باهتزاز كياني وضعفي فور سماعي صوته فأجهشت بالبكاء، فشرع يهدئني ويطمئنني بأنني سأخرج اليوم لا محالة.

تعجبت من ثقة أبي الزائدة؛ فهو رجل فقير ولن يستطيع تحمل تكاليف محامي ليخرجني من محنتي، رفعت يدي إلى السماء وأخذت أدعي وأبكي قائلة: يا رب أنا أملي فيك كبير، يا رب ـنت ساعدت سيدنا يونس في بطن الحوت، وأنا مش هعمل حاجة غير إني أدعي دعاء سيدنا يونس، يا رب فك كربتي يا رب، وأخذت أردد "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" مرارًا وتكرارًا دون ملل أو كلل، فهذا هو أملي بالله وهذا هو فصل الختام.

أصبحت الساعة العاشرة كما سمعتهم يقولون، الجميع مستيقظ، أنا و(نجلاء) نبكي في انهيار، تمددت بجسدها لتنام على رجلي، حاولت طمأنتها بأن عائلتها وعائلتي قادمون لانتشالنا من الضياع الذي وقعنا فيه مجبرين مظلومين.

أتى عسكري أو حارس (صول)، لا أعلم ما هي رتبته؛ فظلام الزنزانة جعل بصري مشوشًا، قال بصوتٍ عالٍ: نجلاء عبد الحميد، سمر محمد، ماجدة الغوطي، جيهان أبو العلة، مريم نعمان، اتفضلوا قدامي الظابط عاوزكوا.

نظر بعضنا للبعض، كلنا خرجنا، فوجدت أبي أمامي تناسيت أين أنا وركضت لأضع رأسي في صدره أبكي من ذلك الظلام في الزنزانة المظلمة، ولصديقتي التي رأيتها مذبوحة أمامي غارقة في بقعة من الدماء،

ولأجل موقفي الذي لا أُحسَد عليه وأنا أقف كالسفاحين والمجرمين في سجن مليء بالقتلة واللصوص والخاطفين والناهبين.

صمدت قليلًا، نظر إلي أبي ومسح دموعي مبتسمًا ليزيل عناء وحواجز الخوف بقلبي، فوجدت رجلًا يرتدي بذله بنية اللون ويحمل بيده حقيبة تشبه في لونها لون البذلة، رجلًا قصيرًا بعض الشيء، أبيض، كبير الأنف، تحدث ذلك الرجل مع الضابط وأعطاه ورقة، مضى كلٌّ منا فيها باسمه وخرجنا كلٌّ مع عائلته التي أتت لأخذه.

لم أكن أعلم أن الأمر قد يمر بهذه البساطة، سألت أبي قائلة: بابا، أنت ازاي جبت المحامي؟

- محامي إيه؟ آه المحامي، يا شيخة امشي دا أمك عملالنا صينية رقاق وعملالك المكرونة بالباشميل اللي بتحبيها، يعني غدوة ملوكي.
- بابا ما تتهربش مني، قلي جبت المحامي دا ازاي.
- عايزة إيه يا سمر؟ المحامي جبته ازاي مش كدا؟ أخدت سيغة أمك وبعتها عشان أخرجك من المصيبة اللي أنتِ وقعتي فيها، ما تبصليش كدا، عايزاني كنت أسيبك في السجن لغاية ما خالاتك واعمامك يحنوا علينا؟ ولا لغاية لما يشمتوا فينا بزيادة؟

حاولت تهدئة والدي واحتضنته وذهبنا لمنزلي بالقاهرة دون أن أرجع إلى المدينة الجامعية لجلب أشيائي، قرر والدي عدم إرسالي إلى طنطا مرة أخرى إلا في امتحاناتي، كما استأذن مدير الجامعة وأعلمه بما حدث معنا ليمنع عنا الغياب المتبقي من العام نظرًا لحالتنا النفسية الهشة

والمتعبة بعد ما حدث معنا وبعد ما رأيناه بهاتين الليلتين.

جلست بمنزلي أدرس تحت مراقبة جدتي وأمي وأبي لي طوال الوقت، فقد أهملوا أخي وأختي اللذين يصغرانني سنًّا لما بات يحدث معي، أستيقظ مفزوعة في كل ليلة، إذا جلست وحدي أسمع أصواتًا تناديني صارخة من كل ناحية تفقدني صوابي، أرى صورًا غريبة في مُخيلتي، لم يكن بيني وبين الجنون إلا شعرة واحدة، حتى أنني بدأت أرى (منة) في كل مكان تلاحقني بثوب أبيض طويل يشبه الوشاح الحريري الصنع، تقف بعيدًا تبكي لتأتي في لحظة ويكون وجهها ملتصقًا بوجهي لتفزعني بابتسامتها المرعبة الشيطانية ورائحة كريهة تفوح فور جلوسها بقربي، على الرغم من تعطرها الدائم في حياتها، أستعيذ بالله وأُكبِّر بتكرار، أفتح عيني لأجدها تبخرت من أمامي وكأنها لم تكن موجودة بالأساس.

كلما رأيتها أصرخ فزعًا، فتاتي أمي وإخوتي إلى غرفتي ليروا ما أصابني، بت أشتاق إلى النوم بشدة، لم يزرني النوم لأيام طويلة، بدأت عائلتي تتحدث عني كل يوم ظانين بأن ما يحدث معي ليس إلا توابع لتلك الصدمة، حتى في يوم من الأيام استيقظت جدتي التي غفت بجانبي طوال الليل تقول: إيه الريحة الوحشة دي؟ دا إيه دا؟ قومي يا سمر، قومي يا بنتي.

كنت أسمعها ولكنني لا أقوى على تحريك جسدي، حركت عينيّ لتراني فنظرت لي متعجبة، حاولت النطق ببعض الكلمات ولكنني لم أستطع وكأن أحدهم قد لجم لساني، بل لجم شفتيَّ، لمست جدتي جسدي الذي تخشب ولا أعلم السبب، ومنذ متى وهو هكذا، فصرخت تنادي أمي وأبي ليحضروا.

دخل والداي كلاهما واشتما رائحة كريهة بالفعل، بدأت أمي تنش بيديها وكأن تلك الرائحة ستزول كزوال ذبابة من أمامها، أمسكت أمي بجسدي وحاول أبي تحريكي وإنهاضي من مكاني رغمًا عني، ولكن جسدي كان قد تحجر مكانه، نظرت خلف باب غرفتي فوجدتها جالسة، بدأت عيناي تدمع دون أن أصدر أي صوت، حركت إصبعي بصعوبة كبيرة، رفعت إصبع السبابة نحوها ليراها الجميع.

وقفت جدتي في ذهول لا ترى شيئًا ولا والداي أيضًا، لماذا لا تظهر لهم وتظهر لي أنا فقط لتخيفني ليقشعر جسدي فور رؤيتي لها خوفًا؟ وفي كل مرة تأتي تُرهق جسدي وتمتص قوتي بكل طاقتها دون أن أعلم السبب، لا تأخذ شيئًا ولا تعذبني كما أسمع في قصص الجن والعفاريت، أظن أنها تود إخباري بشيء، روحها عالقة هنا معي ولا أعلم السبب، أم أنني جُننت وهي عالقة في ذهني وذلك ما أعانيه، مرض عضال كـ (الكاتاتونيا) التي تصيب القليل منه لتجعل جسده متخشبًا لساعات دون أن يتحرك، فقط فاغر الفاه جاحظ العينان مع جسد خشبي كالهيكل، لا أعلم! جاء والدي وجلس بجانبي يتلو آيات من الذكر الحكيم على رأسي، رأيتها تقف بعيدًا تنظر بغيظ وكأن الأمر لا يعجبها، فأشرت إلى أبي لكي يرفع صوته.

أخذ أبي يرفع صوته بأعلى ما يمتلك من طبقات في حنجرته، وجدتها تُمزق نفسها بقوة وتنهش جسدها وكأنه ورقة تطايرت أمامي كالدخان، وبمجرد ذهابها انفك جسدي الخشبي ورجع إلى طبيعته اللينة كما كان من قبل، شرعت في البكاء فهدأتني أمي وقلت للجميع ما حدث معي، شكت جدتي بما حدث معي، أمسكت بيدي وبيدها الأخرى عصاها تتكئ عليها.

أدخلتني دورة المياه وأتت لها أختي الصغرى (سارة) بكرسي لتجلس وتجعلني أتوضأ أمامها، ومن خلفها يقف أبي في صمت وتقف أمي هي الأخرى في ترقب، أخذت أتوضأ لأثبت لهم عكس ما يتخيلونه، ولكن بعدما وصلت لغسل المرفقين شعرت بيدي تُربط من معصمها بشدة تكاد أن تنقطع، لاحظت جدتي توقفي فنظرت إلي بلهفة، حاولت عكس ما تفكر به، أكملت وضوئي فوجدت نفس الألم يتكرر ولكن في قدمي، نفس الربط ولكن في ركبتي.

لاحظت جدتي الأمر فقالت لي بأن أعيد وضوئي، ولكن هذه المرة بإيمان أقوى وعِند أكثر لإتمام الوضوء دون ألم، بدأت إعادة وضوئي وأنا أقول سرًّا: لنر ما الذي ستفعله هذه المرة! غسلت كفي يدي وبدأت المضمضة ثلاثًا، فأحسست بشيء سائل يتحرك داخل فمي رائحته كريهة كالصدأ، بدأ يكثر في فمي حتى تجرعته ولكن خارج فمي، أخرجته بأقصى سرعة وإذا بضرسي يقع والمغسلة تمتلئ بالدماء ولكنها ليست دماء خلع ضرس، فهي كثيرة ولا تزال تسقط من فمي!

لاحظت أمي الأمر فخرجت صارخة بصوت مرتفع أفزع إخوتي فأتوا ليروا ما يحدث مع أختهم الكبرى، رأوا كمية الدماء التي تسقط من فمي بصورة غير طبيعية، هلع إخوتي وخرجوا ليجلسوا بالقرب من أمي بعد أن أمرهم أبي بالذهاب بشدة، غسل والدي وجهي وفمي وأخذ المنشفة التي رآها أمامه ليضعها بفمي لتسد ذلك الجرح الدامي الحادث داخل فمي ولا زلت لا أعلم مصدره.

خرجت وجدتي تمسك بيدي وكأنني مريضة، لم يستغرق الأمر ثوانٍ حتى عادت وهي تتحدث عبر الهاتف قائلة: طيب هستناك يا مولانا كمان

ساعتين.

نظر إليها أبي ليعرف مع من كانت تتحدث فقالت: إيه؟ كلمت شيخ ييجي يقرأ على البنت.

- ومين قالك إن بنتي فيها حاجة؟ بنتي كويسة. قالها والدي وهو يمسك بكتفي بشدة ليبقيني بجانبه.

- يا حبيبي اللي بنتك بتمر بيه الفترة دي مش سهل، البنت ممكن تكون اتمست، والدليل كمية الدم الغريبة اللي نزفتها، والأغرب البنت اللي ماتت وهي بتقول إنها بتشوفها.

رددت قائلة في وهن: بابا، خليها تجيب الشيخ، يعني احنا إيه اللي هنخسره؟ بالعكس، دا هيقرأ قرآن، يمكن ارتاح بعدها.

- بس يا بنتي..

قاطعت كلامه قائلة: أنا عايزة أي طريقة أتعالج بيها عشان أنا كدا هتجنن رسمي ومش هكمل دراستي، والسنة كدا هتروح عليا.

نظر إلي أبي في حيرة؛ فالبارحة كانت ابنته مسجونة والآن ممسوسة ويا ترى ما الذي سأكون عليه غدًا!

جاء الشيخ الذي تحدثت معه جدتي بعد ساعتين بالضبط، أدخلته أمي وذهبت لتجلس مع إخوتي في غرفتها، فأنا أعلم أن أمي تخاف هذه القصص، جلست أمامه وأبي بجانبي من ناحية وجدتي من الناحية الأخرى، بدأ الشيخ بقراءة القرآن وأمر جدتي بإشعال أعواد البخور.

تحدث معي الشيخ قائلًا: خير يا بنتي؟ أنتِ شكلك تعبان خالص، احكيلي كل حاجة بتحسي بيها من البداية خالص.

أجبته بتلقائية دون أن أعي ما يحدث معي وكأن أحدهم يتحدث بداخلي على لساني: ما أنت مش هتصدقني.

تعجب والدي طريقتي في التحدث معه، فأنا أحترم كل من يكبرني سنًّا وأعظمه في حديثي، ولكن قال الشيخ بلين: ما تخافيش يا بنتي، أنا معاكي وفي صفك، قولي اللي أنتِ حاسة بيه.

- أنا بحب (محمود) جدًّا، وهو السبب في كل اللي بيحصل لـ (سمر) دا مش أنا.

قال الشيخ مرتبكًا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إذا أنتِ يا بنتي مش سمر، أمال أنتِ مين؟

- أنا (منة).

نظر أبي إلى جدتي ونظر الشيخ إلى كليهما يطمئنهما بنظراته وقال: طيب يا منة مين (محمود)؟ وليه بيعمل كدا مع (سمر)؟

- ما اعرفش، بس (سمر) لازم تلاقيه وتاخد حقها منه.
- بس (سمر) ما تعرفش حد اسمه (محمود)، ليه ما تكونيش أنتِ اللي تعرفيه؟
- إيه، لأ ما اعرفوش ولا عمري شفته.
- بس أنتِ لسه قايلة إنك بتحبيه جدًّا وإنك عارفة إن هو السبب في اللي بيحصل مع (سمر) دا.
- إيه؟
- اسمعي يا (منة)، أنتِ ساكنة في مكان مش مكانك، ودا غلط وحرام، وروحك لازم تطلع للي خلقها.

لم يكمل كلامه حتى ردت على لساني قائلة بصوتٍ عالٍ: إذا روحي تقطن في المكان الخطأ فلا بد من سكنتها مكان روحك، إذا روحي تسكن بالمكان الخطأ فلابد لها من أن تسكن جسدك.

لم ينتظر الشيخ إكمالها لكلامها حتى وقف في مكانه وبعينين تملؤهما الثقة فتح زجاجة بها ماء قد قرأ عليه آيات مخصصة لفك مثل هذه العقد وقال بعد أن وضع بعضًا منها على يده: أستأذنك بالخروج، أستأذنك بالخروج، أستأذنك بالخروج، معي ماء به قرآن.

حدث ونبهها الشيخ مرارًا وتكرارًا ولكنها لم تستمع، بدأت بجعل الكتب تتطاير من أرففها وكراسي طاولة الطعام تهتز، الإضاءة تخفت شيئًا فشيئًا، جدتي تجلس هي وأبي يشاهدون ما يحدث في استعجاب بليغ.

نظر الشيخ إلى تلك الأشياء الغريبة تحدث فنظر متبسمًا وكأنه يستفزها، وأمر جدتي ووالدي بالدخول إلى الغرفة خوفًا من أن تخرج من جسدي لتتملك جسدًا آخر، أدخل والدي جدتي إلى الغرفة لتمكث مع أمي وإخوتي وجاء رافضًا تركي وحدي معه ومع تلك الروح داخلي.

بدأ الشيخ بقراءة بعض الآيات المخصصة لطرد الأرواح بصوت عالٍ وفي تحدٍّ قام برش ذلك الماء بين يديه على رأسي، لم أشعر بما حدث بعدها قط، وكأنني قد سافرت إلى عالم آخر تاركة منزلي بأكمله بمن فيه، حتى إنني تركت جسدي هناك، فقط شعرت بألم حاد في رأسي بدأ يزداد شيئًا فشيئًا حتى كاد أن يُهشم رأسي.

لم أستغرق دقائق حتى وجدت نفسي في المدينة الجامعية في نفس المشهد، أنا و(نجلاء) جالسون نذاكر، ذهبت وسمعت صوت (منة) تبكي وتصرخ على من يحدثها من الجهة الثانية، نزلت أنا و(نجلاء) لإحضار الطعام، فعلمت الآن أنني لست ظاهرة لهم، أحضر الموقف دون رؤيتهم لي، حاولت منع نزولي أنا و(نجلاء)، ولكني بت كالهواء، اخترقا جسدي وكأنني شيء لم يكن.

ظللت جالسة على الكرسي أمام (منة) دون أن تراني حتى طرق باب غرفتنا مرارًا وتكرارًا، فذهبت (منة) لفتح الباب فوجدت شابًّا طويلًا عريض المنكبين أبيض يضع لحية خفيفة على وجهه، دار بينهما شجار طويل تقريبًا ولكني لم أسمعه، فقط أرى الأيادي في الهواء وملامح الغضب تقع على كليهما، حتى أتى (محمود) بسكين يحمله في جاكيته وألقاه على الأرض بعنف، قال بعض الكلمات التي لم أسمعها وذهب راكضًا إلى الخارج قبل أن تراه إحدى الفتيات.

لم يستغرق الأمر ثوانٍ حتى أمسكت (منة) بالسكين المُلقى أمامها على الأرض تنظر له وتتأمل وكأن هناك أمرًا قد أفقدها صوابها، وقفت في مكانها ونظرت إلى السماء وكأنها مغلوبة على أمرها، شرعت في كتابة ورقة بسرعة كبيرة حتى أنني لم أفهم خطها بشكل واضح، انتهت من كتابة تلك الورقة وذهبت لتفتح حقيبة يدي، قطعت قطعة صغيرة من بطانتها من الداخل ودست بها الورقة.

وقفت تبكي بشدة تنظر إلى الباب وكأنها ترجو منا القدوم وتنظر إلى باب (البلكونة) تارة أخرى لعلها تجد أحدًا يُنقذها، حاولت إخراج الورقة من مكانها للفت انتباهها ولكنني لم أستطع إمساك الحقيبة، فقط

تخترقها يدي كالأشباح، نظرت لها فوجدتها تقطع عنقها لتتسبب في جرحٍ بليغ، ذهبت أصرخ لأنزع ذلك السكين من بين يديها ولكن بدون جدوًى، فهي لم ترني أو تسمعني، حاولت كتم جرحها ولكن لم تتسن لي فرصة الإمساك بشيء!

قررت النزول محاوِلة افتعال أي شيء للحاق بها قبل أن تضيع منا مرة أخرى، نزلت ورأيت نفسي أنظر إلى ذلك الرجل الذي كان يقفز من فوق سور المدينة الجامعية، حاولت تنبيهي إليه ولكنني ظللت واقفة مندهشة شاردة كالسمكة العمياء التي تظن أنها محبوسة في كيس من الماء والبحر أمامها مليء بما تحتاجه.

شاهدت ما حدث منذ البداية، بت الآن شاهدة على تلك الجريمة، فهذه الجريمة لم تكن انتحارًا، بل كانت جريمة قتل، على عكس ما اتضح للطب الشرعي الذي قام بإخراجنا فور إثبات أن صديقتنا قد انتحرت، بالفعل هي من قتلت نفسها، هي من تكبدت ذلك العناء وحدها، ولكن هناك قاتل نفسي فقط قتلها بكلماته وبتهديده ووعيده، قتلها ببعض الكلمات التي لم تتحمل بعدها الحياة ولو لدقائق أخرى حتى نمنعها مما فعلته، ولكن من نحن لنمنع القدر المحتوم، ظللت أقف مندهشة مشهد رجوعنا وعلمنا بالأمر يتكرر ويُعاد أمامي، تعلمت حينها بأن ليس كل ما نراه صحيح، ففي بعض الأحيان يحدث كل شيء دون علمك، تحاول كشف الحقائق ولكنك تفشل، لذا لا شيء يحدث كما نراه نحن بأعيننا، فأغلب الأشياء تحدث من زاوية أخرى فلا تستطيع عيناك الصغيرتان مشاهدتها أو تحمل رؤيتها، ولا يكون هناك شاهد عليها إلا الله.

استيقظت مُسرعة على عجلة من أمري أود أن أحكي وأقص كل ما رأيته على الشيخ وعلى والدي، وجدت نفسي أحمل ألمًا شديدًا في رأسي، وضعت كفي يدي أتحسس رأسي فوجدتها تنزف، يبدو أنني وقعت على شيء ما، لم يهمني الأمر، ظل الشيخ ناظرًا إلي نظرة مبهمة وكأنه احتار في أمري ولم يُعقب، رأيت بعضًا من قطرات العرق على جبينه فعلمت أنه قد أفرغ كل طاقته لإخراجها من جسدي، نظر إلي مبتسمًا يطمئنني وكأنه انتصر في إخراجها من جسدي، أتى والدي بمنشفة كبيرة ليغلق ذلك الجرح برأسي.

لم أنتظر الحديث معهم، فقط أمسكت بيد والدي وطلبت من الشيخ الجلوس على الطاولة وبدأت بسرد ما حدث في رحلتي وما رأيته، لم أعلم أن ذلك الشيخ قد قام بتصويري في تلك اللحظة، وكأنه كان يعلم أنني لن أكون موجودة لأرى ما يحدث معي، لم أهتم لذلك التصرف الخاطئ، فأنا أريد أن أرى ما الذي كان يحدث، كيف تحدثت؟ وكيف صرخت؟ كيف جرحت رأسي؟ وكيف أفقت من ذلك الكابوس؟

سردت عليهم ما حدث فلم يندهشا، نظرت إلى تلك الكاميرا فوجدت نفسي ملقاة على الأرض في ركن طرقة بيتنا أبكي، أتلوى وكأنني أتمزق لسكب الشيخ ذلك الماء على رأسي، رأيت نفسي أحكي كل شيء بصوت مكسور مرتعد خائف، تعجبت الأمر، لقد بدا لي مرعبًا، فطوال عمري الذي عشته على هذه الأرض لم يأتِ لي القرآن إلا بالنفع، كيف لي أن أخشى كلام الله وأن أتهرب منه بهذه الطريقة؟!

لفت انتباهي والدي بعد أن ولى عقلي وشرد تمامًا بأن هناك رسالة في حقيبتي، ذهبت مسرعة أتفقد جميع الحقائب لدي، أنزع البطانة الداخلية

لجميع الحقائب تقريبًا حتى وقعت ورقة صفراء من حقيبة، أمسكت بها، لم أعلم ما الذي دفعني لشمها، ولكني شممت ذلك العطر الذي كانت دائمًا تضعه (منة) لتغرق جسدها به، فهي تهتم بنظافتها بشكل مبالغ فيه، حتى ظننا أنها تعاني ذلك الوسواس، وسواس النظافة، فكانت لا تأكل معنا في نفس الأطباق ولا تشرب معنا من نفس الأكواب، تغير ملاءات سريرها في اليوم مرتين أو ثلاث، تغسل يدها كل ربع ساعة تقريبًا لتضع ذلك العطر مرة أخرى.

كان ذلك العطر دليلًا قويًّا قد أثبت لي ما حدث أنها بالفعل من كتبت الرسالة، فتحت الرسالة وشرعت في قراءتها، بدت لي أوضح مما كانت عليه في ذلك الحلم، لا أعلم إذا كان حلمًا أو غير ذلك، ولكنني كنت غائبة عن الوعي، وكأن صديقتي قد جعلت مني مرسالًا لكشف الحقيقة الكاملة عن جريمة قتلها.

قرأت الرسالة فوجدت بها ملخص ما حدث تلك الليلة، ذهبت وبلغت دون استئذان والدي للأمر وأنني وجدت رسالة من المغدورة تثبت فيها أن هذه الجريمة لم تكتمل بعد، وأن هناك قاتلًا يسير بيننا دون الإفصاح عن جريمته.

خرجت والدتي لتمنعني من إكمال الاتصال خوفًا من أن يتم أخذي مرة أخرى لإكمال التحقيق، ولكن منعها كلٌّ من الشيخ ووالدي الذي كان يدعمني في كل شيء تقريبًا.

بعد فترة تجاوزت الثلاثة أسابيع تقريبًا وبعد إعادة فتح ملف القضية، وبعد تحقيقات دامت طويلًا على كلٍ من كان هناك تلك الليلة أمسكت الشرطة بذلك الشاب (محمود) ليُحكَم عليه بالإعدام، لا أعلم

كيف سارت التحقيقات بسبب انشغالي في مذاكرتي بسبب اقتراب امتحانات آخر الفصل الدراسي الأول، كنت أذهب فقط لأشهد بما حدث وبما رأيته فقط.

لم يهمني ما قد يتفوه به الناس وما زعمته الجرائد والصحف ونشرته من خزعبلات وقصص خرافية عني، (فتاة في عمر الثامنة عشر تفتح التحقيقات بالدجل)، (فتاة تكشف قصة قتل صديقتها)، (فتاة تتحدى الصعاب لكشف الحقيقة)، (الشرطة تبني تحقيقاتها على الدجل والشعوذة).

ظل الأمر مُهينًا لفترة، كلما نظر إلي أحدهم أخذ يؤشر علي بشكل مبالغ فيه، كنت أحاول تخبئة نفسي عندما أخرج نهارًا، أرتدي عباءة طويلة ونظارات شمسية تكاد تغطي وجهي الصغير بأكمله، أضع طرحتي بطريقة مختلفة تلتف حول شعري أو حول وجهي بمعنى أصح حتى أبعد الأنظار عني، ولكن سرعان ما تفشل تلك المحاولات ويكشف الجميع أمري ويبدؤون بالتأشير مرة أخرى.

مللت الوضع، أتت الإجازة وانتهى شهر الامتحانات العصيب، والذي مر بكل ما فيه من مساوئ حتى أتى أبي في يوم من الأيام جالبًا معه خبرًا أسعد حياتي، ألا وهو خبر انتقالنا إلى منزل جديد بحي جديد لا أحد يعرفنا فيه، وأنه قد وجد عملًا بسعر رمزي بمصنع للملابس وسيتضاعف أجره بعد مرور سبعة أشهر من عمله بالمصنع، لا يعلم أبي أننا نعيش في مصر حيث يتم تهويل الحادثة بطريقة باهرة وسرعان ما تُنسى ولا تكون حتى ذكرى في عقل الأفراد، فكلٌّ مشغول بحاله أكثر من حال الآخرين، مشغولون في إطعام أطفالهم ليمر يوم و التالي دون الشعور به.

أُسعد قلبي وانفرج همي، رميت أحزاني خلفي وأخبرت أمي بالحدث، جاء الجميع فرحون يجمعون أشيائهم، نظرت لأبي فوجدته يميل على الكرسي ويفتح زر قميصه الأول ليدخل الهواء إلى صدره حتى وقع أرضًا.

ذهبنا به إلى المشفى مسرعين، تحولت وجوهنا للون الأصفر المخطوف من الخوف، إخوتي يبكون بشدة خائفين وأمي تواسيهم، أنا أنتظر رد الطبيب الذي خرج قائلًا لنا محاولًا تهدئتنا بأن أبي لم يأكل منذ الصباح، لذلك حدث له هبوط في ضغط الدم بسبب مرض السكري الذي يُعانيه.

لم نصدق آذاننا؛ فأبي لا يعاني أي أمراض مُزمنة، تحدثت أمي محاولة لفت انتباه الطبيب إلى أن والدي لم يعاني يومًا السكري، استغرق الأمر بعض الوقت حتى ظهرت نتائج التحاليل الطبية التي تُثبت أن والدي قد أصبح مريض سكري بالفعل.

انهارت أمي وجلست تبكي في صمت، جدتي تقف حزينة على زوج ابنتها الذي تعده أكثر من ابن لها، إخوتي لا زالوا واقفين لا يعلمون ما يحدث، دخلت وتحدثت مع والدي لأواسيه فوجدت لون وجهه قد تغير ولكنه ظل صامدًا يردد جملة واحدة "احنا ما لناش في روحنا حاجة، الحمد لله على كل حال".

ظللت أبكي في هدوء بجانبه، فراح يضحك قائلًا بمرح ليهون عليَ ما أنا فيه: هو أنا أول واحد يجيلوا السكر؟ دا أنا نمر يا بت، أبوكي لسه بصحته، قومي بقى خلينا نمشي من جو المستشفى وريحة الأدوية الكئيبة دي.

نظرت إلى بساطته وإيمانه القوي وروحه المرحة التي لا يهمها هم ولا يحزنها غم ولا يؤثر بها ذم، فقط يبعث السرور داخل أرجاء منزلنا ليسعد كل فردٍ فيه دون مقابل، حتى في المعاملة، يستنفد كل قواه، يحرم نفسه من الإفطار أو إحضار وجبة كزملائه ليوفر لنا كل ما نحتاجه، كان ولا زال رجلًا مخلصًا كريمًا لا تسقط يده على أحد إلا بالمعانقة، ولا يسقط لسانه على أحد إلا بالمدح، ولا تسقط عيناه على غير نساء بيته.

بعد فترة ليست بطويلة ذهبنا إلى منزلنا الجديد بالعاشر من رمضان لأكمل دراستي بجامعة القاهرة وأكون بجانب عائلتي، ولكن قبل سفرنا وجدت رسالة بالورق الأصفر على طاولتي قبل تركي لمنزلي القديم مباشرةً، لقد كُتبت الرسالة بخط مشوش قليلًا وكأن طفلًا يتعلم الكتابة قد كتبها، والغريب أنها باللغة الفصحى وليست بالعامية المصرية

"شكرًا، كلمة صغيرة على ما فعلته، آسفة، كلمة صغيرة على ما فعلته أنا بك، ولكن في كل لحظة تكونين بخطر سأكون بجانبك أساعدك، أحاول تنبيهك لما سيحدث معك في المستقبل".

لم أفهم تلك الرسالة ولكنني شككت في مرسلها، شممت الورقة فتأكدت من أنها كانت (منة)، لم أرها ولم تظهر لي هذه المرة لترعبني، فقط وضعت تلك الرسالة وذهبت، وهل الأرواح تكتب؟ هل الأرواح تفكر؟ هل الأرواح قادرة على فعل ذلك كله؟

أخذت الرسالة وأطبقتها وتركتها في بطانة حقيبتي كما فعلت (منة) من قبل لكشف الحقيقة، وغادرت مع عائلتي إلى منزلنا الجديد الذي وجدت فيه كل سُبل الراحة وشعرت فيه بالمعنى الحقيقي للحياة الأسرية السعيدة، فكان مصدرًا لإحياء الطفولة ونقش الذكريات الجميلة به لإسعادنا في المستقبل.

توفت جدتي بعد سنتين من ذهابنا لذلك المنزل، حزنت والدتي بشدة على فراقها، فالكل يهاب الموت ولا أحد يهاب ما بعد الموت، الكل يهاب الموت ولا يفكر في ألم الفراق ولا يحسبون له حساب، جلست فترة حزينة على فراقها ممتنعة عن الطعام والشراب، وكلما ابتلعت لقمة تذكرتها فأبدأ بالبكاء، كانت جدتي شخصية عجيبة، تُحير كل من رآها، فعلى الرغم من عمرها الكبير فإنها كانت تواكب العصر والزمان الذي تعيشه في طريقة الحديث والتعامل، كانت حياتها أشد حماسة من حياتي بمراحل، لذلك لم يكن لدينا فواصل أو حواجز، كانت تعاملني بلطف شديد على عكس البقية من عائلتي، ودائمًا ما تردد بلهجتها الصعيدية الأصيلة "أعز الولد ولد الولد يا هبلة"، كانت تقول تلك الكلمات عندما استفزها بمرح.

كانت تحاول إسعاد الجميع حتى وفاتها، هدأ المنزل ولم يعد كسابق عهده، وكأنها هي من كانت تحرك من فيه كعقارب الساعة، توقظنا فجرًا لنصلي، تطرق أبواب الغرف لإيقاظ الجميع ولا تجعل أحدًا يغفل دون قراءة ورده اليومي، كانت تفضل الذهاب للمخبز صباحًا لجلب الخبز، وعندما نمنعها تقول بتعالٍ وزهو: "أنتوا مالكوا بتحشروا مناخيركوا ليه في حياتي؟ أنا بمَشي رجلي بدل ما أنا قاعدة ما ليش لازمة كدا".

تذكرت تلك اللحظات وربطت تلك الأحداث في عقلي، مرت تلك اللحظات أمام مُخيلتي وأنا مع (أدهم) بجانبه في سيارته ذاهبين إلى ذلك الحفل، كانت لحظات طاحنة مرهقة بكل ما فيها، لما لا يكون لتلك الرسالة صلة بأحلامي وكوابيسي المخيفة التي أراها؟ لما لا يكون هناك صلة قرابة بين الماضي والحاضر لتمهيدي للمستقبل؟

لاحظ (أدهم) شرودي فقال: خير يا سمر سرحانة في إيه؟

انتبهت فقلت وأنا أمسح جفوني: لا ولا حاجة يا حبيبي أنا تمام.

- بس مش باين عليكي، سمر، أنتِ مخبية حاجة عليا؟

- حاجة؟ حاجة زي إيه؟

- يعني بقالك فترة مرتبكة ومش بتتكلمي غير على القد وكإن في حاجة لا سمح الله!

استنكرت ما يقوله، كيف يسألني وهو يعلم أنني في أشد الضيق منه على ما فعله معي، دائمًا ما يرفع يده ويعلو صوته بالشتائم، ولا يكون هناك سبب لتلك الأشياء، أم أنه علم بمعرفتي بأمر كاميرات المراقبة؟ لا أظن هذا.

رددت عليه قائلة مقابلة سؤاله الماكر بدهاء: لا يا حبيبي ولا حاجة، ممكن عشان ما بخرجش خالص من البيت.

- بس أديني هخرجك عشان ما يبقاش ليكي حجة.

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي.

تذكرت كلمات والدتي عندما بدأت كوابيسي في ملاحقتي منذ توظيفي بشركة (أدهم) في مصر، كانت تظن أن تلك الروح قد سكنت جسدي مجددًا أو أنني لا زلت أعاني تلك الصدمة التي مرت عليها سنوات، كانت تود مني الذهاب مجددًا لأحد الشيوخ ليقرأ عليَ، بدأت شكوك والدتي تزداد كلما رأتني أستيقظ مفزوعة أصرخ بصورة هستيرية، خصوصًا عندما حدث وحُبست في دورة المياه، لم تصدق بأن النور قد انقطع فعلًا، والغريب أن ذلك الوقت قد استمر بالنسبة لي قرابة الساعة،

وبالنسبة لهم لم يتعد العشر دقائق، لا بد من أن هناك شيئًا يحدث، شيئًا لا أراه ولا أفهمه.

كثرت الاحتمالات في رأسي، هل عادت تلك الروح لتحذيري من شيء ما؟ أم أنني ممسوسة كما كانت تقول والدتي؟ ترى هل لتلك السيدة العجوز في شركة (أدهم) علاقة بما يحدث الآن؟ أم أنني بدأت أهذي وأفقد صوابي؟ أم أن هناك ما هو أكبر من كل هذا؟

وصلنا إلى الحفل فوجدت بشرًا من جميع الأشكال والألوان، لم أرَ تلك الأشياء إلا في التلفاز، مكان فاخر جدًّا، الفتيات يرتدين ملابس بالكاد تغطي أجسادهن، الشباب يمرحون مع هذه وتلك، وكأنني دخلت ملهى وليس فندقًا يقام فيه حفل، فالحفل كما تراءى لعقلي أنه كعكة كبيرة عليها صورة (أدهم) وبعض من العصير وبعض الأغاني والتهنئة، لم أظن أن ذلك الحفل يحتوي على مثل تلك الأشياء التي أراها أمامي، لا يوجد عصير، فقط الخمر، والجميع يمرحون ويشربون ويتمايلون مع نغمات الموسيقا الهادئة وبيدهم الكؤوس.

ظللت أنظر في تعجب واندهاش شديدين؛ فزوجي يرى كل تك الأشياء أمامه ويتحدث مع الجميع بلطف، والغريب أنه ينشر الابتسامات ويتحدث إلى الفتيات بشكل مبالغ فيه، يا إلهي! ينظرن لي وله وكأنهم يقولون له لقد تزوجت من الفتاة الخطأ، لم يعجبني الوضع، شعرت باختناق أنفاسي وقررت الرحيل، حتى جاء (أدهم) يلحق بي فرأيت تلك الطبيبة (ابتسام) تدخل معها صديقتها.

سلمت عليَ وعرفتني إلى صديقتها الطبيبة (سماح)، وهي مصرية الأصل ولكنها تعيش بالبرازيل منذ فترة طويلة حتى تعلمت لكنتهم وأصبحت منهم، كانت (سماح) فتاة بعمر الثلاثين، طيبة، تتحدث بسرعة كبيرة، كنت أجاهد في فهم كلامها، لديها ثلاثة أولاد، مُطلقة ويعيش أخوها معها، والذي كان بعمري تقريبًا ويعمل حديثًا في شركة (أدهم)، والذي أصبحت ملكه الآن.

لم يرغب (أدهم) في عودتي إلى المنزل، تعجبت من توسله لي للبقاء مع (ابتسام) وصديقتها ولم أعلم السبب، وضعني بموقف محرج، فهذه ليست طبيعة (أدهم)، ليُظهر نفسه حَمل وديع أمامهم، ولكني فضلت البقاء لأجلس مع هاتين الطبيبتين حتى نهاية تلك الحفلة لأرى أكثر وأتعلم أكثر عن تلك المدينة الغريبة، والتي تُباح فيها المحرمات حتى لمن يدينون بالإسلام!

الكثيرون يدينون بدين الإسلام ولا يعلمون ما هو وعما يتحدث، يتبعون أهواءهم، يتبعون دين الدنيا التي لا تحمل دينًا من الأساس، يتبعون المناهي ويحللونها حسب ما تهواه صدورهم، يحفظون بعضًا من آيات القرآن الكريم ويرددونها في غير مواضعها ويتخذون لهم أخدانًا وأندادًا يحبونهم كحب الله، يمسحون عقولهم ليزرعوا وينقشوا ما يودون هم بداخلها، ليجعلوا من هؤلاء آلات تتحرك وتستمع دون تفكير، تؤمَر ولا تأمر، ليدمروا ويظلموا ويخربوا عقولهم ويسممون أفكارهم حامدين شاكرين راضين عمن تملكوا عقولهم باسم الدين وباسم التقوى التي يدَّعونها، فلو نزعوا قناع النفاق لظهرت بشاعتهم لتردع من اتبعوهم عن اتباعهم وعن الدين من الأساس.

جلسنا على طاولة بعيدة عن الحفل بما فيه، يتحدث كلٌّ منا عن عائلته وعن بيته وعن حياته بدون قيود وكأننا أصدقاء منذ زمن، أحسست بالطمأنينة لكلا الطبيبتين وأنهم سيصبحان من أقرب الأصدقاء لي في الفترة القادمة، لاحظت تودد (أدهم) لفتاة يتحدث معها ويمسك بيدها وهي تضحك، لا أعلم ما الموضوع الذي يضحكها إلى هذا الحد، وقفت بجانبه ووضعت يدها على كتفه وجاء أحد أصدقائه ليلتقط لهما صورة معًا، يقف بعيدًا عني، فقط أشاهد في صمت.

لاحظت (ابتسام) شرودي ونظري إليهما، نظرت إلي وابتسمت وأنزلت رأسها في الأرض وكأنها تعطف عليَ بنظراتها، فسألتها: مين دي اللي واقفة مع (أدهم)؟

زفرت أنفاسها وقالت وهي تنظر إليهما: دي يا ستي سكرتيرة أستاذ (أدهم)، بنت برازيلية بس مامتها مصرية، عايشة هنا من زمان وبيقولوا إنها محترمة.

- محترمة إيه بس؟ أنتِ مش شايفة لبسها ومش شايفة عمالة تتلزق لأدهم ازاي؟ هي عارفة إنه متجوز؟
- ما اعرفش، بس تعالي أعرفها عليكي.

أمسكت (ابتسام) بيدي وسحبتني خلفها، سلمت عليها وقالت: دي سمر مرات الأستاذ (أدهم) وصاحبتي.

رد (أدهم) قائلًا وهو ينظر إلي: غريبة! بقيتوا صحاب بالسرعة دي؟ ما كنتش أعرف إنك اجتماعية كدا يا سمر.

ردت تلك الفتاة قائلة وهي تقف من مكانها: شكلك ما تعرفش عن مراتك حاجات كتير يا (أدهم).

تعجبت منها مناداته باسمه، فعلى الرغم من أن (ابتسام) طبيبة فهي تناديه بلقب أو كنية، والأكثر غرابة أنه لم يظهر غروره وعظمته كما كان يفعل في الماضي.

ردت (ابتسام) قائلة: لأ أستاذ (أدهم) بيهرج مع مراته شوية يا (سمر).

نظرت إلى (ابتسام) مستغربة مستنكرة ما قالته، فنظرت إلي مؤكدة لي أن اسم تلك الفتاة (سمر) أيضًا، لا أعلم ما تلك العلاقة بينها وبين (أدهم) ولكنها وقفت واستأذنت وذهبت تاركة الحفل بأكمله، غضب (أدهم) وذهب ليتركني واقفة مع (ابتسام) وصديقتها، تعجبت مما فعله، وتعجبت من تصرف تلك الفتاة (سمر)، لا يُعجب (أدهم) إلا بهذا الاسم، أم يريد وجود سمر بالمنزل تنظف وترتب وأخرى بالعمل ترفه عنه أوقات العمل كما كان يفعل في شركته القديمة؟

نظرت (ابتسام) لملامحي المبهمة الباهتة فعلمت بأسفي وغضبي على ما حدث، مضى الوقت سريعًا ورجعنا إلى منزلنا، دخل كلانا دون التحدث للآخر طوال الطريق، ذهبنا للنوم، كل منا ينام بعيدًا عن الآخر، كل منا ينام على طرف السرير من ناحيته، وكل منا في عالمه، حاولت التحدث معه ولكنه رفض سماعي بحجة انشغاله بالعمل صباحًا.

7

في ظهر اليوم التالي بينما كنت أعد طعام الغداء وجدت الباب يطرق، وعندما سألت من الطارق وجدت أنها تلك الطبيبة (سماح).

ـ ازيك يا (سمر)؟

ـ الحمد لله، اتفضلي.

ـ لا أنا مستعجلة خليها مرة تانية، وبعدين احنا هنبقى جيران من النهاردا، شايفة البيت اللي هناك دا؟ أنا هسكن فيه، أخويا أخيرًا لقى شغل وحب يختار مكن قريب لشغله واتفاجئت إن احنا هنبقى جيران.

ـ بجد؟ دي أحلى مفاجأة، وإن شاء الله يكون سكن خير عليكي.

تفاجأت بشاب طويل عريض البنية، أبيض البشرة، أشقر الشعر، يرتدي نظارات شمس زرقاء اللون يقف أمامي ويمد يده لمصافحتي، نظرت إلى يده ومن ثم نظرت مستنكرة من ذلك الشاب، ردت (سماح) قائلة: دا (عمرو) أخويا، حكيتلك عنه.

لا زلت أنظر إلى يده مستنكرة أنه لا زال واقفًا منتظرًا مصافحتي، فاندفعت (سماح) قائلة لتغطي الموقف: معلش يا عمرو، سمر ما بتسلمش على رجالة.

ابتسم ابتسامة خفيفة وأومأ برأسه ورحل، استأذنت الدكتورة (سماح) هي الأخرى وذهبت، أغلقت الباب ودخلت وأنا أفكر، لقد رأيت ذلك الشاب من قبل ولكني لا أتذكر أين، أنا متأكدة من أنني قابلته من قبل، لكنني لم أكترث لهذا الأمر، فقط بدأت إنهاء طعام الغداء بسرعة.

رجع (أدهم) متغيرًا مقلوب الوجه، سألته عما أصابه فلم يُجبني، ولكن وجهه لا ينبئ بقدوم خير، ذهب من أمامي يُحرك بعض الكتب في المكتبة إلى أن فتح بابها لتظهر تلك الغرفة خلفها، نظر إلي فوجد وجهي قد امتلأ بالدهشة المصحوبة ببعض الخوف، ابتسم ضاحكًا مستنكرًا ملامح وجهي وقال بسخرية وصوت هائج: إيه؟ محسساني إنك ما تعرفيش اللي ورا الباب دا.

- (أدهم) في إيه؟ أنت ليه بتعمل كدا؟

- دلوقتي هتعرفي أنا ليه بعمل كدا، اتفضلي، إيه رأيك يا ستي؟

فتح شريطًا مُسجلًا لتلك اللحظة التي فتحت بها الباب للطبيبة (سماح)، نظر إلي منتظرًا إجابة ولا أفهم ما الخطأ الذي وقعت فيه، فهو من قال لي بأن أتخذها صديقة، هو من قال لي بأنها إنسانة رقيقة طيبة ومحترمة.

- دي الدكتورة (سماح) جاية تأجر الفيلا اللي جنبنا وأنا فتحتلها عشان أنت قلتلي إنها إنسانة كويسة.

- طيب وإيه دا يا أستاذة سمر المبجلة؟

جعل ذلك التسجيل يتحرك أسرع للأمام حتى ظهر أخوها بالصورة مادًا يده لمصافحتي، نظرت إليه بعد أن بدأت بتجميع بعض الأفكار، علمت سبب تجهم وجهه إلى هذا الحد فرددت قائلة: دا أخوها، وبعدين أنت شايف إني ما كلمتهوش.

- أنا شايف كويس إنك ما كلمتيهوش، بس يا ترى أنتِ كنتي شايفة نظرته ليكي وازاي كان بيبصلك وكإنه عايزك؟
- إيه دا؟ إيه اللي أنت بتقوله دا؟ أنت أكيد أتجننت.
- هه، لا أنا مش مجنون ولا حاجة، بس أنا فاهم نظرة الراجل للست، وإذا كان هيكلمها عادي أو عايزها.
- زي نظرتك كدا لسمر اللي كانت معاك في الحفلة؟

أجاب بهدوء يوحي بتلك العاصفة القادمة: الله إيه الحلاوة دي؟ والله وبقى للقطة لسان، ما انتِ حلوة أهو ومركزة في كل حاجة كويس، عارفة إن البيت مليان كاميرات وبتفتحي الباب لأي حد ومش هامك، لأ وكمان مراقباني، قوليلي صحيح، سماح وابتسام هما أبراج المراقبة بتوعك مش كدا؟ وأنا اللي حاطط الكاميرات عشان أراقبك ألاقيكي بعتالي ناس تراقبني، كبيرة منك دي يا سمسم.

- (أدهم)، أنت عارف كويس إني بكره الطريقة دي.
- أمال سيادة الملكة سمر تفضل اتعامل معاها بأنهي طريقة؟
- (أدهم)، أنا عرفت بالصدفة إن البيت في كاميرات زي ما عرفت بالصدفة إنك على علاقة بالبنت اللي اسمها (سمر)

دي، وبالنسبة للدكاترة دول فأنت اللي عرفتني عليهم، وأنت اللي قلتلي أكلمهم بدل ما أزهق لوحدي في البيت.

تغيرت ملامح وجهه كأنه يُكِن في قلبه شيئًا ويخشى البوح به: علاقة إيه اللي بتتكلمي عنها وأنتِ عارفة بيها؟

- غريب! من بين كل الكلام دا ما مسكتش غير في الكلمة دي واللي قلتها بالصدفة؟

ضغط على كتفي بقوة وأخذ يهزني من مكاني بقوة وكأنني هيكل نحيل بين يديه وقال بصوت صاخب: صدفة إيه ها؟ أنا ما محدش يقدر يمسك عليا غلطة، أنتِ فاهمة؟

- بس أنا ما قلتش إنك بتعمل حاجة غلط.

هدأت يداه بعض الشيء وأبعدها عني وقال بعكس صوته الصاخب الذي تبدل إلى الهدوء واللين فجأةً: اسمعي يا سمر، أنا بعترف إنك ذكية ودماغك شغالة على طول، وبصراحة دا ما ينفعش معايا يا بنت الناس.

- يعني إيه؟ عايزني آلة أنفذ اللي أنت عاوزه وبس؟
- مش عيب تنفذي كل أوامر جوزك.
- وأنا ما عنديش مانع بس بشرط.
- حلو، مدام سمر هتبدأ تتحكم فيا وتتشرط عليا كمان، اتفضلي يا هانم اشرطي.

زفرت أنفاسي بقوة وشبكت ذراعي ببعضهما وقلت: أنا عايزة أرجع الشغل تاني، مش مهم هشتغل إيه، المهم بس إني أبقى معاك.

نظر إلي مبتسمًا بدهاء رافعًا عينيه أعلى جفنيه: عشان تراقبيني، مش كدا؟

- مش بالظبط، عشان أبقى معاك وبس، ثانيًا إذا كنت هتكلم عيلتك فأنا كمان ليا الحق إني أكلم عيلتي، أنا بقالي ٨ شهور ما كلمتش حد منهم.

أجاب بعناد: عيلتك انسيها يا حبيبتي.

واصلت حديثي بضيق وعجز وتوسل: أنت ليه بتعمل كدا؟ ليه مش عايزني أكلم حد منهم؟ هما عملولك إيه؟

قاطع كلامي ناظرًا إلي بعدم اهتمام: مدام سمر المقابلة انتهت، واحمدي ربنا إنها انتهت على خير وإني قدرت أتحكم في أعصابي لأكتر من مرة، عن إذنك؟

نظرت إليه متعجبة أسلوبه ونبرته التي تغيرت ثلاث مرات أثناء محادثته لي، وكأنه كان يُجري مقابلة مع أحد العملاء بشركته وأن تلك الجالسة أمامه ليست زوجته، ذهبت خلفه، أغلق الباب وذهب إلى غرفته لينام وتركني لأغرق في حيرة أفكاري وتساؤلات تتمكن من عقلي، غريب ما حدث، لقد تحكم في أعصابه، تُرى هل علم بما يدور بيني وبين تلك الطبيبة (ابتسام) لذلك حاول التحكم بأعصابه؟

ليلة الاحتفال بامتلاك (أدهم) أكبر شركة لإنتاج العقاقير بالبرازيل:

- (سمر) دي تعتبر هي الكل في الكل هنا، غير إنها سكرتيرة أستاذ (أدهم)، إلا إنها دايمًا بتتكلم معاه عن دكتور ومواعيد بعد الشغل، قالتها (ابتسام).

- قصدك إيه؟ وضحي كلامك أكتر مش فهماكي.
- طيب بصراحة أول امبارح أنا سمعت أستاذ (أدهم) بيقولها إنه هيستناها في مكان وهيتقابلوا هناك بعد الشغل.
- أنتِ بتقولي إيه؟ (أدهم) بيحبني جدًّا ولا يمكن يخوني، أنتِ يمكن بيتهيألك بس.

تركتها لأذهب أمسكت بيدي وقالت: سمر، أنا من أول مرة قابلتك فيها وأنا بعتبرك أختي وصاحبتي، وبصراحة أول مرة أزورك فيها أنا أخدت بالي من الكدمات اللي كانت في وشك ومن الجرح اللي كان في رجلك.

- اسمعي حضرتك، أنا جوزي بيحبني جدًّا وأنا بعشقه وما فيش حاجة من اللي في دماغك حصلت أو حتى هتحصل.
- يعني عايزة تفهميني إنك كنتي بتلعبي مصارعة مثلًا؟ يا حبيبة قلبي أنا ما قلتش إن جوزك بيخونك، بس في احتمال تاني، أنا بس بحذرك عشان تاخدي بالك لإن (أدهم) مش طبيعي وفي حاجة غلط وبس.
- أنا عارفة جوزي كويس، عن إذنك.

فور رجوعنا إلى منزلنا تغيرت ملامح (أدهم) الذي كان يقف معي في الحفل نضحك معًا ونتحدث ويتحاكى عن مولوده القادم متباهيًا، تغيرت كل تلك الأشياء فور دخولنا إلى المنزل، دخل غرفته دون محادثتي لينام، خرجت لأتأكد من غلق باب منزلنا فوجدت ورقة واقعة على الأرض، أخذتها وناديت (أدهم) لأسأله عنها، فتحتها فوجدت أنها استشارة لأخصائي صحة نفسية، شردت بنظري نحو اسم المريض فوجدته (أدهم).

تفاجأت واتسعت عيناي متسائلة ما الذي يعانيه (أدهم) ليذهب لأخصائي نفساني، دخلت الغرفة على مهل مُتسللة على أصابع قدمي فوجدته قد غطس في نوم عميق، سحبت هاتفه ببطء من جانبه من على الكومود وخرجت وكتبت ذلك الرقم على الورقة واتصلت به، رد رجل ذو صوت متحشرج، يبدو أنه كبير سن، قال مرددًا: أيوا يا (أدهم)، ازيك يا بني؟

أغلقت الخط وعقلي مشتت لكثرة تفكيره، فذلك الطبيب يعرف (أدهم) جيدًا وذلك يبدو من صوته ومن طريقته، فقد نعته بأنه ابنه، تذكرت كلمات تلك الطبيبة (ابتسام) التي باتت رنانة في أذني، وتذكرت ذلك الكارت التي أعطتني إياه، ذهبت لإحضاره ولم أتردد في الاتصال بها، سألتها عن ذلك المكان الذي ذهب إليه (أدهم) مع تلك الفتاة بالعمل (سمر).

- مش فاكرة المكان، بس أنا سمعت إنهم هيتقابلوا بعد الشغل على طول.

قالتها (ابتسام)

- حاولي تفتكري أي حاجة، ما فيش اسم قالوه وسمعتيه أو اسم بناية، عيادة، أي حاجة؟
- استني آه، أنا سمعتها بتقوله إنها بتروح لدكتور اسمه (طارق الـ الـ..) مش متذكرة.
- دكتور (طارق المرزوقي)، مش كدا؟
- آه فعلًا، ليه؟ أنتِ تعرفيه؟

ـ لأ بس أكيد هعرفه، تصبحي على خير.

أغلقت الخط وأنا في حالة صدمة حقيقية، كيف لمالك أكبر الشركات بمصر والآن بالبرازيل أن يكون مريضًا نفسيًّا، كيف لزوجي الذي أعشقه أن يكون مريضًا؟ لماذا لم يخبرني؟ لماذا يحمل ذلك الألم في صدره دون أن يُشاطرني أحزانه وآلامه؟

أحسست وكأن أحدًا يتحرك خلفي، التفت فلم أرَ أحدًا، نظرت إلى أعلى أتوسل إلى خالقي بأن يُبعد أي مكروه عن زوجي، فوجدت تلك الكاميرا الصغيرة وكأنها جزء من الحائط، فتذكرت وذهبت إلى غرفتي لأضع رأسي على وسادتي وكل منا غارق في عالمه يبحث ويُفكر.

حسنًا، لقد هدأت أعصابه وهدأت نبرته وتغيرت إلى الهدوء، لقد تحكم بأعصابه، لقد علم بما حدث تلك الليلة، ولكن لما لم يتحدث أو يقل شيئًا؟ لم يُعاقبني أو ينهرني، فقط تحدث بهدوء وأنهى الحوار بشكل سلمي دون إحداث أي كدمات أو جروح بجسدي كعادته.

لا زلت لا أعلم ما الذي يُعانيه (أدهم)، ولكني سأحاول معرفة الأمر، سأحاول مساعدته حتى وإن لم تكن تلك رغبته، فقط أعلم بأنه غيور الطبع عصبي، وقد يكون لمرضه سبب في عصبيته، تذكرت كلمات جدتي عندما كنت أمرض، كانت تقسم بأنها لن تدع المرض يأخذني منها، وهذا ما سأفعله.

هناك غيرة محمودة وغيرة مذمومة، فهي كسائر الأمراض النفسية، تأتي للفرد دون أن يشعر بها، فقط تندمل داخل جسده لتكون بداخله طبيعة يحيا بها لتفتك به، ليختل توازنه، لتضطرب علاقاته، لتنحط عنه قواه العقلية، ليفقد أعز ما يملك، فالغيرة ليست إلا شعورًا بالنقص، شعورًا

لا بأس به، شعورًا قد يكون محتملًا أو لا يتحمله بشر، الغيرة ليست إلا ضرب من ضروب الدفاع عن النفس، لتدل فقط على المنافسة الشريفة والطموح والتقدم، فهي من النزعات الحسنة ومن الصفات الإلهية، ولكن إن حدث وزادت تلك الغيرة لتصبح وبالًا على من اتصف بها، فذلك سيأتي بعواقب وخيمة تنصب الخيام لتفتعل المشكلات وتهدد الحيوات لتبطش بصاحبها.

(الغيرة الزوجية) قد تصدر من الشخص خوفًا ورهبةً من أن يحتل مُزاحم مكانه ليأخذ منه أعز ما يملك ويسلبه ما عانى في الوصول إليه بشق الأنفس، لتوصله إلى مواطن التهلكة ليصبح أتعس إنسان عرفته البشرية، لتدهور حالته وتسوء، فقد تتسبب تلك الغيرة بمثول شخص لم يكن يعرف بابًا للقانون أمام حبل المشنقة نظرًا لارتكابه جريمة قتل، أو قد تتسبب في إضعاف صاحبها إلى أن توصله إلى طريق الانتحار ليتخلص من نفسه وأفكاره التي تجهده وتُصعر عليه حياته، وغالبًا ما تكون هذه الغيرة لا أساس لها من الصحة.

ما أشقى رجل أو امرأة غيورين بشكل مبالغ فيه! وما أتعس حياتهما! فكم قابلت أناسًا كثيرة الشكوك، شديدة الغيرة، فكلما بدا طرف منهم سعيدًا بدا منشرحًا، وكلما أطرق مفكرًا ابتسم أو ضرب موعدًا أو حرر رسالة أو أرسل ابتسامة زادت الشكوك ليتغير الطرف الآخر ويوقن أن هناك من يملأ حياة الآخر.

مع مغيب النهار وقدوم خطوط الليل المظلمة، سمعت صوته يتحدث مع أحدهم، دخلت الغرفة فوجدت (أدهم) واقفًا مستعدًا للخروج، يقف بعيدًا ينظر إلى المرآة ويتحدث مع نفسه بصوت عالٍ وكأنه يرى أحدهم بداخلها ويتحدث معه، لا بل يتشاجر ويصطدم معه بالحديث.

انتبه لوجودي على صفحة المرآة، تغير حديثه من العصبية إلى الغناء وكأنه كان يدندن بأغنية ما، ربتت على كتفه وسألته بهدوء لأطمئن عليه: (أدهم)، أنت كويس؟؟

نزع يدي عنه بقوة وأبعدني عنه قائلًا: أنا كويس، ابعدي كدا شوية.

ابتعدت عن طريقه، ذهب يفتح الباب فذهبت خلفه أسأله إلى أين سيذهب في تلك الساعة وأنا أعلم أنه ليس منشغلًا بأي عمل، أغلق الباب خلفه وتركني دون أن يتحدث معي أو يخبرني إلى أين سيذهب.

ظللت واقفة أفكر، وعندما مللت التفكير ولم أجد أي طريقة للتواصل معه دخلت غرفتي ومكثت فيها أنظر حولي، أنظر إلى تلك المرآة أمعن النظر بها، وقفت في مكاني وبدأت بالطرق عليها، أتحسسها لأرى إذا ما كان خلفها شيء أو حتى بها شيء، كنت خائفة بعض الشيء، لكن ترى من الذي كان يتحدث معه (أدهم).

بدأت أتحدث عبر المرآة أنا الأخرى، أتفوه بكلمات وأنا على يقين من أنها جميعها ترهات ليس لها نصيب من الصحة (مين هنا؟ أنا عارفة إن في حد كان بيتكلم مع (أدهم)، أنا بس عايزة أعرف مين اللي كان بيتكلم)، ظللت على هذه الحالة أردد تلك التفاهات لربع ساعة تقريبًا دون أي فائدة، حتى نظرت إلى نفسي فشعرت وكأنني قد جننت، رجعت إلى سريري، جلست عليه أستغفر ربي دافنة وجهي بين كفي يدي بسبب يحدث معي.

شعرت ببعض الملل، فتذكرت اسم ذلك الطبيب وكأن هناك من ألقى به في مخيلتي، ذهبت أتفقد جميع الأدراج والخزانات بجميع الغرف لعلي أبلغ أي شيء يطمئنني على صحة (أدهم) أو يرشدني لطريقة أتعامل بها معه.

بحثت في كل مكان أنقب عن أي شيء حتى مللت البحث، نظرت حولي فوجدت أنني قد قلبت المنزل رأسًا على عقب، كل شيء قد وقع من مكانه، كل شيء قد تغير مكانه ليصبح واقعًا مفروشًا على الأرض، تعجبت سرعتي في تدمير كل ما رتبته صباحًا، بدأت بترتيب كل شيء تقريبًا.

بينما كنت أرتب وجدت ملفًا بحجم كتاب كبير ملفوفًا داخل قميص أهمل (أدهم) ارتداءه منذ فترة، أمسكت بذلك الملف وفتحته لأجد العديد من الأوراق المبعثرة، نظرت إلى تلك الكاميرات الصغيرة التي لا تكاد تظهر من الحائط فعلمت أنه سيكشف أمري.

وضعت الملف من يدي بسرعة وذهبت مسرعة إلى تلك المكتبة، تعثرت بطرف الكرسي الذي أمامي ولكني وقفت متلاشية ذلك الألم بقدمي، حركت بعض الكتب، دخلت الغرفة وأغلقت الوصلة التي تغذي تلك الكاميرات بالكهرباء.

رجعت إلى غرفتي مسرعة؛ فأنا أعلم أن (أدهم) سيلاحظ انقطاع الكهرباء عن كاميرات المراقبة وسيأتي بأسرع ما يمكن، بدأت بقراءة بعض الأوراق بسرعة كبيرة، تأكدت الآن كل شكوكي، (أدهم) ليس مريضًا نفسيًّا فقط، بل حالته قد تصل إلى ارتكاب جريمة أو الانتحار.

سمعت صوت سيارة (أدهم) ينطفئ محركها، انتبهت أن غرفتي لا زالت غير مرتبة بعض الشيء، لففت ذلك الملف داخل القميص مرة أخرى ووضعته مكانه، بدأت بترتيب كل شيء بسرعة كبيرة جدًّا، أضع الملابس في الخزانة، أرتب كل الأدراج التي أزلتها من مكانها، كل الكتب في وضعها الطبيعي، سمعت مقبض الباب يتحرك ليدخل (أدهم) المنزل.

قفزت على سريري، قللت الضوء ودفنت جسدي بأكمله داخل البطانية حتى لا يظهر رأسي، أغمضت عيني بقوة وبدأت أتنفس بهدوء، أقنع نفسي بألا أخاف؛ فلا يوجد خيار آخر، سمعت صوت أقدامه تتجه نحوي، أسمعها في خوف، نبضات قلبي تشتد من الذعر، نزع عني الغطاء بقوة ونظر إلي محللًا ملامحي، فتحت عيني بثقل وقلت بصوتٍ نعس: (أدهم)، أنت جيت إمتى؟

قال بصوت يسوده الغضب: أنتِ اللي نايمة من إمتى؟ أنا ما كملتش ساعة برا.

- أنا نمت أول ما أنت خرجت.

- هنشوف دلوقتي، تعالي معايا كدا.

أمسك بجذعي وأخذ يسحبني خلفه بقوة، شعرت بعظامي تتهشم برفق، حاولت نزع يده عني ولكن قبضته كانت أقوى مني بكثير، حرك بعض الكتب بالمكتبة ليدخل كلانا غرفة المراقبة، ألقى بي لارتطم بالحائط، ذهب يتفحص وصلة الكهرباء فوجدها مغلقة، ضرب على المكتب بقوة، جاء وضرب على الحائط الموجود خلفي بعصبية، أكاد أسمع صوت أزيز أسنانه يضغط عليها بغيظ قائلًا: الكهربا انقطعت عن الكاميرات، دي ازاي؟

لم أجب، لاحظ توتري فدفعني بقوة لأقع على الأرض، شعرت ببعض البرودة أسفل رأسي وببعض الدوار، وضعت يدي لأرى ما ذاك، فوجدت أن رأسي ينزف بسبب ارتطامه بحافة الطاولة، نظرت إليه زاحفة على الأرض محاولة الابتعاد عنه، نظر إلي بعدم اهتمام قائلًا: كنتي بتعملي إيه غلط عشان تطفي الكاميرات؟ ها هتتكلمي ولا نرجع للبهدلة

وقلة القيمة من تاني؟

بدأت أبكي وأجهض تلك الدموع الساخنة التي تحرق عيني دون أن أجيبه بأي كلمة، فقط أنظر إليه متوسلة ليبتعد عني ولكنه لم يهدأ ولم يستكين، جاء ولف شعري بأكمله على يده بعد أن ألحق بوجهي وبجسدي بعض الكدمات الدامية، سحبني إلى وصلة الكهرباء وقال بعصبية: أنا وأنتِ بس اللي نعرف بموضوع الكاميرات اللي هنا، وأنا كنت برا، يبقى مين اللي طفى الكاميرات غيرك؟

بدأت أفقد توازني، أراه أمامي بصورة متكررة، وبدأت عيناي تحيد عن نظرها الطبيعي، دوار وصداع يفتت رأسي من الألم، لم أنطق بكلمة، صبغ الصمت ملامحي، علم بأنني لن أتحدث، خرج قليلًا، بدأت أبكي في هدوء على حالتي التي يرثى لها، نظرت إلى جسدي، ملابس ممزقة وعلامات زرقاء على أغلب جسدي، بعض الأماكن لا أشعر بالألم فيها ولكنها متورمة بشدة، أخذت أبكي في هدوء، أمسكت ببطني لأشعر لأول مرة بتحرك طفلي داخلها، تلك اللحظة التي تفرح لها العائلة بأكملها كان يكسوها الألم! مسحت دموعي وتناسيت ألمي، وضعت يدي على بطني لتخترق ضربات طفلي الصغير الغشاء الداخلي لبطني وتلامس يدي.

سعدت لتلك اللحظة وتناسيت ألمي وأخذت أبتسم بعيني الدامعتين، سمعت صوت أقدام (أدهم) القادمة نحوي، رجع الألم وتوقفت تلك اللكمات الصغيرة داخلي خوفًا هي الأخرى، نظرت إليه، كان يحمل مصدرًا لضوء صغير وشيء آخر بيده لا أراه جيدًا، فتلك الغرفة غير مزودة بالإضاءة، اقترب مني قائلًا: أنتِ مش هينفع معاكي غير إني أحرمك من الحياة.

اقترب مني ليضع إبرة صغيرة ألمها لا يُعادل ذلك الألم داخل جسدي، لتنتشر وتتغلغل خلال أوردتي، بكيت باستسلام دون أن أتحرك، دون أن أبتعد حتى ولو قليلًا، شعرت وكأنني أفقد بصري ببطء، آخر شيء رأيته كان وجه (أدهم) ينزع عني تلك الإبرة.

استيقظت بعد وقتٍ دام طويلًا فوجدت أنني في غرفتي على سريري أرتدي ملابس غير تلك الملابس الممزقة، شعري ممشط ومنسدل، نظرت حولي فلم أجده بجانبي، نظرت إلى تلك النافذة أمامي فوجدت أن الليل لا زال موجودًا، تعجبت من ذلك، أشعر وكأنني نمت لفترة طويلة وأستيقظ الآن لأرى أنني لا زلت في نفس اليوم ونفس الليلة.

نظرت إلى جسدي فتعجبت التئام بعض الجروح وتغير لون بعض من تلك الكدمات إلى الأزرق المشيب ببعض الصفرة، وأشعر براحة في جسدي عن تلك اللحظة التي اكتسبت فيها تلك الكدمات، خرجت من غرفتي أعد خطواتي خوفًا، أترقب رؤية (أدهم) لي.

خرجت ولم أجد أحدًا بالمنزل من الأساس، ارتاحت أنفاسي بعض الشيء ولم أتساءل كثيرًا عن مكان (أدهم)، فقط اتجهت نحو الساعة التي تحمل معها تاريخ اليوم إلكترونيًّا، نظرت لها فعلمت أن ذلك الليل هو ليل قد أتى بعد يومين من مرور تلك المشكلة، أو بمعنى أصح الحادثة!

ابتسمت مستنكرة غير متوقعة ما حدث، لقد تركني (أدهم) نائمة لمدة يومين لا أفقه شيئًا، غارقة في عالم لا أعلم عنه شيئًا، فقط غارقة في سبات ونوم عميق، لا أتذكر إذا كنت استيقظت خلال تلك الفترة أم لا، لا أتذكر أي شيء، فقط أتذكر تلك اللحظة التي أعطاني (أدهم) تلك الإبرة ولحظة انتزاعها عني، ولا أتذكر أكثر.

ما الذي حدث خلال هذه الفترة؟ هل كنت نائمة فقط؟ يتحرك (أدهم) بجانبي يأتي ويذهب دون أن أدري! هل كان قلقًا عليَ؟ هل جلس بجانبي يتساءل متى سأستيقظ؟ بالتأكيد هو من بدل لي ملابسي التي كنت أرتديها، وهو أيضًا من مشط لي شعري.

جلست أفكر قلقة بشأنه لا أعلم أين ذهب ولمَ قد يتأخر للساعة الرابعة فجرًا، وهل خرج منذ قليل؟ أم مكث عند أحدهم بالخارج؟ قطع تفكيري دخول (أدهم) يتحدث مع أحدهم، يظهر لي وكأنه صوت فتاة، تحركت من مكاني فرحة لقدومه ولكن سرعان ما انضمرت تلك الفرحة داخلي مرة أخرى، لأرى تلك الفتاة (سمر) التي رأيتها بالحفل تقف بجانبه تحمل أكياسًا وتضحك لتدخل منزلي، وكأنها تحتل مكاني دون أن أشعر!

شبكت ذراعيَّ ببعضهما ووقفت أمامهما أبتسم بلهفة للقائهم، تفاجأ كلاهما من استيقاظي، نظرت إليهم وقلت: إيه دا؟ أنتو اتأخرتوا كدا ليه يا وحشين؟ كدا تسيبوني لوحدي؟ طب كنتوا خدوني معاكم أشم شوية هوا.

نظر إلي (أدهم) بحنان ورقة وكأنه لم يفتعل مكروهًا منذ أن خلقه الله، جاء وأحاطني بذراعيه وأنا لازلت متجمدة على حالتي وقال بحنو صوته الذي نسيته تمامًا: حبيبتي، أنتِ صحيتي؟ الحمد لله، أنتِ كدا بقيتي كويسة، أنا مش مصدق إنك واقفة قدامي دلوقتي.

ابتسمت بهدوء وأبعدته عني وذهبت لتلك الفتاة (سمر) وقلت: اتفضلي البيت بيتك، اتفضلي يا شيخة، أنتِ أكيد دخلتي هنا قبل كدا وأنا متنيلة نايمة.

ـ أستاذة (سمر)، ما تفهمينيش غلط، أنا زميلة دكتور (أدهم) و..

قاطعت كلامها قائلة: ششششش ولا كلمة، اتفضلي اقعدي هنا ولما أسألك بس تردي.

نظرَت إلى (أدهم) لا تفهم ما الذي أريده منها، حاول تهدئتها بملامحه لتستسلم لما أمليه عليها، جلست وظللتُ أنا واقفة أحدق في ملابسها القصيرة بضيق أحاول امتلاك أعصابي ولكني لا أستطيع ولا أحتمل ما أراه أمامي، سألتها وكأنني أستجوبها: أنتِ بتعملي إيه هنا وفي ساعة زي دي؟ وصلت بيكي البجاحة تدخلي بيتي؟ ويا ترى بقى أنتِ كنتي عارفة إني متخدرة ولا أنتِ السبب أصلًا في تخديري ولا إيه بالظبط؟

لاحظتُ انفعالي عليها وتذكرت طريقة (أدهم) عندما يفرغ عصبيته عليَ، حاولت تهدئة نفسي، قامت تلك الفتاة من مكانها لتختبئ خلف (أدهم) وكأنني مجنونة، يبدو أنني لم أتحكم بأعصابي جيدًا، بدأت أفقد صوابي، أشعر بهذيان وأناملي تلسعني، طبقت أناملي بقوة داخل كفي يدي لتضغط أظافري على بطن يدي حتى تجلب بعضًا من قطرات الدماء لشدة غيظي.

ذهبت لأقف أمام (أدهم) وكأنني لا أخشاه قط، اقتربت منه فوجدت تلك الفتاة تمسك بكتفه بقوة وتقول: أبعدها عني دي مجنونة، كفاية اللي عملته فيا الصبح.

استفزني ما قالته، لم أشعر بنفسي فقط انقضضت عليها وكأنها فريسة صعبة المنال، أمسكت بشعرها وأخذت أضربها دون أن أشعر، دون

أن أدري أين سأسدد تلك الضربات، دون أن تدافع هي عن نفسها، فقط كانت تصرخ، حاول (أدهم) إبعادي عنها وألقى بي بعيدًا عنها، وقفت في مكاني فوجدت وجهها يقطر بقطرات صغيرة من الدماء، فعلمت أنني غرست أظافري داخل وجهها لينزف، ولكن صدقًا لم أشعر بذلك ولم أشعر بما فعلت إلا بعد ابتعادي عنها.

ذهب (أدهم) ليطمئن عليها وتركني أنا زوجته التي تحبه وتخشى مفارقته، بدأت تلك الفتاة من جديد تنعتني بالمجنونة وأشياء أخرى مزعجة وكأنني مختلة.

لم أحتمل ما قالته، فحاولت الاقتراب منها فقط لإخافتها وتحذيرها، بدأت تصرخ خوفًا وتمسك بيد (أدهم) وتضغط عليها بقوة، كان ذلك أصعب من مناداتي بالمجنونة حتى لآخر عمري، لم أتمهل، فقط أطحت بها وأعددت الكرة مجددًا، ضربتها بكل ما أملك من قوة حتى شعرت بوخز بسيط أسفل رقبتي، حاولت الالتفات ولكني لم أستطع، بردت أطرافي وتخدرت لتنتشر البرودة داخل سائر جسدي، زال ذلك الوخز قليلًا، نظرت خلفي فوجدت (أدهم) يُغطي أنبوب إبرة أخرى قد أعطاها لي.

استيقظت لأكرر نفس المشهد بدون مخرج أو مساعد يرشدني أو يوجهني، انتبهت لنافذة غرفتي فوجدت ضوء النهار، انتفضت من مكاني ولم أهتم لخطواتي ولم أنتبه لـ (أدهم) الذي كان يجلس على الأريكة يُشاهد التلفاز، فقط مررت من أمامه دون الاهتمام به أو حتى النظر إليه، ذهبت أنظر إلى تلك الساعة أمامي لأرى تاريخ اليوم، فوجدت أن هناك يومًا آخر قد مضى دون أن أدري، دون أن أشعر، فقط كنت نائمة، والسبب في ذلك زوجي العزيز.

- أنت ليه عملت كدا؟ ليه بتضيع أيام من حياتي ومش عايزني أعيش حياة طبيعية؟ (أدهم) أنا بكلمك، رد عليا!

لاحظت بروده وعدم اهتمامه، ذهبت وأطفأت التلفاز لينتبه لي، قام من مكانه وقال ببرود: أنتِ ليه عملتي كدا؟ دا كان ماتش تحفة، إوعي، أنا لازم أتفرج ع الماتش.

- ماتش إيه؟ أنا بكلمك وأنت عايز تتفرج على التلفزيون؟!
- عايزة إيه؟
- عايزة أعرف أنت ليه بتعمل كدا؟ ليه؟
- بعمل إيه؟ أنا زي الفل، وأنتِ كمان، عايزة تعرفي إيه تاني؟
- (أدهم) ما تجننيش، ما فيش حاجة زي الفل خالص.
- ليه كدا بس؟ اهدي، تعالي أقعدي هنا على ما آجي.

جلست على الكرسي وذهب هو لجلب شيء ما، جلست أفكر ما الذي سيأتي به الآن، تخيلت أنه قد يأتي بإبرة أخرى لأغط في نوم عميق رغبة منه في ذلك، تفاجأت به يقف خلفي حاملًا كوبًا من عصير الرمان، لم أتمهل، اندفعت دون تفكير إثر مفاجأتي وقذفت الكوب ليقع وينكسر على الأرض.

نظر إلي مندهشًا وقال: في إيه يا حبيبتي؟ مالك؟ كدا ترمي العصير اللي أنا عملتهولك؟

- (أدهم)، هي إيه الإبرة اللي كل ما اعمل حاجة ما تعجبكش تديهالي؟ فيها دوا إيه؟ ممكن تأذي ابني؟
- إيه يا سمر هو خلاص بقى ابنك أنتِ لوحدك ولا إيه؟

- ما اعرفش وجاوب عن سؤالي.
- طيب، الإبرة دي علاج، وما تخافيش مش هتضر ابننا.
- علاج؟ أنا ليه بتعالج؟ أنا كويسة ما عنديش حاجة.
- يا حبيبتي أنتِ كويسة وزي الفل، بس أنتِ بتجيلك شوية هلاوس وعشان كدا لازم تتعالجي.
- (أدهم)، أنا ما عنديش لا هلاوس ولا نيلة، أنت اللي كنت واقف بتكلم نفسك في المراية وكذا مرة أشوفك بتكلم نفسك، دا غير الملف اللي أنت مخبيه بتاع سجل مرضك وعلاجك من وأنت عندك ٢٠ سنة.

ابتسم ضاحكًا، جلس على الأريكة ووضع يده على جبهته، اشتدت ضحكاته ورد قائلًا بصوت خفيض ولكنه يصل لي: أنا كنت عارف إنك هتكوني مصدر خطر عليا.

- خطر؟ خطر إيه؟ أنا بقيت في حياتك خطر بعد ما كنت بتقلي إن أنا أحسن واحدة عرفتها؟
- (سمر)، أنتِ تقريبًا كدا بقيتي تعرفي كل حاجة عني.
- أظن دا مش غلط، أنا مراتك يعني مرايتك، المفروض أبقى عارفة عنك كل حاجة.
- لأ، للأسف لأ، وللأسف أنتِ عرفتي إني بتعالج من ١٥ سنة تقريبًا عند دكتور نفساني، ودا ما ينفعش.
- إيه اللي ما ينفعش؟ أنا بجد مش فاهماك!

- (سمر)، تعالي نقعد نتفاهم بهدوء وتكلميني بصراحة، من يوم ما عرفتيني تقريبًا وأنتِ بجد ما شوفتيش يوم حلو معايا، إيه اللي مخليكي باقيه عليا ومستحملاني؟

شعرت بهدوئه وأنه يفتح سبيلًا للنقاش العقلاني الرزين، جلست أمامه وتأملت كلماته، فهو يعلم بأن أفعاله لن تتحملها غيري، ولن ترضى مخلوقة بهذه المعاملة وخصوصًا في هذا العصر من التقدم وفي هذا البلد.

- لأني بحبك.
- مش معقول تقابلي معاملتي بحب، ومش عايزاني أشك فيكي أو حتى أحس إنك بتضحكي عليا؟
- سكوتي وحبي اللي أنت مستغربهم هما الأساس اللي دايمًا بيخليني متعلقة بيك وخايفة إني أخسرك، في كل مرة بضحك على نفسي وأقول مش مهم يمكن مخنوق، يمكن زهقان، يمكن أنتِ ضايقتيه، وللأسف ما بلاقيش أسباب مقنعة لأي حاجة أنت بتعملها، وبيبقي ما عنديش خيار غير إني أسكت لإني بحبك.

تعجبت لما فعله، ابتسم ضاحكًا وبدأ بالتصفيق وكأنني أنهيت مسرحية توًّا، وقف وقال وهو لا زال على حالته يمدح ما قلته بسخرية: الله عليكي يا ست، إيه الحلاوة دي؟ أنتِ قرأتي الكلام دا في كتاب إيه ولا في رواية إيه؟!

لم أتوقع أسلوبه بعد ذلك الكلام الذي أخرجته من أعماق قلبي على الرغم من ضيقي وبعد كل ما فعله، لم يعطِ الأشياء وزنها الحقيقي، لاحظت استهتاره في الحديث فوقفت في مكاني وذهبت لأتركه يستهزأ

بكلماتي.

سمعت صوتي يتردد بصراخ قوي، أدرت ظهري فوجدته قد فتح التلفاز، والغريب أنني رأيت نفسي، غريب! ذلك شريط مسجل، أخذت أرى ما يحدث أمامي في ذهول، أحدق في خوف، في ذعر من تلك الفتاة، فهذه ليست أنا، متى تم تصوير ذلك الشريط؟! لا، سأجن بالفعل!

وجدت نفسي جالسة أمام أخصائي نفساني اسمه على الطاولة التي أمامه ولكنه غير واضح، تغطي الهالات السوداء جزءًا كبيرًا من عيني، يضرب اللون الأزرق يدي بسبب تلك الكدمات، أيقنت أن ذلك التسجيل قد حدث في تلك الليلة التي وخزني فيها (أدهم) بتلك الإبرة للمرة الأولى، بدأت أبكي إلى الطبيب، أشكو مما يفعله (أدهم) بي وما يلحقه بي من أذى، أخرج له هاتفه ليعرض عليه شريط فيديو آخر ليراني عندما كنت أتحدث عبر المرآة كما فعل هو.

لم أتخيل ما يحدث، ولم أصدق أنني تلك الجالسة وراء شاشة التلفاز، لا أتذكر أي لحظة من تلك التي تُعرض أمامي، أطفأ (أدهم) ذلك الشريط يسألني بنظراته وكأنني أصبحت مختلة تمامًا، ينتظر ثورتي وأسئلتي ولكن الصمت أصبح ساكنًا بحلقي ومنبع أدمعي فلم أستطع الكلام.

- كنتي بتسأليني أنا بعمل كدا ليه، مش عشان أنا مريض زي ما أنتِ فاكرة، أنتِ اللي طلعتي مريضة.
- ازاي؟ ازاي وأنا لقيت الملف اللي بيثبت إنك بتتعالج من مرض نفسي ولقيت اسم الدكتور واتصلت بيه وكان عارفك كويس، وكمان لما كنت بتكلم نفسك.

- طيب اثبتيلي فين الحاجات دي وحصلت إمتى عشان أصدقك.

فكرت قليلًا وقلت: طيب تعالى معايا.

ذهبت إلى غرفتي وفتحت الخزانة لأخرج ذلك القميص من مكانه والذي يحتوي على الملف، وجدت القميص ووجدت الملف، فرحت وانشرح وجهي لأثبت له عكس ما قال، فتحت الملف فوجدت الورق ناقصًا، أخرجت بعض الأوراق لأقرأها فلم أجد أي ورقة من تلك التي قرأتها في المرة الماضية، أخذت أقلب الصفحات بسرعة فوجدتها عقود بيع وشراء جميعها باسمي، وعقد امتلاك الشركة التي تولى منصبها منذ فترة قريبة.

اتسعت عيناي في ذهول متعجبة ما يحدث، رمقني بنظرات عطف وقال بحنو صوته: شوفتي أنتِ دايمًا ظالماني ازاي؟

نظرت إليه في تعجب وقلت: لأ أنا مش ظالماك، تعالى معايا لحظة.

ذهبت لتلك المكتبة وفتحت بابها، دخلت غرفة المراقبة وحركت بعض الأزرار على لوحة المفاتيح لذلك الحاسوب أمامي حتى ظهرت تلك اللحظة التي كان فيها (أدهم) يُحدث نفسه، رأى تلك اللحظة ليقع في شر أعماله.

خرج ولم يُعقب، ذهبت خلفه لأرى ما الذي سيقوله هذه المرة، ولكن لم ينطق بحرف وكأنه مصدوم أو يفكر في شيء، حاولت التحدث معه ولكنه ظل قابعًا في صمته، حتى شعرت من ملامحه وكأنه قد توصل إلى حل، نظر إلي وبدأ يضحك بقوة كما كان يفعل من قبل عندما كنت أراه في أحلامي.

فزعت من تلك القهقهات، أتى ليقف أمامي قائلًا: اسمعي، أنتِ بتقولي إني مريض نفسي، بس الناس مش شايفين كدا، أنتِ بتقولي إن الكاميرات دي شايفاني، بس أنا اللي مركب الكاميرات دي، يعني أقدر أتحكم فيها بطريقتي، مش كدا؟

- وأنت مين قالك إن أنا عايزة الناس تعرف أو الكاميرات تثبت؟ أنا مش عايزة غير إن احنا نعيش حياة طبيعية، وفي كل مرة أنت بتحاول تثبت عليا حاجة موجودة فيك.

أمسك بخصلات شعري وجذبني نحوه: (سمر)، أنا مش مريض، مش مريض، أنتِ فاهمة؟

- طيب خلاص أنت مش مريض.
- أنتِ المريضة، أنتِ اللي كنتي بتحلمي أحلام غريبة وبتشوفي حاجات أغرب زي صاحبتك (منة) اللي انتحرت، أنتِ اللي بتكلمي نفسك وعايزة تهبليني معاكي، اعرفي إن دا عمره ما هيحصل، أنا مالك أكبر الشركات في الشرق الأوسط وبحر إنجازاتي هو اللي بيتكلم عني، إوعي تحاولي تثبتي لأي حد إني مريض، وحتى لو حاولتي يا حبيبتي مش هتعرفي.

بدا متوحشًا بصورة لم أرها من قبل، لم أنطق بحرف، فقط كنت أومئ برأسي لتنفيذ كل ما يقول، تأكدت الآن من كونه مريضًا بالفعل، لم أعلم من أين جاء بتلك الحادثة القديمة، حاولت تهدئته حتى لا يثور، فإذا قابلت عصبيته بردود منطقية الآن قد تحدث كارثة، وسأكون أنا السبب في حدوثها.

سحبت كفه من بين خصلات شعري بلطف، قبلت براجمه مؤكدة تقبلي لكل ما يقوله وما يمليه عليَ، عانقته وبدأت أبكي في صمت، وددت اختراق جسده والاختباء داخله منه لأكون جزءًا من ثنايا ضلوعه، ليرجع ذلك الضلع الأعوج مكانه مرة أخرى.

فجميعنا نعلم بأن (حواء) قد خُلقت من ضلع (آدم) ـعليه السلام ـ كما ذُكر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وكما بين نبينا الهادي ـصلى الله عليه وسلم ـ أن المرأة خُلقت لتكون ضلعًا أعوج من الرجل، والمقصود هنا ليس المعنى اللفظي، ولكن المقصود هو المعنى المجازي، ذلك العوج لا يفهمه البعض، ذلك العوج هو صفة مدح وليست ذمًّا للمرأة كما يعتقد البعض، فالقفص الصدري للإنسان يتكون من ضلوع معوجة، والصواب أن تبقى على عوجها، فلم نجد طبيبًا جراحًا يُعدل من ذلك الاعوجاج، وإلا أصبح شكل الإنسان ناشزًا عن غيره وليس كما خلقنا الخالق الوهاب في أحسن صورة.

كذلك الاعوجاج نراه بكل امرأة، ليس في عقلها كما يقول البعض ويسيء فهم جملة (ناقصات عقل ودين).

ففي الفئتين والجنسين نرى من ينقصهم العقل والدين معًا، كما يتم تفسير العوج الذي خُلقت منه المرأة على أنه نقص في عقلها أو في خلقها، ولكن ذلك العوج تراه في حنانها على أطفالها عندما تميل برأسها فوقهم منحنية عليهم تحتضن أطفالها، تُرضعهم، تلبسهم وتنظفهم، وفي جميع هذه الحالات لا تكون إلا منحنية، ذلك الاعوجاج فيه حماية لقلب الرجل واستقرار يحمل الطمأنينة لقلبه.

هدأت ثورته، تعجب مما فعلته، لم أكتفِ بمعانقته فقط، بل أكدت له ما يريد، أكدت له بأنني مختلة عقليًّا، انفرج وجهه وهدأت أعصابه وزالت تلك العصبية، أحاطني بين ذراعيه، ولكنني لم أشعر بذلك الدفء الذي كنت أشعر به من قبل عندما أكون بين ذراعيه، شعرت أن تلك المعانقة ليست سوى صفقة لتهدئتي لأصمت عن التفكير وعن كل حقوقي، والتي باتت ملكه الآن يتحكم بها كيفما شاء.

ذهب كلانا لينام؛ فقد مررنا بوقت عصيب، وضعت رأسي على وسادتي، قرأت أذكاري وجفوني لا تنطبق على بعضها البتة، حاولت النوم لأكثر من مرة ولكن بلا فائدة، جلست أفكر فيما حدث، مرض (أدهم) خطير ويؤذيني بعض الشيء ولكنه لن يقتلني، طمأنت نفسي واستودعت نفسي وصغيري الذي أحمله في بطني عند واهب الودائع وخلدت للنوم.

فتحت عيناي ببطء شديد على صوت حركة خفيفة بجانبي بعد عثوري على النوم بصعوبة كبيرة، وجدت (أدهم) يقف بجانب النافذة ينظر إلي من بعيد ويردف ناظرًا عبر النافذة مرة أخرى، اقترب مني، أغمضت عيني، رفع الغطاء عن وجهي وتأكد من كوني نائمة، رمى الغطاء على وجهي مرةً أخرى وذهب ليقف بجانب النافذة، ظللت أنظر إليه عبر تلك الفتحة التي أبصر بها عبر بطانيتي، أختلس النظر إليه دون أن يراني، فقط ينتظر ما يُعادل العشر دقائق تقريبًا ويأتي ليعيد الكرة، يرفع الغطاء ليتأكد من نومي ليلقيه مرةً أخرى على وجهي ويرجع ليقف بجانب النافذة، ينظر إلى السماء يؤشر إلى أحدهم، يغمغم ببعض الكلمات التي لا أسمعها، وكأنه يتحدث مع أحدهم بل ويعنفه ويلقي عليه اللوم، ثم يأتي ليتأكد من كوني نائمة مرة أخرى!!

ظللت مستيقظة طوال الليل، لم يجد النوم لجفوني سبيلًا يتخذه، فكلما انسابت جفوني أتى (أدهم) ليوقظني بحركته، كنت خائفة، بل مرعوبة، ما الذي يفكر فيه؟ ومع من يتحدث؟ وهل ذلك الشخص يكرهني؟ هل ذلك الشخص يحرض (أدهم) عليَ؟ ليتني أعلم، وحتى إن وضحت بعض الأشياء وعلمتها فسيكون خالقي أعلم مني بها، ففوق كل ذي علم عليم.

استيقظت صباحًا ولا أعلم ما هو الوقت وكيف نمت البارحة، كيف لي أن أنام في ذلك الجنون؟ نهضت من مكاني فوجدت أن (أدهم) قد خرج لعمله دون أن يوقظني، قمت من مكاني وذهبت لأستحم لعل الماء يُجلي ما وقع عليَ من إرهاق ليلة البارحة.

خرجت وأنا أمسك بمنشفة أجفف بها شعري، فوجدت هاتف (أدهم) مُلقى على الأريكة، لا بد من أنه قد نسيه، نظرت إليه ولتلك الكاميرات، حاولت ألا أقترب منه، ولكني تذكرت عائلتي، تذكرت حنان والدتي ومرض والدي وضحكات إخوتي.

أمسكت الهاتف، فتحته واتصلت بوالدتي، رن جرس الهاتف، قلبي ينتظر صوتًا كاد أن ينساه، أجابت أمي: ألو مين معايا؟

اقشعر جسدي من فرحته، انبجست عواطفي، قلت في هدوء وأنا ألتقط أنفاسي: إزيك يا ماما؟ وحشاني.

لم تنتظر أمي حتى صرخت قائلة: سمر حبيبتي، فينك يا بنتي؟ أنا كنت قلقانة عليكي، كنت هموت من الخوف، كلمتكوا أكتر من مرة وما حدش بيرد، أنا كنت هموت من القلق عليكي يا بنتي.

- بعد الشر عليكي، ما تخافيش أنا كويسة وزي الفل.

- و(أدهم) أخباره إيه؟ الوحش اعتبرته زي ابني وما يتصلش بيا، والله لأوريه أول ما أكلمه.
- لحظة، هو مش (أدهم) كلمك من فترة من يجي أسبوعين كدا؟

نفت أمي قائلة: لأ يا بنتي، من يوم ما سافرتوا وأنا ما سمعتش صوت حد فيكوا، ودايمًا كنت بتطمن عليكي من أهل (أدهم).

- ماما، (أدهم) عرف ازاي بموضوع (منة) والحادثة اللي حصلت من فترة؟
- (منة)؟ أنا ما قولتش حاجة لـ (أدهم)، بس لحظة، أنا حكيت لمامته.
- ازاي يعني يا ماما تحكي حاجة زي كدا؟ ليه عملتي كدا؟
- اهدي أنتِ مش فاهمة الموضوع جه ازاي، هي فضلت تسألني كذا مرة عن أحلامك لإن (أدهم) بدأ يشتكي منك ليها، فقلتلها إن دا بسبب الحادثة دي، وإن أعصابك تعبانة من ساعتها، أهو يمكن تصعبي عليه ويقدر موقفك.
- يقدر موقفي إيه بس يا ماما؟ دا فسر الموقف إن أنا مجنونة.

سمعت صوت باب المنزل يُفتح، وجدت (أدهم) أمامي بين لحظة والأخرى، وجدني أمسك بهاتفه، علمت بأن مصيبة ستحدث الآن ولن أستطيع منعها، حاولت غلق الخط قبل أن تسمع والدتي صراخي وبكائي، ولكنه سحب الهاتف من يدي ورمى به ليقع على الأرض قبل أن أغلق الخط.

أمسك بيدي وبدأ يجهر بصوته عاليًا، يسب ويلقي أبشع الشتائم التي ينعت بها عائلتي، لم يهمني ما يفعله وما يقوله، فقط كنت أنظر إلى هاتفه الذي لا يزال عالقًا لتسمع والدتي كل ما يحدث، حاولت أن أتماسك وألا أصرخ، حاولت كتم صوتي وكتم أنفاسي وآهاتي حتى لا تتعذب والدتي بعذابي، حاولت النهوض والابتعاد عنه ولكنه أمسك بي ليزج بي في غرفة الاستقبال ويغلقها عليَ، ظللت أطرق الباب بقوة، حاولت فتحه ولكني لم أستطع، بدأ يتوعدني ويهددني، لم أبالِ لما قال وبدأت بسرد كل ما رأيته منه ليلة البارحة، كل ما حدث، ذهابه وإيابه مرارًا وتكرارًا، حديثه المريب، عصبيته وكأنه يلوم شخصًا، ضرب علي الباب بقوة، أفزعتني تلك الضربة.

لم تمر ثوانٍ حتى سمعته يتصل بأحدهم يشكو تصرفاتي وكأنني أنا من تؤذيه وليس العكس، أكد بعض الأشياء وذكر الكثير من الأشياء التي لم أفعلها قط، أغلق الخط واتصل مرة أخرى بأحدهم، طرقت الباب لعدة مرات ولكنه لم يبالِ، ظللت أنادي باسمه، لا أعلم من هؤلاء الذين يتصل بهم ويشكو حاله وأفعالي التي لم تصدر إليهم.

لم يستغرق الأمر دقائق حتى أكد على قدوم أحدهم خلال لحظات، طرقت الباب بقوة، بضيق، بعصبية، بكيت بصوت عالٍ عسى أن يلين قلبه، ولكن ظل الوضع على ما هو عليه.

أغلق الخط، سمعت صوت تكسير في جميع أنحاء المنزل، صوت ضجيج عارم، صوت تحريك الأثاث وانقلاب الطاولات، تكسير كل ما هو زجاج، ما يحدث ليس مُطَمئِنًا بالمرة، في كل مرة يتضايق (أدهم) فيها يفرغ ما بداخله من عصبية وضيق على جسدي، فلمَ لم يحدث ذلك

الآن؟ هناك أمر ما يحدث، أمر ليس بالسهل، أمر قد ينهي حياتي اليوم.

- (أدهم) افتحلي الباب عشان خاطري، أنت ليه بتعمل كدا؟ افتح الباب خلينا نتفاهم بهدوء، (أدهم) إيه اللي بيحصل برا؟

سمعت صوتًا كصوت سيارة الإسعاف أو الشرطة، صوتًا فقط سمعته على التلفاز، ظللت أطرق الباب كالمجنونة، فتح (أدهم) الباب للطارق وبدأ يشكو، يُري من أدخلهم المنزل المدمَّر بأكمله، وكأنني أنا من افتعلت كل ما حدث، صوت أناس كثيرين بالخارج وليس شخصًا واحدًا، توقفت عن طرق الباب لأسمع ما يقولونه، تأكدت من ماهية هؤلاء الأشخاص، تأكدت من أن وجودهم لن يعود علي بالنفع، تأكدت الآن من خطة (أدهم).

جُن جنوني بعد سماع تلك الكلمات وسبب مجيء هؤلاء الأشخاص، أُصبت بهستيريا غير طبيعية، كدت أن أكسر الباب، هاجمت الباب محاولة كسره لأنفي ما يُقال عني بالخارج، لم أتمكن من فتحه، نظرت حولي وبدأت بتكسير كل ما حولي من الغيظ، حاولت إيجاد طريقة لفتح الباب ولكني لم أجد سوى تلك النافذة القصيرة التي تطل على حديقة المنزل مفتوحة.

لم أنتظر دخولهم ليأخذوني معهم، فقط حاولت التسلل عبر النافذة لعلي أجد طريقة للهرب بعيدًا عن المنزل بمن فيه، خرجت من تلك النافذة بهدوء محاولة الهرب أنا وصغيري من تلك التعاسة التي تصيبني.

لم أخطُ بضع خطوات حتى سمعت صوت باب غرفة الاستقبال يُفتح، وأحدهم يأمر بإيجادي قبل أن أبتعد عن المنزل، بدأت بالركض ولكني لم أرَ سوى جدران المنزل هائلة الطول أمامي، تحدني من جميع الاتجاهات، سمعت صوت أقدام متجهة نحوي، نظرت خلفي لأجد رجلًا يقف بجانب (أدهم) وآخر يهدئه ويواسيه وسيدتين يرتديان أبيض وكأنهما ممرضتان تقريبًا.

حاولت الرجوع إلى الخلف، اقترب ذلك الرجل وقال: مدام (سمر)، ما تخافيش، احنا عايزين مصلحتك، اتفضلي معانا بهدوء.

رجعت خطوتين إلى الوراء في خوف، فتحدث ذلك الرجل قائلًا: مدام (سمر)، أنتِ لازم تيجي معانا دلوقتي لإن حالتك الصحية والعقلية مش مستقرة، اتفضلي معانا وبهدوء مش عايزين نلجأ للطرق الصعبة.

تذكرت ذلك الرجل، لقد كان في ذلك الشريط الذي عرضه (أدهم) علي، هو ذلك الطبيب الذي عرضني عليه (أدهم) ليجعل مني مختلة عقليًّا، لم أنتظر، حاولت الركض بعيدًا عنهم، أمر ذلك الرجل من حوله قائلًا: هاتوها.

لم أستطع التحرك أكثر من خمس خطوات تقريبًا حتى هبطت أنفاسي، والسبب في ذلك امتلاء بطني، فلم أستطع التحرك خطوة أخرى إلى الأمام، جاء رجل وسيدتان أمسكا بيدي ليأخذوني إلى مستشفى المجانين، بدأت أصرخ بقوة: أنا مش مجنونة، أنا مش مجنونة.

لم تقع عيناي سوى على (أدهم) الذي كان يقف بعيدًا ينظر إلي في خوف وترقب، فلت يدي من بين أيديهم وذهبت بأقصى ما أمتلك من سرعة وعانقته بقوة وقلت: (أدهم)، أنا مش مجنونة، قُلهم إني مش

مجنونة، أنا كويسة، صدقني مش هعمل أي حاجة تضايقك تاني، صدقني يا (أدهم)، (أدهم) قولهم إني مش مجنونة عشان خاطري.

لم يتفوه بكلمة وكأنه مُشتت ينظر إلي في بلاهة وكأنه لا يقوى على التصرف، ينظر إلي بعطف وكأنني قد جننت بالفعل، عيناه تدمعان وكأنه مغلوب على أمره، نظرت إليه متأرجحة بين أهداب عينيه مندهشة من صمته، قلبي يضخ الدم بسرعة غير طبيعية تشعرني بحرارة وجهي، ويداي تتعرقان من الخوف والذعر الذي يلتف حولي.

لاحظت صمته وتأكدت من عدم تحدثه، سيدعهم يأخذونني، انفعلت بشدة ولأول مرة دون أن أشعر أمسكت بكتفيه وأخذت ألكمه في صدره بهلع وأبكي بحرقة مكررة: أنا مش مجنونة، أنا مش مجنونة حرام عليك، قُلهم، فهمهم إن أنا مش مجنونة.

لاحظ الجميع انفعالي، جاءت واحدة من الممرضات وأعطتني إبرة مُخدرة لأقع أرضًا مستسلمة دون رغبة مني، تتداخل عيناي مع بعضهما لأرى (أدهم) واقفًا في حالة صمت ورهبة تعلو وجهه وكأنه يشعر بالندم على ما فعل.

8

فتحت مقلتيَّ بصعوبة كبيرة، انفرجت مقلتاي، المكان مظلم بشدة، أدركت أنني لا زلت على قيد الحياة وأنني بغرفة ولست في مقبرة، لا أعلم كم من الوقت قد نمت، كل عظمة داخل جسدي تشكو ألمًا، لا أعلم ما حدث ولا أعلم الوقت، الساعة أو التاريخ، نظرت حولي أتفحص المكان فلم أرَ غير السواد محيطًا بي في كل الاتجاهات، تمنيت لو أن ما يحدث كان حلمًا بشعًا من أحلامي، كابوسًا ضخمًا سأستيقظ منه بعد فترة.

أطبقت يدي اليمنى على اليسري، قرصت نفسي وتألمت، تأكدت أن ذلك ليس كابوسًا للأسف، بل واقعًا مريرًا أعيشه، نزعت عني تلك الملاءة التي تغطيني، رائحة تلك الغرفة مقززة وكأنها لم تُنظَف منذ دهر بأكمله، وكأن هناك من مات فيها من قبل، نزلت من على السرير الذي كاد أن يشطر ظهري إلى نصفين من قسوته، تحركت للأمام في تلك الغرفة المعتمة، لم يقابلني شيء أتعثر به، تحركت وكأن قدمي تقودني نحو مصدر الإضاءة لتلك الغرفة، وجدت مصدر لإنارة الغرفة دون البحث طويلًا عنه، ضغطت عليه لتضيء الغرفة بأكملها ليتكرر المشهد..

لم يدهشني ما رأيت، بل جعلني أضحك بسخرية مما يحدث بصوت عالٍ، رأيت نفس ذلك المشهد في حلمي الأخير، رأيت نفس الغرفة ذات الإضاءة الخافتة المخيفة، نفس السرير الحديدي والجدران الملوثة بالكتابات المتشابكة وغير المفهومة، الكهرباء تأتي وتنطفئ وكأنني أمثل في فيلم رعب ما، بدأت أضحك بسخرية على حالتي التي يُرثى لها.

وضعت يدي على رأسي، نظرت لما أرتديه فوجدت أنني أرتدي ملابسًا مهلهلة بيضاء اللون، يكاد بياضها ينقلب إلى الاصفرار، وكأن أحدهم كان يرتديها من قبل، هدأت ضحكاتي، تجمد فمي، بكت عيناي، سقطت دموعي تنهمر منطلقة باحثة عن حرية لا أستطيع أنا إيجادها، تحولت ملامحي إلى الفتور، جلست على الأرض وجسدي تسوده القشعريرة، بدأت أبكي، أنوح بصوتٍ عالٍ، أصرخ بأعلى طبقات حنجرتي، أرثي نفسي وآخذ عزائي في نفسي.

لم يسمعني أحد، تذكرت رؤيتي لذلك كله منذ فترة في حلمي، لم أتوقع أن أحلامي قد تتحقق بذلك الشكل، تتواصل خيالاتي مع الحياة ليتحقق كل حلم أحلمه، ربطت بذاكرتي وما كان يحدث معي في أحلامي وما كنت أراه فيها، قارنت كل شيء، كل حلم حلمته بالواقع الذي أعيشه الآن فوجدته قد تحقق لأعيش حبيسة أحلامي.

(أحلامنا رزق)،الأحلام ربما يمقتها البعض وقد يتناساها ويهملها البعض الآخر، دون العلم بأنها ليست سوى نقطة فاصلة بيننا وبين حياتنا، فإذا أحسنًّا تفسيرها وأيقنا بأنها درب من دروب الرزق وتذكرناها، سنجد أن حياتنا باتت أسهل حتى وإن كان ما حلمنا به كابوسًا يُزعجنا، فسيكون ذلك تمهيدًا لعقولنا، سيكون تدريبًا لعقلنا الباطن ليتحمل صدمة ما هو

آتٍ، ليطُمئِنك عقلك لحظة حدوث أي مشكلة، أحلامنا تأتي لنا بصورة متكررة، منها ما نفرح به ومنها ما يفرح بنا، لا تمقت أحلامك، بل قل الحمد لله الذي رزقك تلك الأحلام ليُنبهك لشيء قد يجلي همك ويزيل عناءك، أو لينبهك بما سيُلقى في طريقك لتميطه بعيدًا عنك.

نظرت إلى سقف تلك الغرفة القديمة، رفعت يدي إلى السماء وجلست أنعى نفسي، أبكي على حياتي التي تضيع دون رغبةً مني، كنت على شفا جرف من الكفر، في لحظة ضعف وعناء، بدأت باللوم والتعداد، أبكي، أشكو قلة حيلتي، أتحدث مع خالقي قائلة: ليه كدا يا رب؟ أنا عملت إيه في حياتي غلط؟ يا رب أنا طول عمري ماشية صح، بصلي وبصوم وبتصدق على الناس المحتاجة! يا رب ليه كدا؟ يا رب حرام اللي أنا فيه، حرام اللي بيحصلي دا يا رب، يا رب ساعدني يا رب، يا رب أنا محتجالك، يا رب أنت بقالك فترة سايبني وبعيد عني، يا رب خرجني من كل اللي أنا فيه، اللهم أخرجني من أشد الضيق إلى أوسع الفرج، يا رب بحق ادعوني أستجب لكم، تخرجني من البلاء اللي أنا فيه يا رب.

ظللت على هذه الحالة أكرر دعائي، أتوسل، أتضرع، أبكي، أشكو بلائي إلى ربي، أكرر دعاء الأمل، دعاء تجديد الحياة، دعاء تفريج الكرب والهم، دعاء سيدنا (يونس) ببطن الحوت "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" حتى تثاقل جسدي، تمددت على الأرض وأمسكت بصغيري الموجود داخلي واستودعت نفسي وصغيري بأعين القادر الوهاب التي لا تنام لأغطس أنا في نوم عميق.

سمعت صوت حركة بجانبي، انتفضت من مكاني فزعة، فوجدت ممرضة تربت على كتفي تحمل بيدها كوبًا بلاستيكيًّا يُشبه غطاء لزجاجة من الدواء، نظرت إلي بلطف وتحدثت بلغة لم أفهمها، قمت وقلت لها بصوت مبحوح أهلكه البكاء: آه، أنا مش فاهماكي، مش فاهمة حاجة من كلامك.

نظرت إلي في تعجب وقالت: أنتِ مصرية؟

قلت في دهشة: أيوا أنا مصرية، أنتِ بتعرفي تتكلمي مصري؟

- طبعًا، أنا عشت في مصر سنتين قبل ما آجي هنا.
- طيب اسمعيني، ويا ريت تحاولي تصدقيني، أنا دخلت هنا بالغلط، أنا ماليش حد في البلد دي غير جوزي، وهو اللي جابني هنا، أرجوكي حاولي تساعديني، حاولي تخرجيني من هنا.

نظرت إلي في تيه وقالت: اسمعي، أنا عارفة إنك كويسة، بس أنتِ لازم تاخدي الدوا دا وتنامي والصبح نبقى نتكلم في الموضوع دا

لم أحتمل ما قالته، فأجبت قائلة بعد أن رميت ذلك الدواء من يدها: أنتِ بتاخديني على قد عقلي؟ أنا مش مجنونة، بقلك أنتٍ لازم تساعديني، لازم أخرج من هنا أنا مش مجنونة.

اقتربت منها حتى وقعت على الأرض محاوِلة نفي تلك التهمة التي تشوه شخصيتي، نادت تلك الممرضة أخرى وهي في حالة ذعر، يبدو أنني أخفتها، دخل الغرفة ممرضتان أبعداني عنها، استجمعت قوتي لأبعدهم عني.

- يا جماعة حرام عليكم أنا مش مجنونة، أنا مش مجنونة أنتم ليه مش عاوزين تفهموا؟؟؟

كانت تلك آخر كلمة قلتها قبل أن تغرس تلك الممرضة إبرة أسفل ظهري، وقعت من بين أيديهم، رفعوني على ذلك السرير القاسي مرة أخرى، خرجوا وأغلقوا الباب، أحاول فتح عينيَّ، أحاول إثبات عكس ما يتوقعون، ولكنهم لا يتفهمون، لا يعقلون، لا يفقهون مما يحدث شيئًا.

جاء صباح آخر باهت لا ملامح له، رأيت ضوءه من تلك النافذة الصغيرة العالية المغطاة بأسلاك طولية وعريضة، حتى لا يدخل الذباب أو الهواء لمن بهذه الغرفة، نظرت حولي فأنا في تلك الغرفة وحيدة دون أحد يؤنس وحدتي، لم أجد من يُعانقني، من أتحدث معه وأفرغ له ما في صدري، أشكو له، جلست أتحدث مع ربي بصوت مسموع، لا زلت ممدة على سريري الجديد الذي يُشبه سرير الموتى، عانقت نفسي بيدي، لففت يدي حول خصري، ويدي الأخرى وضعتها على رأسي، أبكي بهدوء شديد مرددة "فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين".

سمعني كل من يمر من الممرضات، يأتون وينظرون نحوي، يطمئنون عليَ، يمسكون بي ويضعون أيديهم على رأسي وأنا في حالة برود شديد قد أثلجت قلبي، حتى جاءت ممرضة متنمرة أثارت غضبي، جاءت ووضعت يدها على بطني وكأنها تتطمئن على طفلي، فلم أشعر سوى بصراخها بعد عدة ثوانٍ، لقد ضربتها، لقد كسرت ذراعها، كيف فعلت هذا؟ هي ضخمة وأنا نحيلة، كيف تمكنت من فعل ذلك؟ لا أعلم! جلست تصرخ وتنادي زملاءها وأنا وقفت أنظر لموقفي الذي يسوء لحظة تلو الأخرى، أبكي، أوجه كلامي لها قائلة: أنا مش قلتلك تبعدي عني؟ مش لو كنتي بعيدة ما

كانش دا حصل؟

جاءت طبيبة تبدو شريرة ومعها مساعداتها من الممرضات، أمسكت بكتفي بقوة وبعدها طلبت الدواء من الممرضة، وأمسكت بوجهي بقوة كادت تكسر فكي لتعطيني ذلك الدواء، أصررت على عدم أخذه ودفعتها بعيدًا عني وذهبت لأقف على سريري ممسكة ببطني جيدًا أصرخ بأعلى صوتي: ابعدوا عني، ابعدوا عني، اللي هيقرب مني أو من ابني هقتله، ابعدوا عني، حاولت أفهمكوا إني مش مجنونة لأكتر من مرة وأنتم مش عايزين تفهموا..

لم أكمل جملتي العصماء حتى تحدثت تلك الطبيبة قائلة: مدام (سمر) اهدي، احنا عارفين إنك مش مجنونة، انزلي هنا واقفي كلمينا زي البني آدمين يمكن نعرف نوصل لحل.

شعرت وكأنها قد تفيدني بشيء ما، نزلت لأقف أمامها، لم أنطق بحرف واحد حتى جاءت ممرضة بإبرة مهدئة وأعطتها لي.

صرخت بقوة اليأس التي تحطمني: يا غبية حرام عليكي، أنا مش مجنونة، حرام عليكم أنتم إيه؟؟ أنتم إيه؟؟ آه آه آه، ماماا يا ماماا الحقيني أنا هموت، بنتك هتموووت.

أحسست باليأس يدغدغ أطرافي فصمت أراقبهم يخرجون من غرفتي التي تشبه غرفة الأشباح، ظلت تلك الممرضة التي قابلتها البارحة تنظر إلي في عطف، نظرات شفقة أستحقها بجدارة، هبطت بجسدي على الأرض، فقط دموع تنزلق على أجفاني، دون القدرة على النطق بكلمة، جسدي متخشب بأكمله، أعصابي مشدودة وكأنني أُصبت بـ"كتاتونيا"، مرض تخشب وتجمد الجسد بأكمله.

جسدي مخدر بشكل كامل ولا أقوى على التحرك، والغريب في الأمر أن (أدهم) لم يسأل عني، بل لم يلتفت لي عندما أخذوني، لمَ قد يلتفت وهو بالأساس من أتى بهم ليأخذوني وليمحوني من فكره ويخرجني من قلبه؟ لا أعلم لما يحدث كل هذا، لما يفعل ذلك؟ هل يكرهني؟ هل حدث معه مثلما يحدث مع باقي الأزواج؟ هل بدأ يمل مني كوني زوجته؟ لكن ما الذي فعلته ليمل مني؟

لم أفعل شيئًا، لا لم أفعل أي شيء يضايقه، نفذت أوامره قدر المستطاع ولكنه بدأ يخنقني بتصرفاته وبغيرته غير المفهومة وحرصه الزائد، لم أعد أحتمل هذه الحياة على الرغم من حبي له، كلما حاول إبعادي عنه وعدم إخباري بأي شيء يحدث معه حاولت الاقتراب منه، حاول إبعادي عن طريقه لأميال فاقتربت منه وتقربت لأكون سندًا له، وترقبت مبادلتي ما أشعر به تجاهه، ولكن كان انتظاري صحراويًّا لا ينضح بماء المحبة الطاهر الذي يشفي الصدور المُحبة.

لما تلك التصرفات يا حبي الأول والأخير؟ لن أنعت تلك التصرفات بالبغض أو الكره، فقط سأبررها على أنها ضغط قد وقع على كل منا حتى أصبح كلانا لا يدرك ما يفعله، فقط سأكتفي بتذكر رشفتك للقهوة صباحًا، فقط سأتذكر عينيك اللتين تجعلاني غارقة بسحرهما حتى النخاع، فقط سأتخيلك بجانبي، سأفكر بك كما أحببتك منذ البداية، فقط سأفكر بك كما أردتك أن تكون.

(دواء النسيان)، ليستا كلمتين عاديتين؛ فالدواء يداوي كل ما آلم الجسد، حتى الجروح الغليظة، والنسيان في حد ذاته دواء يشفي العقول قبل القلوب، يداوي العقول من التفكير ويستر أفعالها التي قد تخطط لها،

ويداوي القلوب من الغصة التي قد تصيبها، آلامنا كثيرة وهمومنا أكثر، ولكن الذكي هو من يتعاطى (دواء النسيان) لكي يستطيع المداومة في حياة عميقة كهذه..

الدنيا، العالم، الأشخاص، الكون، كلها كلمات تراها بناظريك صغيرة، تستهتر بها أثناء قراءتها، ولكن لتتعامل مع هذه الكلمات عليك فهم معانيها جيدًا، لكي تعتقك الدنيا، وينظر إليك العالم، ويهتم بك الأشخاص، ويرضى عنك الكون بأكمله، عليك فقط اتباع سبيل الغي الذي حرمه المولى، اتبع تلك الخلطة السرية، ارتدي الأقنعة واحكمها جيدًا حول رأسك، كن منافقًا ترى الحب دافقًا، افتعل الأكاذيب وزيف الحقائق وانشرها، افتعل المصائب وستنال الشهرة بسرعة كبيرة، تقرب من كبار هذه الحياة، دع لنفسك اسمًا يعرفونك به، لتكون لك الوساطة و الأولوية فيما بعد.

(المتقرب من السلطان كالراكب الأسد، الناس منه في خوف وهو على نفسه أشد خوفًا)، جملة سمعتها من قبل جذبت تفكيري، فإذا تقرب أحد من شخص ذي جاه أو سلطة واسعة أو نفوذ ظل الجميع يهابه ويخشاه كخشيتهم من صاحب السلطة نفسه، والذي يجعل من تقربوا منه يتراقصون كالسعادين منفذين أوامره، وإذا أراد تخلص منهم وزج بهم بعيدًا عنه دون أن يتذكر خيرًا هم فاعلوه.

ظللت جالسة أفكر لما كل ابن آدم خطاء؟ لما أخطأ أبونا آدم مُنذ البداية؟ لماذا نقع في الأخطاء من الأساس؟ نعم، بالطبع لنفتعل المشكلات، ليجرح بعضنا البعض، لتتآكل صدورنا قهرًا لما نسدده من لكمات حارقة تلهب تلك الصدور لينطفئ نورها، وتسود القلوب لتبعث

فقط الحقد لتدمرنا بهدوء دون أن نشعر.

استيقظت مع صباح اليوم التالي على صوت أذان خافت بعيد بعض الشيء ولكنه بصوت امرأة، هذا لا يصح، أظنها ستبدأ بالصلاة أو..، لم أشغل بالي من الأساس؛ فأنا في مستشفى المجانين وكل شيء مباح هنا.

ظللت ممدة على الأرض، رأيت حفنة صغيرة من الرمال قد أحدثها سرب النمل في تلك الغرفة والذي يُعد رفيقي في الغرفة الآن، سلمت عليه وبدأت بالتحدث صباح الخير، صباح الخير يا أصدقائي الأعزاء، صباح الخير لكل شيء انتُزع مني كانتزاع أظافري قهرًا، صباح الخير لمن انتزعني من حياته ولم يسأل، صباح الخير لمن أشتهي وجوده سرًّا وعلانية، صباح الخير لعينيَّ المتورمتين، صباح الخير لحنجرتي الملساء التي لم تصلح للإمساك بصرخة والآن تتحمل الكثير، صباح الخير لأخطاء خلتها بسيطة وهو يعدها تهديد العصر وكارثة كونية، صباح الخير لتلك الرمال المتحركة التي كدت أن أغطس داخلها دون كفن.

لما الأشخاص يرتادون مدارس الخطأ ويبحرون في بحر العصيان ويركبون السفن الخاطئة ليغوصوا في بحر الهلاك ويقيموا أسوارًا وحواجز داخلهم، ليستمدوا قوتهم من الترجي، ولنراهم بأعيننا كشياطين تتحدانا، ليجعلوا من أعزة البشر أزلة، ومن أنقى البشر أخبثها، ومن أطيب القلوب أحقدها؟؟

سمعت صوتًا قادمًا، شخص ما يفتح الباب، لم آبه لمن يفتحه، جاءت تلك الممرضة ومعها طبق به بعض من الطعام وطبق آخر به شيء أصفر سائل غريب تنبعث منه رائحة كالمخلل المتعفن، طلبت مني الانتهاء من ذلك الطبق أمامها وبسرعة لأنه يحتوي على الكثير من الفيتامينات

التي ستغذيني، نظرت إليها بعد اهتمام وأردفت أنظر إلى الحائط مرة أخرى.

أمسكت بيدي وضغطت عليها بقوة محاوِلة إطعامي رغمًا عني، رميت تلك الملعقة وذلك الطبق بعيدًا وصرخت فيها بقوة لتخرج، أتت بالطبق وجمعت ما وقع وكررت ما فعلته محاوِلة إطعامي مرة أخرى، سحبتُ ذلك الطبق من يدها وضربته على وجهها، صرخت وكأن ذلك الطعام به مادة لاسعة، جاء جميع من بالخارج من ممرضات وأطباء، جاء ممرضان رجلان أمسكا بيدي وأخذاني من تلك الغرفة بعد أن أمرتهم تلك الطبيبة الشريرة الماكرة بشيء ما، خرجت للضوء الذي لم أره لفترة، أخذت أنظر إلى ذلك النعيم بالخارج، ليس المستشفى بأكمله كتلك الغرفة البشعة التي وضعوني بها، فتزينه الأشجار والزهور والحشائش الصغيرة على الأرض والكراسي الخشبية وكأنها حديقة، والغريب أن أغلب مجانين هذا المشفى جالسون به ويمرون من خلاله.

الجميع ينظر إلي في خوف وكأنني (عفريتة) حتى من لا يعرفني من هؤلاء المرضى ينظر إلي في خوف وكأنهم علموا بأمر كسري ليد تلك الممرضة، يبدو أنني أثرت الشغب بصورة كبيرة وواضحة، لا أعلم أين يأخذونني فظللت أتحرك معهم في سكون وهدوء دون أن أنطق بحرف مستسلمة حتى أرى إلى أين ستقودني أقدامهم.

ازداد هلعي فور دخولي تلك الغرفة وبدأت أكرر كالمجانين: إيه دا؟ أنا عارفة الجهاز دا! لأ أنا مش هسيبكوا تعملوا كدا فيا، أنا مش مجنونة، الجهاز دا للمجانين بتعذبوا بيه المجانين، لأ أنا مش مجنونة سيبوني، لأ سيبوني.

فور دخولي تلك الغرفة رأيت جهازًا موصلًا بسرير متحرك ومصدر كهرباء مُعدل مضبوط التيارات، العديد من الأسلاك والوصلات الكهربائية، طاولة خشبية، وفي آخر تلك الغرفة حوض وبجانبه خزانة، تقريبًا يضعون بها بعضًا من الدواء والإسعافات.

صرخت هلعًا عندما رأيت ذلك الجهاز، أحكم هاذان الرجلان الضخمان قبضتهما على يدي، وضعاني على ذلك السرير وقيداني بأربطة سوداء وبجانبهما بعض الممرضات تتأكدن من إحكام ذلك الرباط على كلتي يديَّ وقدميَّ، ثبتا جسدي على السرير ليصبح وكأنه جزء منه، أتيا بقطعتين دائريتين بلاستكيتين باردتين ووضعاهما على جانبي جبهتي وألصقاهما بقوة.

- يا جماعة الله حرام عليكوا، أنا والله مش مجنونة حرام عليكوا، طيب مش مهم، أنا الكهربا دي هتأثر على ابني، حرام عليكوا يا ناس.

لم أكمل كلامي حتى جاءت تلك الطبيبة ووضعت قطعة إسطوانية مطاطية قاسية داخل فمي لأغلق بأسناني عليها، حاولت قول بعض الكلمات لتتفهم: اثمعي عثان خاطلي، اممممممم، امممم، اممممممم.

كانت تلك الصدمات الكهربائية عالية كثيرًا، ارتعد جسدي بأكمله، شعرت بتجمد مخي وبتحرك الدم داخل أوردتي، أسناني التصقت على تلك القطعة الأسطوانية كالدبق، شعرت بأظافر رجليَّ تنقلع من مكانها، عظامي كلها ترتجف، أعصابي أصابها الخذلان والثقل، عينايَ مفتوحتان بشكل غير طبيعي إثر تلك الصدمات، جسدي بأكمله يؤلمني وينتفض وكأنني ضُربت بسوط ألهب جسدي.

لكن ما رأيته في حياتي من صدمات بات أكبر وأبشع وأقوى من تلك الصدمات الكهربية، يظنون أنهم سيرجعون عقلي بتلك الصدمات، تفكيرهم خاطئ، بل سأصبح مجنونة بالفعل، تأكدت أنني لن أخرج من ذلك المستشفى البتة إذا ظل العلاج بهذه الطريقة.

بدأ عقلي بتصوير لقطات سريعة من حياتي منذ طفولتي إلى هذه اللحظة، بدأ بأبي وكيف كان يحملني ويلعب معي، والدتي تعلمني كيف أمشط شعري الكثيف، أخي يتشاجر معي على لعبة أخذتها منه، رسمتي لـ (أدهم) الذي دخل حياتي فجأةً، جدتي تربط شريطة حمراء على شعري، دخولي الجامعة وملاحقة الفتيان لي، وفاة جدتي، ارتباطي بـ (أدهم) وكيف كانت علاقتنا جميلة، سفري معه لهذه البلدة، لحظة علمنا بأن ما يسكن داخلي هو صبي وليس فتاة، كيف حزن وقتها، ضربه وسبه لي وتخديري، تقديمه عصير الرمان المفضل لي، جلب هؤلاء الأشخاص ليأخذوني، آخر ما مر من ذلك الشريط كانت عينيه الدامعتين بنظرة ندم مشوبة بقلة حيلة.

انتهت تلك الجلسة، نزعوا عني تلك الأسلاك ولكن جسدي لا يستشعر انتهاء الأمر، ظل جسدي ينتفض إثر تلك الصدمات، لم تندهش تلك الطبيبة، يبدو أن حالتي طبيعية بعد ما حدث، أمسك الرجلان الضخمان بيدي وذهبا بي إلى غرفتي ليضعاني على سريري.

في تلك اللحظات لم أشعر بأي شيء، مر الوقت وأنا فقط ممدة مستيقظة على سريري دون حركة، دون تبرير أي شيء، فقط عقل يندب حظه، ليتني لم أقابله يومًا، ليتني لم أحبه، ليتني أنساه، ليتني أمقته، وليته هو يأتي لينتشلني من ذلك السجن الموحش الذي يُدمرني.

الحُب كالكهرباء الموصلة على التوالي، إذا تعطل ضوء واحد من تلك الأضواء التي يشعلها لهيب الحُب انطفأ ما تبقى منه داخل القلب لينتهي، ليكون رُكام الماضي ودرسًا يقتدي به في المستقبل.

ليتني لم أدرك أمر مرضه، ليتني لم أبحث، ليت فضولي لم يقتلني، ليتني لم أخطئ هكذا خطأ، كلمة فقط كافية لإنقاذك من الوقوع في الهاوية أو إسقاطك في الدرك الأسفل للخطأ.

يجيد حبيبي التطفيف، فيجعل مني ككفة الميزان المغشوشة، يغلبني وقتما شاء ويجعلني أبدو الفائزة وقتما شاء لأكون أنا الخاسرة في كل مرة.

شارف اليوم على الانتهاء، أتت تلك الممرضة التي تنظر إلي بعين العطف في كل مرة تراني فيها وكأنها تعلم ما يحدث معي لتطعمني، أتت بذلك الطبق المملوء بذلك الشيء الأصفر اللزج، رأيتها تدخل به فنهضت من مكاني، فُزعَت ورجعَت إلى الخلف، نظرت إليها وابتسمت قائلة: ما تخافيش تعالي.

جاءت وأمسكت بالملعقة لتضعها في فمي، نظرت إليها واستغفرت خالقي وأمسكت بذلك الطبق بين يديَّ وأخذت الملعقة منها وقلت: هاتي دول كدا، أنا هاكل لوحدي بس بشرط، إنك تقعدي تتكلمي معايا، ومش عايزاكي تخافي، صدقيني خلاص مش هأذيكي.

جلست بجانبي تلك الفتاة التي يُقارب عمرها الثلاثين وقالت: "خير يا أستاذة (سمر)؟؟".

ضحكت بسخرية: هههه أستاذة؟ مين اللي قال كدا؟ يا بنتي أنا مجنونة، مختلة، ازاي تقوليلي يا أستاذة؟

- لإن حضرتك الأستاذة (سمر) وأنا ما اقدرش أناديكي غير كدا، ومش لازم عشان شوية مرض أو حالة نفسية الواحد يبقى مجنون.
- بس اللي اتعمل فيا النهاردا قلب دماغي خالص، أقنعني إن أنا مجنونة.
- ما تخافيش، الصدمات الكهربائية دي بتكون معدلة وبنسب معينة، ومتخافيش؛ ابنك مش هيتئذي منها، نسبتها كانت خفيفة عشان أنتِ حامل، دي بيدوها للناس اللي بتبدأ تعمل شغب هنا زيها زي حقنة المهدئ طويلة المفعول، بس دي بتأثر أكتر على الخلايا العصبية، فتخيلكي مش قادرة تعملي حاجة طول اليوم.
- امعم، طيب أنا بصراحة حبيتك وكنت عايزة أعرف إيه سبب نظرة العطف اللي دايمًا بشوفها في عينك، هو أنا صعبانة عليكي؟
- أقولك الحقيقة؟ بعد ما تعدي باب الأوضة بتاعتك الناس كلها بتتكلم عنك، صورتك نازلة في أكتر من جريدة، مش أنتِ مرات الأستاذ (أدهم)؟
- أيوا أنا مرات الأستاذ زفت، وما تجبيش سيرته قدامي تاني وكملي كلامك، الناس بتقول إيه؟
- طيب، حضرتك الناس بتتكلم ازاي مرات أكبر مدير شركات تطلع معلش أنا آسفة يعني..

- مجنونة، قوليها ما تتكسفيش، خلاص هي ثبتت عليا وأنا راضية بيها ووخداها عن ثقة، اتفضلي كملي.
- الغريب في الموضوع إن أغلب الناس بتقول كلام والباقي بيقولوا كلام تاني وما حدش عارف الحقيقة.
- حقيقة إيه؟ ما تخلصي تقولي، أنتِ بتطلعي الكلمة بالقطارة ليه؟
- شوفي بصراحة في ناس بتقول إنك كنتي على علاقة مع حد وبعده عنك هو اللي عمل فيكي كدا.
- أيوا ما هو الزفت اللي اسمه (أدهم).
- لأ غير أستاذ (أدهم).
- قصدك إيه؟
- يعني كنتي على علاقة بحد غير أستاذ (أدهم)، وفي كل مرة بينصحك فيها جوزك بتتخانقي معاه وتمدي إيدك عليه فتنتهي الخناقة بينكوا وهو ضاربك.
- إيه دا؟ إيه الكلام دا؟ دي مصيبة، ازاي (أدهم) سايب الناس تقول عني كدا؟ هو بيستعبط؟ أنا بخونه؟ لأ وكمان بمد إيدي عليه؟ أنا لو مديت إيدي عليه كان كسرهالي، أنتِ اتجننتي؟ (أدهم) لا يمكن يكون عارف بالكلام دا، (أدهم) ما يسكتش على الكلام دا أبدًا، ساكتة ليه اتكلمي قولي أي حاجة.
- كان نفسي يكون الموضوع زي ما أنتِ متخيلة.

- قصدك إيه؟ اتكلمي قولي اخلصي.
- أستاذ (أدهم) طلع في مؤتمر امبارح وبرر موقفه وهو اللي قال الكلام دا.

صرخت بأعلى صوتي: آآآآه، الله يخرب بيتك يا (أدهم) منك لله، أنا ما عملتش حاجة فيه صدقيني، لأ أنا مش هستنى قومي اطلعي برة، أنا لازم أموت، أهلي لو وصلهم خبر زي كدا ممكن يقتلوني، لأ دا بابا اللي هينجلط فيها، إوعي، امشي من هنا أنا لازم أموت.

صرخت تلك الممرضة بأعلى صوتها: الحقوني، الحقوني، بسرعة هاتي حقنة منومة بسرعة.

قالت تلك الجملة لزميلتها في التمريض بعد أن أُصبت بانهيار عصبي محاوِلة قتل نفسي، أوبمعنى أصح الانتحار، أفقدني ذلك الكلام صوابي، نسيت للحظة من أنا ومن أعبد، نسيت الصبر، نسيت الإيمان، غلبني الظلم، كاد أن يخرجني عن ملتي لولا أن أتت تلك الممرضة بتلك الإبرة لتعطيني إياها، حمدًا لله؛ لقد أنقذتني من نار جهنم.

ظللت نائمة لساعات طويلة أحلم بأشياء كثيرة، أقدام تأتي من النور لتدخل للظلام، وحوش، ثعابين تحيط بجسدي، قرآن يُتلى، صوت أنين، طفل يبكي تظهر له سنتان فقط، أصوات اعتذار وتوسل، ظهور شمس خضراء اللون!

استيقظت على صوت أذان مرة أخرى بنفس صوت تلك المرأة ولكنها تبكي في هذه المرة، فتحت عينيَّ، صدري ينتفض، يبدو أنني بكيت كثيرًا، نظرت حولي فوجدت تلك الممرضة نائمة على الكرسي الذي أمامي واضعة رأسها على طاولة خشبية، لم تكن موجودة بتلك الغرفة،

يبدو أنها قضت الليل بطوله هنا معي، تبدو فتاة لطيفة، سأدين لها بحياتي، لقد أنقذتني من الموت، والأهم من الوقوع في الكفر قبل الموت.

تذكرت (أدهم) وما فعله، لم يعد حبيبي كما كان، لم يكن حبيبي من الأساس، فمن يسمى بالحبيب يجب أن يكون ساميًا بحبه لمن يحب، وهو لم يفعل ذلك، ليس الحب كل شيء في الحياة، لا يستنكر أحدهم حياته بدون حب أو زواج أو أيٍّ كانت تحمل تلك العلاقة من أسماء، لا يهم الحب كما يهم الاطمئنان لعيش حياة مستقرة طبيعية عادلة مع من تحب، يجب عليك التمييز من بداية العلاقة وأن تحكم عقلك لا قلبك، تسأل نفسك كيف ستكون علاقتكما في المستقبل، فالعلاقات المبنية على الأكاذيب والمظاهر الخادعة وعلى كثرة الأخطاء من طرف ليغفرها له الطرف الآخر تنتهي قطعًا في المستقبل.

إذا رأيت شخصًا لا يناسبك ولا يتماشي مع خصالك وطباعك وليس نسخة من أفعالك ارفضه، أبعده عنك قدر المستطاع، اطرده من حياتك حتى وإن توسل ليكون معك، حتى لو نزف قلبك حنانًا عليه، اقتلع ذلك القلب النقي اللعين الذي يُهدد مستقبلك، وضع محله حجرًا لا يشعر، حجرًا أصيلًا، ذلك الحجر سيبعدك آلاف الأميال عن معاناة وألم وكشف حقيقة مزورة لا تتوقعها فيمن تُحب، وخذها حكمة، من يرعاك متكلفًا لا تَقطر عليه قطرة تأسف، واحذر انتظار شخص سعيد بدونك تعيس بوجودك.

بت أحمل فوق طاقتي، ذهبت وسحبت ذلك الطبق المليء بالفيتامينات الصفراء اللون من على تلك الطاولة، استيقظت تلك الفتاة، رجعت لأجلس على سريري وأمسكت بالطبق وبدأت الأكل؛ فأنا لم أقضم

لقمة منذ دخولي ذلك المشفى اللعين، ظلت تنظر إلي متعجبة تناولي لذلك الطعام المر كالعلقم دون أن أشكو وأنا راضية تمامًا عنه، فقلت مبتسمة لها: إيه؟ أنا وعدتك إذا قلتيلي الناس بتقول إيه إني هخلص الطبق دا.

- غريب، بس د مر علقم وما حدش بيقدر يستحمله من المرضى، وكل ما بنديه لحد لازم يعمل مشكلة.
- مش هيكون أمر من حياتي يا..، صحيح أنتِ اسمك إيه؟؟
- (حياة)، وأنا مش من هنا، أنا من مصر، من الصعيد الجواني يا بنت أبوي.
- هههههه، أنتِ بتهزري؟ معقولة حد من أهل الصعيد في البرازيل؟

ردت قائلة: عادي، ما أنا أقولك بابا ـالله يرحمهـ كان بيكره العادات والتقاليد الموجودة في الصعيد، كان بيحاول يدور على الحرية، على عكسي أنا وماما، راح واشتغل في القاهرة وعلمنا أحسن تعليم، واتجوزت واحد كان بيشتغل هنا، خلفت منه بنتي الصغيرة (لمى) وبعدين اتطلقت، رجع هو مصر وأنا قررت إني أعيش حياتي لبنتي أعلمها وأعيشها حياة ما حدش عايش زيها، بحاول أسد الخانة بتاعة باباها بس الموضوع صعب شوية، صحابها في المدرسة بيعايروها، بس أنا بحاول أفهمها إنها مش مشكلة، كلنا كان عندنا صحاب في المدرسة بيغلسوا علينا.

لم أتخيل أن كل ذلك قد حدث مع تلك الفتاة، قصة مؤثرة، ابتلاها مقسِّم الابتلاءات على قدر تحملها، اللهم ثبات، اللهم طاقة تجعلني أتحمل ما أعاني حتى توصلني إلى طريق النجاة.

- ربنا يكرمك فيها ويعوضك خير.
- مدام (سمر)، أنا مش زعلانة على أي حاجة حصلت أو هتحصل معايا، أنا عارفة كويس إن الحزن فترة وبتعدي وبييجي بعدها خير كتير يعوضنا عن كل الحزن اللي تعب قلوبنا.

تعجبت من إيمانها وتقواها اللذين بدأت أفقدهما بعد ما فعلته البارحة، كم أنا نادمة على ما فعلت، لن يكفيني استغفار ألف عام على محاولتي لارتكاب تلك الجريمة النكراء، لم أفكر إلا بنفسي وحزني، لم أفكر أنني أحمل بداخلي روحًا أخرى تنبض بالحياة، على الرغم من كل ما واجهته وصارعته داخلي ظلت تلك الروح حية تُرزق من خالق يدب بها الحياة، ينقذها في كل صدمة أو فرصة موت تتعرض لها.

- أنا آسفة على اللي حصل امبارح، أنا مش عارفة أنا عملت كدا ازاي، شكرًا، أنتِ أنقذتي حياتي، أنتِ اسم على مسمى يا (حياة).
- تسلمي يا مدام (سمر)، بس أنا زعلانة منك، ولو مش عايزاني أزعل يبقى لازم تنفذي اللي هقولهولك.
- اتفضلي طبعًا.
- إوعي تكرري أي حاجة من اللي حصلت امبارح عشان خاطري؛ لإن الدكتورة المسؤولة عنك دماغها صعبة وكانت هتحطك على جهاز الكهربا تاني امبارح لولا إن الدكتورة (سماح) رفضت لإنك اتعرضتي الصبح لصدمة كهربية وما ينفعش دا يتكرر غير بعد ٢٤ ساعة على الأقل.

وافقت على ما قالته وأكدت لها أنني لن أكرر ما حدث البارحة، استأذنت وذهبت، جلست أفكر في تلك الذكريات التي بمثابة بقايا هارئة، بدأت بتذكر كل ما حدث معي وما فعله وما يفعله وما ينشره من أكاذيب وأقوال زائفة عني، أعلم بأنه يُحبني ولكنه يعلم بأنني بت خطرًا عليه، على عمله، على سمعته، يحاول تعديل الأشياء بصورة خاطئة ليوقعني بورطات متتالية ومصائب لن أتمكن من حلها، ويظل هو كبش الفداء أمام الجميع يضحي ويعاني بسبب زوجته الجاحدة بنعمة قد أعطاها لها.

واجهت غروره وعظمته وكبرياءه واستغلاله وانتهاكه جسدي بصفاء وسذاجة، قابلت الأمر على سجيتي دون تكلف ودون وعي، يغيب عني وقت حزني ليجعلني أفكر وحيدة، أعاني ألمًا قد سببه لي، أعاني حُبًّا دمر كياني وشخصيتي، حُبًّا أفقدني حياتي القديمة التي كنت أرى أنها مملة ورتيبة، لم تكن تلك الحياة بفقرها وبمللها وبكل مساوئها أبشع مما أنا عليه الآن، علم بخشيتي من الفقر، أذاقني من كأس العذاب ألوانًا لأنه يعلم أنني أخشى عذاب الفقر، تعلمت من هذه التجربة بأن الإحساس بالأمان نعمة تحمي الكيان وتعززه، لا يهم الفقر كوجود الأمان، فلا يتمنى مذاقه إلا من ذاق طعم فقده.

جاءت تلك الممرضة (حياة) لتطمئن عليَ، جلست بجانبي وسألتني إذا كنت أحتاج شيئًا، فأجبت قائلة: يا ريت، أنا عايزاكي تجبيلي مراية أشوف شكلي.

لم تناقشني، خرجت وأتت بمرآة ومعها مشط صغير وزجاجة بها بعض المياه المعدنية، أعطتني تلك المرآة لأرى وجهي، أمسكت المرآة ونظرت بها، تعجبت مظهري المُزري، عيناي يكسوها الأرق والاحمرار،

جفوني منتفخة مع قدر هائل من الهالات السوداء التي تُظهر كم الهم الذي وقع عليَ، وجهي متكبد يسوده الاصفرار، شعري منكوش، بالفعل تظهر عليَ علامات الجنون بشكل يصعب وصفه.

سقطت دمعتان متتاليتان من عيني اليسرى منبعهما ذلك القلب المجروح، ينزف دموعًا من دم قهرًا وعجزًا على ما يحدث وما سيحدث، فلا أمل في حياة كهذه، ولا مستقبل لمجنون أو مختل.

سحبت (حياة) تلك المرآة من بين يدي بلطف وبدأت بتمشيط شعري وغسل وجهي من ماء تلك الزجاجة، لم أتحرك، كنت كالجثة الهامدة بين يديها، تسندني حتى لا أقع أو أفقد توازني، وفور انتهائها أعطتني المرآة مرة أخرى وقالت: ما كانش ناقصك غير شوية اهتمام وتبقي ملكة جمال.

انبثقت بسمة صغيرة لا أعلم كيف خرجت من بين كل ذلك الأسى، طرقت الباب ممرضة أراها للمرة الأولى وأخذت (حياة) وتحدثت معها على انفراد دون أن تُسمعني ما تقوله، لم أهتم، ظللت أنظر في المرآة أرى ألامي وأفصح لها عما بداخلي.

جاءت (حياة) وقالت لي أنها تود إخراجي للحديقة، تعجبت من الأمر؛ فتلك الطبيبة المسؤولة عن حالتي رفضت إخراجي من الغرفة إلا بعد ثلاثة أيام تقريبًا وكأنه عقاب على ما فعلت، تُرى لما ستخرجني الآن؟

خرجت وجلست على كرسي الحديقة، تنفست بعمق، أخيرًا هواء نقي وضوء يُغذي بصري وبعض الشمس التي تجدد الطاقة داخل عظامي المنهكة، جلست أنظر إلى من حولي، الممرضات يتحركن هنا وهناك،

أرى إحداهن تُمسك بسيدة وتسحبها لتدخلها غرفة، وأرى أخرى تجلس على ذلك العشب الأخضر أمامي تقرأ لبعض السيدات قصة أو رواية لا أعلم، بعض الأشخاص يجلسون وحدهم يتحدثون مع أنفسهم عبر الهواء، بعضهم يضحك بصوتٍ عالٍ، والآخر ينظر نظرات غريبة، يركضون ويتحركون حركات غير طبيعية، استنكرت ذلك الـ (مُرستان) الذي أعيش فيه.

أحدهم يأتي من بعيد، رجل يرتدي بذلة كحلية اللون ويُمسك بيده باقة من الورود البيضاء، يتحدث مع أحدهم عند بوابة المستشفى، لا تُظهر ملامحه كثرة الأشجار الموجودة بجانبه، والتي تغطي طوله، لم يُهمني الأمر، فقط جلست ووضعت يدي على بطني، فردت قدمي على الأرض وأغمضت عيني وأخذت أتنفس فقد، تُغير تلك الطبيبة رأيها مرة أخرى وتُرجعني إلى غرفتي.

بعد لحظات سمعت صوتًا أعرفه يقف أمامي قائلًا: ازيك يا (سمر)؟؟

فتحت عيني لترتطم أشعة الشمس داخلها، لم أميز ملامح من يقف أمامي في البداية، وضعت يدي محاولة إبعاد الشمس عني، رأيت شخصًا لا أطيق وجوده، امتقع وجهي خوفًا، تملكت قشعريرة أسفل رقبتي، استشعرت أن الخطر قادم، تعلقت عيناي أعلى جفوني جاحظتين بشكل كافٍ ليسألني عما أصابني.

- مالك يا (سمر)؟ في إيه؟ أنتِ مخضوضة ليه؟ أنتِ مش فرحانة إنك شوفتيني؟

وقفت عن الكرسي وابتعدت عنه وجهرت بصوت عالٍ وأنفاسي تتهابط: أنت إيه اللي جابك؟ ابعد عني، ابعد عني أحسنلك يا (أدهم)، أنت جاي أكيد تكمل عليا، ابعد عني.

قال بحنان وحيرة لم أعتد وجودهما بين عينيه: (سمر)، عشان خاطري اسمعيني، (سمر) أنا آسف.

ضغطت على رأسي بكلتي يدي وبكل ما أوتيت من قوة، صرخت مكررة بصوت أتى بجميع من بالمشفى: ابعد عني، ابعد عني، ابعد عني.

ظل واقفًا محاولًا تهدئتي حتى أتت تلك الطبيبة ومعها (حياة) وممرضة لا أعرفها، أمسكت (حياة) بيدي وأحاطتني بذراعيها محاوِلة إبعادي عنه، تطمئنني بأنه ذهب من أمامي.

فتحت عينيَّ فوجدته قد ذهب من أمامي بالفعل، وجدته يسير بجانب تلك الطبيبة متجهًا إلى مكتبها تاركًا باقة الورود البيضاء على الكرسي، أبعدت (حياة) عني وذهبت لأمسك بباقة الورود لألقي بها على الأرض وأدهسها لعشرات المرات بقدمي حتى تفتت ما بها من ورود، ذلك الورد الأبيض الذي كنت أفضله بدأت أكرهه، بل كرهت اللون الأبيض من الأساس، تلك الورود البيضاء ألحقتني بعالم لا يرتدي سوى الأبيض، عالم الجميع على يقين بوجوده، عالم ليس بعالمي، عالم تحدث فيه الأمور رغمًا عن أنفك ودون علمك، فقط كل شيء يسير ليس كما ترى أو تظن.

بدأت أصرخ بصوت عالٍ وأتمتم بكلمات سريعة أنا نفسي لا أفهمها، ساد جو القلق بين المرضى، الجميع بدأوا بالصراخ والبكاء من حولي، جاءت تلك الطبيبة ومعها نفس الرجلين الضخمين، بدأت أصرخ بشدة

فور رؤيتي لهم، علمت أنهم سيأخذونني لتلك الغرفة مرة أخرى، غرفة الصدمات النفسية وليست الكهربائية، لأتذكر كل ما آلمني منذ الطفولة حتى الآن.

بعد انتهاء جلسة الكهرباء التي أنهكت جسدي، صدمات كهربية استاتيكية، تحيط بكامل جسدي لتفتت جمجمتي من كثرة الألم، تضغط على أذني وتكاد أن تقتلع عينيَّ للخارج، أشعر بتنميل في بصيلات شعري، جسدي مُرهق وينساب من بين أيدي الممرضات، أدخلوني إلى غرفتي التي بت أعشقها الآن، فمقارنةً بغرفة الكهرباء هذه، كانت غرفتي جنة من جنان الأرض.

بت ليلتي كالعمياء أفتح عيني ببطء شديد، تعجبت مما رأيت وسط ذلك الظلام الحالك، ما رأيته أصاب جسدي بالقشعريرة، ولو كان محلي أحد لكان انتفض فزعًا من مكانه، فتحت مقلتيَّ بشدة لأتأكد مما أرى وأنا لا أقوى على إظهار فزعي حتى أو التحرك من مكاني.

لقد ظهرت لي (منة) مرة أخرى بعد تسع سنوات تقريبًا، منذ آخر مرة رأيتها فيها، أغمضت عيني بقوة لتتسلل منهما الدموع التي تفر خوفًا مما أراه، وبدأت بقراءة بعض الأذكار، أردد بعضًا من آيات القرآن بصوت مسموع مبحوح لا يقوى على الكلام، فتحت عيني ببطء لأتأكد أنها لا زالت موجودة، تجلس أسفل قدمي على السرير وتبتسم في هدوء دون أن تتحدث بحرف.

لاحظت أن وجودها غير مؤذٍ، ولو شاءت لفعلت، تجلس في هدوء تام، فتحت عيني اللتين أغلقتهما بقوة لأتمكن من رؤيتها بوضوح، آتية على نفس صورتها بثوبها الأبيض وشعرها الأسود المنسدل، والذي يصل

لركبتها من طوله، تعجبت مما يحدث، لا أحتمل ما يحدث معي هذه الفترة، كل المصائب تحدث متتالية وبسرعة، ولا توجد مُهلة بين كل مصيبة والأخرى.

نظرت إليها وبدأت بالبكاء، لا أعلم هل ذلك البكاء خوفًا منها أم لأن حالي قد أصابه الخلل، أم أبكي لألمي الجسدي، فقط ظللت أبكي حتى أغرقت دموعي الوسادة التي أنام عليها وهي لا زالت تبتسم برضا وكأنها تعلم ما يحدث معي، نظرت إلي و قالت لتطمئنني: "إن الله معنا".

يتسلل الصباح مُنسلخًا من الليل ليتنفس ولأتنفس معه، استيقظت ولا أعلم متى أتاني النوم ليلًا، لم أتحرك من مكاني ولم أعتدل في نومي، ظللت على حالتي، أصابني برود ولا مبالاة، أصابني هدوء اليأس من الحياة بأكملها، تذكرت ما حدث ليلة البارحة، لا بد من أنها علامة، لا أعلم إن كان ما حدث حلمًا أم حقيقة، ولكن في الحالتين تعد تلك علامة، فهذه الآية ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾، أتى بعدها الفرج لنبينا الهادي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه ـ رضي الله عنه ـ.

لا بد من أن شيئًا سيحدث، لا بد من حدوث شيء يغير المقادير ويقلب الأمور، ليس من الطبيعي ما حدث لي، لم أؤذِ أحدًا من قبل، ما يحدث معي ليس تسديد دين ولا يندرج تحت قائمة (كما تدين تدان)، ما يحدث معي ليس سوى ابتلاء محنة واختبار ضيعت فيه الكثير من الدرجات، والآن جاء وقت التأهب للنجاح.

فقدت التركيز وفقدت الكثير من الإيمان في الفترة السابقة، ولم أصمد ليأتي ثواب الصمود، هذه الفترة أرهقتني بكل ما فيها، لقد بعت جسدي لشيطان من الإنس ليتحكم به كيفما يشاء وقتما شاء وكأنني لعبة

مارنوت تتراقص بين يديه يُحركها فقط كما يريد هو، لن يتكرر ذلك مجددًا، لن أجزع، سأحاول الصمود حتى وإن بكيت، فأنا أؤمن بالقدر خيره وشره، وأؤمن بأنني سأخرج من ذلك القفص إلى الحرية.

لست مجنونة، ولست مختلة عقليًّا، حتى وإن لم يصدق الآخرون، يكفي تصديقي لذاتي، لم تُفك صواميل عقلي بعد، فأنا أدرك جيدًا كيفية ترويض الخيل الهائج، فقط يعذبونه ويحرمونه من أبسط حقوقه كالطعام والشراب والراحة ليهدأ ويُنفذ ما يودونه منه، وهذا بالمثل ما يحدث معي، (أدهم) يروضني لأطيع أوامره ليستبيح تعذيبي، كنت هادئة رقيقة طيبة، ولكن كفى لتلك الأشياء الساذجة التي أتعست حياتي ودمرتها.

حاول تدميري وقلب الدفة لأكون أنا المختلة، دنيا عجيبة! العاقلون بمشفى المجانين والمجانين خارجها يمرحون ويفرحون، ولكن لن يطول العناء.

لا تتحدَ أبدًا امرأة، ولا تأمن العقوبة فتسيء الأدب، ولا تأمن هدوءها وسذاجتها، قد تكون عاطفية بعض الشيء ولكنها إن عزمت على شيء أصابت، ولو حالفك الحظ آلاف المرات.

دخلت (حياة) الغرفة لتطمئن عليَ مع اقتراب ظهر اليوم، لم أبدِ لها اهتمامًا وظللت جالسة على حالتي أمسك بقطعة من الفحم الواقع من سطح تلك الغرفة لتتسلل داخل الغرفة، أكتب كل ما يدور بذهني، كل ما كان يحدث معي، كل ما كان يفعله (أدهم) مُنذ البداية، وما خفي كان أدهى وأمر.

تفاجأت (حياة) مما كتبته وجاءت تُمسك بيدي لأتوقف عن الكتابة قائلة: (سمر)، كفاية، أنتِ لو عملتي كدا أستاذ (أدهم) هيتدمر

ومش هيحصلك طيب، هاتي كفاية كدا.

نظرت إليها ولم أبدِ اهتمام، أبعدتها عني وأكملت سرد قصتي التي تصلح لأن تكون رواية فقط على الحائط بكل ما فيها من قبح وخصوصيات، سأثبت الحقيقة ليعرفها الجميع ولو على جثتي.

تعجبت (حياة) من كل ما كُتب وذهبت لتنادي بعض الممرضات صديقاتها، وقفن ينظرن في تعجب، أكتب أشياء لا تصلح للبوح، أشياء كانت تحدث تقشعر لها الأبدان، من إهمال وشراسة في المعاملة، يقرؤون في صمت متعجبين أن ما أكتبه كان يصدر من ذلك الملاك الطاهر الذي يرونه برونق دهائه وقناع تودده، ظلت إحداهم واضعة كفي يديها على وجهها استعدادًا للطمها، مفاجأتهم كانت بمثابة تشجيع لي على كتابة وإكمال كل ما كان يحدث معي دون خوف، تناسيت أنه لا زال زوجي كما تناسى هو من قبل، وبدأت بتشويه صورته التي أبقيتها رغبةً مني محفوظة سرًّا بعيدة عن الأنظار دون أن يكتشفها أحدهم خوفًا على سمعته وعلى مكانته، لأن زوجي هو كرامتي وكبريائي، ولكن إن ذهبت الكبرياء وتشوهت الكرامة فلا يمنع ضياعها من الأساس، فإذا ضاعت الكرامة وضاع شموخ واحترام شخص ضاعت حياته.

وأنا أضعت حياتي، فلما لا أكمل في طريق ضياعها؟ فإما أن يكون الطريق مشوهًا يؤدي إلى الهلاك وضياع السمعة، وهذا ما حدث بالفعل ولن يحدث أكثر منه، أو سأجد ضالتي، سأجد طريقي الذي سيهديني إلى سبيل الرشاد مجددًا.

دخلت تلك الطبيبة هي الأخرى يعلو صوتها في الممرضات لانشغالهم، لفتت (حياة) انتباهها لما يُكتب، ظلت واقفة كتمثال من الشمع متجمدة على هيئتها، فقط عيناها تتحركان لتقرأ ما كُتب مستغربة أن ذلك الكلام مكتوب عن زميلها المخلص (أدهم).

توقفت عن الكتابة بعدما انتهت قطعة الفحم بين يدي، نفضت يدي من السواد الذي لا يختلف كثيرًا عما أعيشه الآن، نظرت إليهم وابتسمت وقلت: ازيكوا، أنتو هنا من إمتى؟

وكأنني لم أعلم منذ متى وهم يقفون، أشتم أنفاسهم التي تتهابط خوفًا من تلك الجريمة التي فعلوها، فإذا وصل أمر دخول امرأة على أتم الصحة والعقل لمشفى الأمراض العقلية للصحف، سينقلب المشفى وسيُعد ذلك إهمالًا سيُضر فيه المشفى بأكمله.

لحسن حظي أن هناك خمسة أشخاص بذلك المشفى يتقنون العربية ومنهم (حياة) مصرية الأصل، ساعد ذلك في توصيل ما أود قوله أسرع.

جلست على سريري أحرك رجلي إلى الأمام وإلى الخلف وهم يكملون القراءة و(حياة) تنظر إلي في خوف، أعلم سبب خوفها؛ فهي تظن أن تلك الطبيبة قد تحولني إلى مجنونة بالكامل بتلك الصدمات الكهربائية دون أن يعلم أحد بالأمر، ولكن لم أعد أهتم بالعواقب، فقط أحاول كشف الحقيقة حتى وإن كانت ستضرني ولن ترضيني.

نظرت إلي تلك الطبيبة على استحياء، تعجبت من نظرتها، هل رق قلبها لما قرأته؟ هل ستساعدني؟

نظرت إليها وهززت رأسي مؤكدة حدوث كل ما كُتب، جاءت وقالت محاوِلة التحدث بلهجتي المصرية، فهي برازيلية الأصل ولكنها

تتقن اللغة العربية، كانت طريقة كلامها مضحكة ولكني حاولت التحكم في وجهي حتى لا أضحك وتظنني مجنونة بالفعل.

جاءت وقالت: إذا كلامك صحيح، هميز إنك مش مريضة نفسيًّا ازاي؟

- بسيطة يا دكتور، أنا كل اللي عايزاه منك إنك تحاولي تصدقيني وتساعديني، وإذا لقيتيني بكدب في أي حاجة ليكي الحق تعملي اللي أنتِ عايزاه بعدها.

ردت (حياة) قائلة لتشجيعهم: أنا عن نفسي مصدقاكي يا مدام (سمر) وهساعدك، لازم كل إنسان ياخد جزاءه، ما ينفعش تكوني عاقلة مية في المية وتكوني هنا.

جاءت ممرضتان تقفان بعيدًا وتحدثتا مؤكدين مساعدتي، نظرت إلى تلك الطبيبة أمامي والتي علمت اسمها مؤخرًا (إيزابيل)، نظرت إليها لأعلم إذا كانت ستوافق على مساعدتي، فكلنا نقف منتظرين موافقتها، نظرت إلي بعين الشفقة التي لم أرها في تعامل زوجي العزيز وقالت مؤكدة مساعدتي هي الأخرى: هو أنا لو صدقتك هساعدك ازاي؟

فكرت قليلًا ثم ابتسمت وقلت لها: أنا ما اعرفش أي حد في البرازيل غيركوا واتنين كمان، هما اللي هيقدروا يزودونا بكل المعلومات.

ردت (حياة) قائلة: بس هنجيبهم منين؟ المستشفى عليه تشديدات أمنية، وبعدين معلومات إيه اللي هيزودونا بيها؟

- دخولهم مش هيكون في أي عائق لإنهم الاتنين دكاترة مخ وأعصاب، وممكن دكتورة (إيزابيل) تكلمهم وكإن في حالة محتاجة العلاج مثلًا.

ردت (إيزابيل): الموضوع مش بالسهولة دي، بس أنتِ لو معاكي رقم أي واحدة منهم احنا ممكن نكلمهم.

تذكرت ذلك الكارت الذي أعطته لي (ابتسام) من قبل، ولكنه الآن بمنزلي ولن أتذكر الرقم أبدًا مهما حاولت، ماذا سأفعل؟ كيف سأصل إليهما الآن؟ لا أدري، نظرت إلى من هم أمامي منتظرين ردًّا مني، رفعت رأسي إلى السماء أطلب المزيد من المساعدة بتوسل.

بعد عشر دقائق تقريبًا اتفق جميعنا على محاولة تذكري للرقم أو ستذهب (حياة) لتأتي بهما لمساعدتي، ذهب جميعهم لعملهم وجلست وحيدة في تلك الغرفة، ولكن لأول مرة بدأت أشتم أنفاسي بتلك الغرفة المنزوعة الأكسجين.

متأخرًا وفي جنح الليل سمعت صوت تلك السيدة التي دائمًا ما تؤذن تصرخ بطريقة مريبة وكأن أحدًا يضايقها، ذهبت ووقفت خلف الباب المغلق أستمع لما سيحدث، صوت الممرضات يصرخن فزعًا منها، صوت أقدام تأتي وتذهب مسرعة وكأن مصيبة قد حدثت، حاولت النظر من فتحة موجودة بالباب، ولكن لم يظهر لي شيئًا، فقط سمعتهم يأخذونها إلى مكان آخر غير غرفتها المخصصة لها، ولكن صوتها جعل المشفى بأكمله في حالة رهبة، فأغلب المرضى بدأوا بالصراخ والبكاء مثلها كما حدث معي من قبل.

هدأ الصوت للحظات حتى ظهر مجددًا ولكن بصخب أقوى هذه المرة، تصرخ بصوتٍ عالٍ وكأن بها مرضًا ما أو شيئًا لا تقوى على تحمله، وفجأة صمت الصوت مجددًا، ولكن صوت تحرك الممرضات يظهر وبشكل مسموع، يتحركن بسرعة وكأن مصيبة قد حدثت.

أحسست ببعض اللكمات المتكررة داخل بطني، والتي آلمتني بعض الشيء عن المرة السابقة، رجعت إلى سريري مرة أخرى ووضعت يدي على بطني وبدأت بقراءة بعض الأذكار لأبعد ذلك القلق عن صغيري ولأطمئنه بأن كل شيء لا زال على ما يرام.

طرقت (حياة) الباب ومعها طبق به بعض من الطعام المسلوق، سألتها عما حدث فأجابت قائلة: احنا في مصيبة يا مدام (سمر)، الست بدأت تصرخ بطريقة رهيبة، افتكرت الدكتورة إنها نفس الحالة اللي بتجيها، قامت ادتها جرعة مهدئة، اتفاجئنا لقينا وشها ازرق وبدأت تجيلها تشنجات، أخدتها الدكتورة عندها المكتب، لقيناها وقعت من بين إيدينا وما بتتنفسش.

- يا خبر؟ وعملتوا إيه؟
- هنعمل إيه يعني؟ الست قطعت النفس، حاولنا ننعش القلب لكن خلاص.
- يعني الست ماتت؟
- للأسف آه، ومش عارفين السبب لغاية دلوقتي، المهم إن الدكتورة مرعوبة وباقي الدكاترة عمالين بيلوموها ومفسرين اللي حصل على إنه إهمال منها.

- وهي مالها يعني كانت هتعملها إيه؟ ما الأعمار بيد الله.
- ماشي بس الست كانت تعبانة تقوم تديها مهدئ أو مسكن قوي واحنا مش عارفين إيه اللي عندها؟
- طيب وإيه العمل؟
- العمل عمل ربنا، المهم أنتِ خلصي الأكل دا وأنا هاجي أطمن عليكي كمان شوية.
- تمام.

نظرت إلى السماء وبدأت بالدعاء لتلك السيدة كما أفعل عادةً كلما سمعت وفاة أحدهم، أكلت طبق الطعام ووضعت رأسي على الوسادة، شعرت بشيء يجذب رأسي لأسفل، غطست في نوم عميق وكأنني لم أنم لأعوام.

وجدت شخصًا يطرق الباب، ذهبت لأقف أمام الباب، فتقريبًا ستكون (حياة) أتت لتطمئن عليَ، فُتح الباب ولم يدخل أحد، خرجت بهدوء أنظر يمينًا ويسارًا فلم أجد أحدًا مطلقًا، ولكن هل فتح الباب نفسه؟!

تساءلت هل أخرج أم أبقى هنا؟ نظرت إلى الغرفة والخلاء والهدوء خارجها، قررت الخروج من الغرفة، بدأت في السير إلى الأمام وأنا أجهل تمامًا إلى أين سأذهب وكيف سأذهب من هنا بالأساس.

وصلت إلى باب المشفى دون أن أرى أحدًا أو يراني أحد، لا يوجد أحد حتى من ذوات الأربع، كان باب المستشفى مفتوحًا ولا يجلس عليه رجل الأمن، واضح أن الحراسة مشددة، حيث ذهب الحارس وتناسى

عمله، ولكن ذلك من مصلحتي الآن، خرجت دون تفكير من المشفى مسرعة قبل أن يراني أو يلحق بي أحدهم، أين سأذهب؟ هل سأعود لذلك الوكر؟ هل سأعود لـ (أدهم) مرة أخرى؟

أثناء شرود أفكاري وجدت ضوءًا كبيرًا قد سُلط عليَ ليتعب عيني ويشتت الرؤية لتصبح مشوشة تمامًا، وجدت (أدهم) يقف بعيدًا ينظر إلي في غمط واحتقار، وشخصًا آخر يُمسك بيدي ليساعدني قائلًا: إوعي تسيبي إيدي مهما حصل وإلا مش هتخرجي من هنا أبدًا.

أخذني ذلك الرجل من يدي وأنا أنظر إلى (أدهم) يقف بعيدًا وعقلي مشتت تمامًا، هل أذهب إليه أم لا؟ وإن ذهبت فلن أخرج مما أنا فيه، وثقت بذلك الرجل واستأمنته على نفسي أكثر من إحساسي بذلك الأمان مع (أدهم).

ابتعدنا عن ذلك الضوء قليلًا، نظرت إلى ذلك الرجل، لم أرَ تلك الملامح من قبل، شخص لا أعرفه ولم أقابله من قبل، قلت له: أنا لازم امشي من هنا حالًا قبل ما حد يشوفني.

رد قائلًا: الصبر، الصبر، لسه مش هتمشي دلوقتي، اصبري، الحكاية لسه في بدايتها.

أشار بيده تجاه (أدهم) لأنظر إليه، وجدت أشخاصًا ينزلون من سيارة سوداء فخمة يتجهون نحوه، حاولت تحذيره ناطقة باسمه ليبتعد، ولكنه لم يسمعني، ظل ناظرًا إلي بنفس الهيئة، حاولت ترك ذلك الرجل الذي يمسك بيدي بقوة، بدأت بالصراخ لأحذره ولكنه لم يسمعني، حتى أمسكوا به هؤلاء الرجال ووضعوه في تلك السيارة وذهبوا، أفلت يدي من ذلك الرجل بقوة وذهبت أركض خلف تلك السيارة، انطلقت تلك السيارة

بسرعة كبيرة، رأيتهم يأخذونه من أمامي ولم أفعل شيئًا لإنقاذه، شعرت بالخزي لما فعلت، وقعت على الأرض وبدأت أبكي، نظرت خلفي لأرى ذلك الرجل الذي كان سببًا في ضياع (أدهم) مني، ولكني لم أجده، لقد اختفى! لم يستغرق الأمر ثواني، ولا يوجد له أثر بأي مكان.

أخذت أنظر هنا وهناك أبحث عنه ولكني لم أجده، رأيت طريقًا ينشق أمامي يأتي منه ضوء نهار على عكس وجود الليل الدامس في ذلك الوقت، نظرت حولي فلم أجد أحدًا، فقررت الذهاب في ذلك الطريق لعله طريق الهُدى.

استيقظت على صوت طرقات الباب، فوجدت (حياة) تدخل وتوقظني بلهفة وكأن مكروهًا قد حدث.

- مدام (سمر)، الحقي مصيبة يا مدام (سمر).
- إيه في إيه؟ إيه اللي حصل؟
- دكتورة (إيزابيل) اتحولت للتحقيق وبيقولوا إنها هتسيب المستشفى بسبب اللي حصل امبارح.
- يا مصيبتي، أنا عارفة نفسي أنا نحس، شوفتي عشان كانت هتساعدني أهي اتحولت للتحقيق ومستقبلها المهني بيضيع، لأ وكمان هتسيب المستشفى.
- ومش بس كدا، دا بيقولوا في دكتورة هتيجي مكانها وبيقولوا إن دماغها أصعب مية مرة من د (إيزابيل).
- إيه اللي أنا فيه دا يا ربي؟ يا ربي دي الوحيدة اللي كانت تقدر تساعدني، يا رب ليه أخدت روح الست دي امبارح؟ مش كانت فضلت عشان تنجدني من اللي أنا فيه دا؟

حاولت (حياة) تهدئتي وردعي عن تلك الكلمات العاجزة، الإنسان ضعيف بطبعه، يجزع من شوكة وردة رقيقة بين يده، يجزع لأتفه الأسباب، حتى وإن كان على يقين من أن ربه سيخرجه مما هو فيه، فهو يجزع لكل شيء ولأي شيء على الرغم من معرفته بجزاء الصابرين، ولا يعلم متى يأتي الفرج، فقد يُدبر الله أمره في لحظة جزعه ليشعر بمدى إعجاز الخالق وعجز المخلوق.

ذهبت (حياة) لتكمل عملها بعد أن أتت بطبق مليء بقطع الفواكه المتنوعة، وضعته على الطاولة وذهبت، جلست على السرير أحاول تذكر ذلك الحلم الذي حلمت به ليلًا، أحاول تذكر بعض اللقطات منه ولكني لم أتذكر منه شيئًا، كيف سأعلم الآن إن كان هناك خير أو شر آتٍ في طريقه إلي.

لحظة، لقد بدأت أثق بأحلامي، كيف حدث هذا؟

لحظة، لم يراودني أي حلم أو حتى كابوس منذ فترة، فقط بدأت الأحلام مجددًا بعد دخولي هذا المشفى، لم يراودني أي حلم طوال الفترة التي كان فيها (أدهم) متغيرًا ويحاول تدبير تلك الخطة لإدخالي هذا المكان، فقط راودتني بعد خروجي من منزلي.

لا، ما يحدث مريب، كنت أرى ما سيحدث على أرض الواقع في أحلامي سواء كان خيرًا أم شرًّا، حاولت التفكير والتركيز، حسبت الأيام ومتى كان آخر حلم حلمته بمنزلي، لقد علمت، لقد توقفت أحلامي منذ علمت بحملي بطفل، منذ ذهبت للطبيبة للمرة الثانية منذ شهر تقريبًا لأعلم أنني سألد صبيًّا رائعًا.

كان (أدهم) فرحًا سعيدًا في ذلك اليوم، ذهب وأحضر غداءً من أكبر المطاعم وقام وأعد عصيري المفضل، عصير الرمان، لنجلس معاً..

لحظة، عصير الرمان، لم يعتد (أدهم) إعداده لي من قبل إلا في هذه الفترة وبكثرة حتى وإن كنا على خلافٍ ما، حتى وإن ألحق العديد من الكدمات بجسدي قبلها، عصير الرمان! عصيري المفضل، تُرى ما الذي كان يوضع بداخلك لتجعلني أفقد أحلامي؟

فكرت، أخرجت عصارة عقلي، عصفت بذهني لأجد الحل أو لأقترب منه فوجدتها بسيطة، (أدهم) ذكي بطبعه يحمل دهاءً لا يوصف، دهاءً ومكرًا لا يظهر على وجهه الذي يتلاعب ويتحكم في ملامحه.

الأمر كما توقعت تمامًا، (أدهم) شعر بأن أحلامي هي من ترشدني، شعر باقترابها من واقعه الذي هو عليه، حتى وإن كان الحلم لا يشير إلى شخصه، والإثبات على ذلك أنه قال لوالدته وأخبرها بأن أحلامي بدأت بإزعاجه، كما علم بأمر صديقتي (منة) التي علم بها دون قصد، أحلامي بدأت بإزعاجه لأنها بدأت تهدد حياته وعمله الذي يُعد أهم من حياته هو شخصيًّا، لذا قرر وضع شيء يُذهب تلك الأحلام بعصيري المفضل عصير الرمان.

الغريب أن عقلي استجاب لما وضعه ولم تعد تلك الأحلام تزورني، يا إلهي! لقد لاحظ أنني لم أقص عليه حلمًا طوال تلك الفترة، وذلك يدل على وجود خلل فعلي في عقلي، توجست خيفة وكأنني قد جننت بالفعل، ولكن إن جننت كيف سأفكر بتلك الطريقة؟ كيف سأربط وسأحلل بتلك الطريقة؟ لا يوجد مختل يفكر بهذه الطريقة!

توقفت أحلامي فتوقفت عن سردها له، فاعتقد بأنني مريضة ومختلة عقليًّا نظرًا لاستجابة عقلي لما كان يضعه داخل العصي، وهل كان العصير فقط؟ أم الطعام أيضًا؟ أم الهواء الذي أتنفسه؟

لم أعد أثق به البتة، بدأت أفكر كما يفكر هو بدهائه ومكره وعظمته الغالبة على تصرفاته، حتى تأكدت من أنه قد وضع شيئًا لي ليبعد تلك الأحلام عني، والتي لا أعلم إذا ما كانت هلاوس تغلق صفحة حياتي أم رزقًا يفتح لي آفاق العلم والإدراك.

انتظرت (حياة) لخمس ساعات تقريبًا ولكنها لم تأتِ، قلقت جدًّا، لم تتأخر عليَ هكذا من قبل، هل رحلت تلك الطبيبة (إيزابيل) أم لا؟ هل سيرحل الطاقم الذي كان يعمل معها بأكمله؟ لا، إن رحل الطاقم بأكمله سترحل (حياة) معهم وهكذا لن يتفهمني أحد وسأعود لتلك الصدمات الكهربية المزرية مرة أخرى ولن يصدقني أحد، رجوت الخالق الوهاب العديد من المرات ليساعدني وليفرج همي ويبعد ذلك التفكير الذي يؤرق عقلي عني.

بعد ست ساعات تقريبًا جاءت (حياة) فقلت لها بلهفة وعصبية: كنتي فين؟ أنا مستنياكي من بدري، جت ممرضة غيرك خفت إنك تكوني مشيتي مع الدكتورة.

- ما تخافيش، بس كانت الدنيا مقلوبة وشغل وتحقيق وحاجات غريبة كدا، وأديني أول ما خلصت جيت أشوفك.
- طب كويس عشان أنا عايزة أقولك على حاجة مش هتصدقيها.

ابتسمت بثغر واسع وقالت: لأ أنا اللي عندي مفاجأة مش هتصدقيها.

- اسمعي الأول هقولك حاجة مهمة.
- بس اللي أنا هقوله أهم.
- خلاص اخلصي قولي.
- طيب، أنا كنت عايزة أقولك إنك مش نحس زي ما أنتِ فاكرة خالص.
- إزاي! ليه؟ في حاجة حصلت أنحس من اللي حصل؟
- لأ، بس الدكتورة الجديدة اللي هتمسك العنبر اللي أنتِ فيه جاية من شركة أستاذ (أدهم) جوز حضرتك.

اندهشت وتلعثمت قائلة: أنتِ بتتكلمي بجد؟ مش معقول! أحمدك وأشكرك يا رب، الحمد لله.

- بس ما تفرحيش أوي لغاية ما نتأكد إنها ممكن تساعدنا وتوصلنا للاتنين الدكاترة اللي هيقدروا يخرجوكي من هنا.

هبطت على سريري وحقنت سعادتي وقلت: عندك حق.

- الصبر، موضوعك محتاج الصبر عشان يخلص.
- إيه دا؟ أنتِ قلتي الصبر؟ موضوعي محتاج الصبر! يا لهوي! الحلم بدأ يتحقق، يعني فعلًا أحلامي بتتحقق!

نظرت إلي (حياة) في ريبة ممزوجة ببعض الخوف: خير يا مدام (سمر)؟ إيه اللي حصل؟

- ما تخافيش يا (حياة) أنا مش مجنونة، تعالي أنا هحكيلك على كل حاجة من الأول خالص، بس تسمعي وتصدقي وما تستغربيش أي حاجة هقولهالك.

جلست (حياة) أمامي وبدأت بسرد كل ما حدث معي منذ أن قابلت (أدهم) إلى هذه اللحظة، وفي المقابل أقص أحلامي بكل بما فيها من أشياء مفزعة وغريبة، اندهشت (حياة) لسماع بعض الأشياء ولكنها لم تعقب بأي كلمة، ظلت تسمعني وتهز في رأسها وكأنني أقص عليها حكاية أو سيناريو لفيلم ما.

علقت بعدما انتهيت قائلة: مدام (سمر)، اللي بيحصل معاكي دا هبة من ربنا مش عند حد، ربنا بيعرفك اللي هيحصل معاكي لإنه عارف إنك غلبانة ومش هتستحملي صدمة من حد، أنتِ وثقتي فيه وحبيتيه فبيمهدلك اللي هيحصل عن طريق أحلامك اللي بتخوف دي عشان عقلك يتقبل الموقف أول ما يحصل بكل ما فيه من قسوة.

ارتحت لما قالته وأحسست بالذنب، لقد تمردت وندبت حظي مرارًا وتكرارًا، وها هو الأمر ينفرج بلطف، ببطء، ليشعرني الرزاق المنان بنعمه وفضله عليَ، ليجعلني أحمده في كل لحظة وحين.

اتفقت مع (حياة) قبل أن تذهب لعملها مرة أخرى أن تراقب تلك الطبيبة الجديدة وتتفحص عقلها وأسلوبها وطريقتها، ماذا تحب؟ وما الذي تكرهه؟ حتى أتمكن من التعامل معها، حتى أتمكن من إقناعها بأنني لست مريضة.

غادرت (حياة) وجلست في الغرفة أحمد ربي على كل حالي بكل ما فيه من خير أو شر.

وعدتك من قبل وهل أفي بالوعد؟

وعدتك يا صمد بالصمود..

فلم تلقَ مني لا جلدًا أو جمود..

وعدتك ولم أفِ بالوعد..

فهل لدعائي لا زلت مجيبًا؟!

90

ظللت أتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا أفكر، (أدهم) لا يعلم مدى خوفي وصبري الذي بدأ ينفد، لا يعلم كيف حالي وهو بعيد عني، تمنيت لو أن شيئًا لم يكن لنعيش معًا حياة طبيعية كأي عاشقين يعيشا حياتهما دون مشكلات ودون تفكير ودون صراعات، كنت دائمًا أنا الخيار الثاني دون أن أعي ذلك، ولم أكن الأول أبدًا، بل لم أكن ضمن أولوياته من الأساس، كان فقط يتملكني كأسيرة أو كأي شيء جامد لا يتحرك وهو يمتلكه.

طُرِق على الباب ولكنني كنت أعلم أنها لن تكون (حياة)، فلم تطرق (حياة) الباب بهذه الطريقة من قبل، وجدتها ممرضة بيضاء البشرة قصيرة بعض الشيء ترتدي زي الممرضات وتتحدث بتلك اللهجة البرازيلية التي لا أفهمها.

لم أتمكن من فهمها، فجاءت وأمسكت بيدي وأخذتني منها وخرجت من الغرفة، لا أعلم إلى أين سنذهب ولا إلى أين ستأخذني، سرت معها وأنا أحاول البحث عن (حياة) في الأرجاء ولكني لم أجدها، وصلنا لغرفة جعلتني أقف خارجها، ودخلت هي، قرأت تلك الكلمة

المكتوبة فعلمت أن تلك الغرفة تابعة لطبيبة، فعلمت بأن تلك الممرضة ستعرضني على طبيبة.

شعرت ببعض القلق، فهذه الطبيبة الجديدة لا تدري ما هي حالتي وكيف جئت إلى هنا، قد لا يعجبها حديثي لكوني لست مريضة فتضطر لتعريضي لتلك الصدمات الكهربية مرة أخرى، فكرت وقررت ألا أبرر لها أنني لست مريضة، بل سأجيب فقط عن أسئلتها دون الإطناب معها في الحديث.

جاءت تلك الممرضة وأدخلتني بقوة ولا أعلم ما السبب، فلم أفعل شيئًا يزعجها، دخلت تلك الغرفة وخرجت تلك الممرضة فنظرت حولي فلم أرَ أحدًا، فقط مكتب وأمامه كرسيان وفي زاوية الغرفة يوجد سرير وبجانبه طاولة مليئة ببعض العقاقير والإبر التي باتت لي عقدة أخشاها، سمعت صوتًا بجانبي، نظرت حولي فوجدت بابًا صغيرًا، بالتأكيد يؤدي ذلك الباب إلى دورة المياه، فأنا أسمع صوت ماء.

خرجت تلك الطبيبة حاملة منشفة تجفف وجهها الذي لا يظهر لي وتقول: ازيك يا آنسة (سمر)؟

تحدثت وأنا أدقق بها: أنا مش آنسة للأسف.

- تمام يا مدام (سمر).

قالت تلك الجملة وأبعدت تلك المنشفة عن وجهها ليُفاجأ كلانا لرؤيته الآخر، قالت متعجبة وجودي وارتدائي لتلك الملابس: (سمر)! أنتِ هنا بتعملي إيه؟

- أنتِ الدكتورة الجديدة؟ أنتِ اللي جيتي من شركة (أدهم)؟

- أيوا أنا الدكتورة اللي جت مكان (إيزابيل)، أنتِ بتعملي إيه هنا؟ وازاي جيتي هنا أصلًا؟
- أنا هنا بقالي فترة، ازاي أنتِ ما تعرفيش اللي حصل؟
- الكل عارف اللي حصل وأنا عارفة إنك في مستشفى أمراض عقلية بس ما اعرفش فين مكان المستشفى.
- ازاي يعني؟
- يا (سمر)، أنتِ فاكرة إنك عايشة في مصر، هنا في أكتر من فرع وأكتر من مبنى لأي حاجة، البلد هنا كبيرة ومتقدمة وفي فلوس تدير البلد.
- مش مشكلتي، أنتو ازاي ما تسألوش عني وأنتو عارفين إن أنتو أملي الوحيد؟
- و الله سألت أستاذ (أدهم) عشان أجيلك بس هو زعق وبهدل الدنيا، حتى أنا لقيته في يوم باعت الشرطة على بيتي الجديد وبلغ عن إزعاج، والشرطة فضلت تحقق مع (عمرو) وأخدنا تحذير، دا حتى بقي كل ما يشوفني في الشغل يبصلي بقرف، يقطع الورق اللي قدامه وكأني عملتله مصيبة.
- هو بيعمل كدا عشان عارف إنك لو عرفتي مكاني هتخرجيني.
- وهو طايل إنك تخرجيله بالسلامة؟ دا عمال بيندب حظه ويشتكي لكل الناس اللي يعرفهم واللي ما يعرفهمش.
- هو مش طايل وبس، دا لو طال يحبسني هنا الباقي من عمري هيعملها.

- ليه كدا بس؟
- (سماح) اسمعي، أنتِ مصدقة إني مش مجنونة ولا لأ؟
- طبعًا مصدقاكي، أنتِ لسه من أسابيع كنتي قاعدة معايا زي الفل، وبعدين أنا عارفاكي كويس يا بنتي.
- طيب أنا عايزة أقابل (ابتسام)، هي بتقدر تتكلم مع (أدهم) وبتقدر تتعامل وتتفاهم معاه، مش زيك خوافة.
- مش بخاف، بحترمه، وبصراحة هو عصبي، ما كانش كدا زمان، كان بيحترمني جدًّا.
- كان، عارفة ليه؟ عشان أخوكي الظريف جه وكان عايز يسلم عليا، من يومها و(أدهم) بدأ يتقلب عليا ومعاملته اتغيرت معايا زي ما اتغيرت معاكي بالظبط.
- لا بجد؟ بس لحظة هو عرف منين؟ أكيد أنتِ قلتيله، ما أنتِ ما بتخبيش حاجة عنه.
- لا قلبك أبيض، (أدهم) مالي البيت عندي كاميرات مراقبة، انسي الموضوع دا خالص دلوقتي، أنتِ دكتورة وأنا هعرض عليكي أعراض كانت بتحصل لحد أنا اعرفه وعايزاكي تقوليلي هل الست دي هتكون مريضة ولا لأ.
- طيب يا (سمر) قولي.

قصصت عليها حالة (أدهم) وما كنت أراه عليه وما كان يحدث معه، أعلمتها بأمر وجود ملف علاجي له، ولكني أخفيت الأمر وقلت لها بأن تلك الحالة المرضية لسيدة أراها هنا، عكست كل ما كان يفعله معي

ولكن لتفعله سيدة مع زوجها، من شك وريبة ومشكلات وأفكار وهمية غير موجودة بالأساس، واتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة.

فاجأتني بصمتها فألححت عليها بالرد، تحدثت ويا ليتها لم تتحدث، لتثقل جسدي وتؤلمه حزنًا على من أحببت ولا زلت أحب ـأدهمـ، تملك قلبي الخوف فور سماعي لكلماتها، إنه يُعاني مرض جنون الشك الارتيابي وقالت إن اسمه بالإنجليزية كما يلقبه البعض (البارانويا)، وبالعربية يعني (الزورية).

الغيرة قد يُفسرها البعض على أنها حُب شديد يُصيب المرء خوفًا على معشوقته، وقد تنعكس تلك الغيرة إلى مرض لا يُمكن التصدي له، بالفعل قد تتحول الغيرة لتصبح مرضًا يُعانيه الفرد، ويتم تعريف هذا بـ (الزورية)، أو كما يُعرفه البعض بـ (البارانويا)، وهو مرض الشك والوهم، فيكون مُصاحبًا لعدم استقرار وثبات في حياة الأفراد، لتُصبح الحياة مع شريك شكاك مُغامرة خطيرة وخيمة العواقب، فالشك دائمًا ما يقتل المودة والطيب داخل الفرد ليُخرج منه مشاعر الرحمة والعاطفة، وغالبًا ما يكون المريض يُعاني أوهامًا وظنونًا وتزييفًا للحقائق.

تلك الغيرة أو الريبة قد تخلق عصا في دولاب استمرار الحياة الزوجية لتدمرها نهائيًا، لينعكس ذلك التدمير على حياة الأطفال، لتؤثر عليهم سلبًا، فقد يُصابون بعدوى الشك والريبة والفتنة والوشاية من محيطهم الذي يعيشون فيه، وقد يؤدي ذلك إلى ضغط نفسي يُصاحبه قلق دائم وضعف في تقدير الذات وعدم الثقة بالنفس، ليكون نتاج هذه العلاقة طفل غير قادر على تحمل مسؤولية نفسه نتيجة لما يتعرض له من ضغط نفسي وعصبي.

ففي البداية يكون الفرد سعيدًا بتلك الغيرة التي تُعد من علامات حُب وعشق يكنها الشريك للطرف الآخر من هذه العلاقة، ولكن مع الوقت قد يتطور الأمر إلى الدرجة التي يتم فيها اتهام من نحبهم ومن يهتمون لأمرنا بالخيانة، وغالبًا ما تكون الأسباب تافهة بمعنى الكلمة، مما يؤدي إلى كثير من حالات الخلافات الزوجية والتي أصبحت ظاهرة مُقلقة تؤذي وتُحطم أفراد المجتمع لما فيها من إيذاء وقهر لطرف واحد من هذه العلاقة، بينما يظل الطرف الآخر قابعًا في أوهامه بعقله الذي يتآكل ببطء إثر مرضه الذي يرفض الاعتراف به، ويظل يفسره على أنه عشق أصاب قلبه ليُذيب عقله.

غالبًا ما يكون صاحب ذلك المرض قادرًا على التعامل بوداعة ولُطف مع الآخرين، يستطيع تكوين صداقات جديدة بكل سهولة، يمتدح المُحيطين به وينال ثقتهم ويتلاعب بعقولهم على عكس طبيعته المُريبة مع شريك حياته.

صمتت للحظات أحاول استيعاب ما يحدث وأن (أدهم) هو ذلك المريض، نظرت إلي (سماح)، تلك الطبيبة النفسية، وهي تستشعر كذبتي ثم قالت: (سمر)، أنتِ مخبية حاجة، مش كدا؟

- إيه؟ لأ طبعًا، أنا بس عايزة أرجع أوضتي.
- (سمر)، أنا دارسة طب نفسي يعرفني إذا كنتي بتكذبي ولا لأ من تعبيرات وشك.
- قلتلك إني مش مخبية حاجة، نادي الممرضة ترجعني أوضتي.

- (سمر)، لو في حاجة أنتِ مخبياها قولي، ملامحك بتتكلم وبتقول إن في مصيبة حصلت.
- يوووووه، هاتي المراية دي كدا لما أشوف ملامحي اللي تعباكي.

نظرت إلى المرآة التي كانت على طاولتها، فوجدت ملامحي تتحدث فعلًا، عيناي معبئتان بالدموع، ووجهي تزداد حمرته في عصبية وحزن، التفتُ لأرى (سماحًا) واقفة بجانبي، لم أتمالك نفسي ووقعت بين ذراعيها وأجهشت في البكاء بقوة، أحاول إخراج ذلك الضيق داخلي، فعلى الرغم من ضيقي من (أدهم) لما فعله بي فإنني لا زلت أحبه، لا زلت أتمنى مرضي على ألا يمرض هو، لا زلت أتمنى الضرر والسقم لي على ألا يُصيبه هو أي مكروه يؤذيه حتى وإن كان بسيطًا.

أخبرت (سماحًا) بالحقيقة، وأن تلك الحالة كانت حالة زوجي وحبيبي (أدهم)، ظلت تنظر إلي مندهشة وتمسك بذراعيَّ وتظهر عليها علامات عدم استيعاب الأمر أو حتى توقعه.

- أنتِ أكيد مش مصدقاني، وأنا مش عايزة أثبتلك؛ لإن أنا لو أثبتلك أي حاجة (أدهم) هيضيع مني وهخسره للأبد، ودا لا يمكن يحصل.
- أيوا يا (سمر) بس لو كلامك صحيح يبقى (أدهم) لازم يتعالج.
- (سماح)، دا مش كلامي دا كلامك أنتِ، أنتِ قلتي إنه مريض بالبر.. البر..، المهم، (أدهم) مش مريض، أنا المريضة وخلصنا، رجعيني على أوضتي.

- (سمر)، اللي أنتِ بتعمليه دا غلط، يعني إيه؟ هتفضلي هنا بمنظرك دا؟

أجبتها وأنا أعتصر الكلمات لتخرج من بين فكي لكثرة غيظي ودموعي السابحة تنطلق دون توقف: ما أنتِ مش فاهمة، منظري دا لو الحقيقة بانت هيبقى هو منظر (أدهم)، أنا ممكن أتحمل المستشفى بكل اللي فيها لكن هو ما يقدرش يا (سماح)، صدقيني مش هيستحمل.

- (سمر)، أنتِ لسه بتحبيه؟ لسه باقية عليه؟ دا فضحك وهبلك ودخلك مستشفى المجانين وأنتِ حامل في ابنه وما عملش أي اعتبار لا ليكي أو للطفل اللي في بطنك، اللي كان ممكن يموت بسبب الكهربا اللي اتعرضلها، فوقي لنفسك يا (سمر).
- عمرك ما هتفهمي علاقتي بـ (أدهم)، ممكن يكون عمل كل اللي أنتِ بتقوليه عليه بس هو ما زال بيحبني.
- لا أنتِ مش طبيعية، أنتِ اتجننتي رسمي، على فكرة بقى أنا ما صدقتش كلامك من فراغ، (ابتسام) كانت حكتلي إنها في مرة زارتك في بيتك وشافت كدمات وعلامات ضرب في جسمك وانكسفت تسألك.
- مش مهم عندي ولا أي حاجة، (أدهم) كان مريض، يعني ما عندوش وعي بأي حاجة هو بيعملها، وليس على المريض حرج، أنا هسامحه وهتحمل وهفضل هنا لغاية ما ييجي هو ويخرجني.

- يا (سمر) يا أمي أنتِ غبية؟ عمره ما هيطلعك من المستشفى، هو دا اللي عاوزه، وبعدين إيه اللي ما كانش واعي؟ هو كان سكران ولا متخدر؟ دا مرض زي أي مرض، زي الإنفلونزا مثلًا، يعني كان واعي ومدرك هو بيعمل إيه بس محتاج توجيه، محتاج علاج عشان يخف.
- (سماح)، رجعيني أوضتي.
- بس يا (سمر)..

قطعت كلامها بعصبية: خلاص بقى رجعيني أوضتي بقلك، ومش عايزة اسمع منك كلام في الموضوع دا تاني.

رجعت لتجلس على مكتبها ونادت الممرضة لتأخذني إلى غرفتي، دخلت الغرفة وأنا لا أشعر كيف وصلت إليها، شعور غريب بالاستسلام والهزيمة الساحقة من جميع الاتجاهات، عاطفتي متجمدة، عقلي كف عن التفكير، تجمدت الدموع بعيني حتى تبخرت، وجهي ينبض، أشعر بأوردتي يتدفق الدم داخلها.

وضعت رأسي على وسادتي لأنام، ولكن لم يأتِ النوم البتة، جاءت (حياة) لتطمئن عليَ، نظرت إليها وأنا لا زلت ممددة على غير عادتي، نظرت إلي في حزن ولمحت دمعة تسقط من عينها على حالي، لم تتفوه بكلمة وخرجت لتوصد الباب لتسمعني صوت غلقه عليَ بقوة، وكأنها تقول لي أنني سأظل هنا إلى أن أتعفن.

نظرت إلى الباب ولم أكترث، جاء الليل ولم يأتني النوم بعد، لم تأتِ (حياة) مرة أخرى لتطمئن عليَ، يبدو أنها علمت بالأمر ولا بد من أنها حزينة على ذلك القرار الذي أخذته كما حزنت (سماح) تمامًا،

فكلاهما يود إخراجي مما أعيش فيه.

غريب حالك أيتها الدنيا اللعينة! تأتي بما لا تشتهي الأنفس في كل مرة، كنت أتمنى الخروج، كنت أبكي وأدعو بالفرج، كنت أبحث عن أي سبيل للخروج من هنا، وعندما انشق طريقًا لخروجي كان ممزوجًا بسعادة من أحببت!

يتوقف الحُب على درجة إسعاد من تُحب، وليس على معاملته بالمثل وبالقياس، فذلك لا يعد حُبًّا، يلخص الحُب في تلك الأشياء التي إذا فعلتها سيكون حُبك طاهرًا نقيًّا، ليس عليك إلا أن تحترم، تتفهم، تتغافل، وتصبر صبرًا لا حدود له على من تُحبهم.

أصبحت هشة، مشوشة، رخوة، ضعيفة، عاجزة عن التفكير، لا أدري ما الشيء الصحيح أو ما هو الخطأ، خُلِقت، عشت، تذكرت، تألمت، فبكيت، ولا زلت لا أعلم هل أنا على الطريق الصحيح أم لا.

الغريب في الأمر أن لكل إنسان مشاعر ومشاعر مضادة، فأحيانًا تكون أنت المظلوم وأحيانًا أخرى تكون الظالم، أحيانًا الصغير وأحيانًا أخرى الكبير، أحيانًا تمثل الرجل وأحيانًا أخرى تمثل المرأة، فكلما سارت حياتك وتقدم فيها عمرك تغيرت أولوياتك وتغيرت شخصيتك وتقدم فكرك، حتى وإن كثرت همومك وتفاقمت مشكلاتك، ستخرج منها إما بخبراتك أو بمواكبتك لما تعيشه.

أُصِبت بهشاشة نفسية جعلتني أثق بكثير من الأشخاص الخاطئة، وزلة لسان قد تذل كياني، لم فعلت ذلك؟ لم قصصت كل ما رأيته من (أدهم) لتلك الطبيبة ولتلك الممرضة؟ من هم بالأساس لأقول لهم على سرٍ كهذا؟ لقد أخطأت، ولكني لن أخطئ مجددًا، فخروجي بمثابة تدمير

(أدهم) كليًّا وذلك لن يحدث، لن أسمح بذلك مهما حدث.

مر يومان و أنا لا زلت على نفس الحالة من البرود والجمود، لا أتحدث، أتعامل مع كل شيء بيأس، لا أتحرك قط، تأتي (حياة) وتضع الطعام دون أن أحدثها وتذهب، تأتي (سماح) لتراقب حالتي وتطمئن عليَ وتذهب هي الأخرى، عرضت عليَ (حياة) الخروج من الغرفة لأكثر من مرة لتلك الحديقة بالخارج، ولكني رفضت ولا أعلم السبب، فقط كنت أود الجلوس في غرفتي دون تفكير، دون كلام، دون أي شيء مفيد أو غير مفيد أفعله، فقط جثة هامدة على ذلك السرير لا تتحرك مطلقًا.

بدأ الملل ينهش جسدي، والحزن يخيم على عقلي، قلبي يتجمد وكأنه سيصبح صخرًا، برودة وقشعريرة دائمة تسري داخل جسدي، لا نوم يزور عقلي ولا تغفل جفوني ولو للحظة، حاولت النوم حتى ولو للحظات لعلي أرى حلمًا يُعلمني بالقادم، ينبهني لأي شيء، يُريني كيف سأخرج ومتى سأخرج من هنا.

بت الآن أنتظر أحلامي بفارغ الصبر على عكس الماضي، كنت أجلس حزينة على حالي ولفقداني (أدهم)، أود الخروج من هذا السجن ولكني أحاول التحمل لأجل (أدهم).

- مدام (سمر)، حضرتك في حد جايلك زيارة.

قلت بلهفة: مين؟ (أدهم)؟

ترددت وقالت: ما اعرفش، تعالي معايا نشوف مين.

أخذتني (حياة) لغرفة الطبيبة (سماح)، طرقت الباب ودخلنا، فوجدت سيدة تجلس أمام (سماح) على مكتبها ولكن وجهها للجهة

المقابلة للباب فلم أرها، طلبت (سماح) مني الدخول لأرى تلك الجالسة، هي (ابتسام)، أتت لتطمئن عليَ بعد أن قصت عليها (سماح) كل ما حدث.

- ازيك يا (سمر)؟
- الحمد لله تمام، ازيك يا (ابتسام)؟
- تمام كويسة، أخبار البيبي إيه؟ يا رب يكون مرتاح في جو المستشفى هنا.
- أنتِ بترمي لإيه مش فاهماكي؟
- ولا حاجة والله، أنا بطمن عليكي وعلى البيبي.
- اطمني احنا بخير، وبالنسبة لجو المستشفى فاحنا بدأنا نتعود عليه.
- طب كويس، على فكرة أنا جيت هنا لإن (أدهم) اللي بعتني ليكي.

أجبت مندفعة بلهفة وشوق قد جفف قلبي: بجد؟ يعني (أدهم) اللي بعتك عشان تشوفيني؟

- آه، وقالي اتطمن عليكي وعلى البيبي، بس أنا عايزة أقولك على حاجة وعايزة تسمعي الكلام اسمعيه، وإذا هترفضي أنتِ حرة، لكن اعرفي إن اللي أنا هقولهولك دلوقتي لازم يتنفذ.
- أنا عارفة أنتِ هتقولي إيه، بس مش مهم، اتكلمي أنا هسمعك.

- طيب، (أدهم) ما عدش زي الأول، ما بقاش بني آدم طبيعي، (أدهم) الشاب الشيك الزوق اللي كل البنات ملمومة حواليه بقى شخص تاني، بقي بيهمل في نفسه وفي هدومه وربى دقنه، وأول امبارح كسر كل حاجة في المكتب واتهجم على السكرتيرة وكان هيضربها، لولا إن باقي الدكاترة منعوه، (أدهم) حالته بتتدهور يا (سمر).
- أنتِ عاوزة إيه؟ أنتوا كلكوا عاوزين إيه؟ يعني عشان (سماح) قالتلك على كل حاجة تقومي تكدبي وتقولي إن حالة (أدهم) بتتأخر؟ ما تتأخر، أنتو يهمكوا في إيه؟

ردت (سماح) قائلة: (سمر)، احنا (أدهم) ما يهمناش في حاجة، أنتِ اللي تهمينا.

قاطعت (ابتسام) كلامها قائلة: حبيبتي أنا كنت عارفة إنك مش هتصدقيني، وعشان كدا صورتلك كل حاجة، (أدهم) والشركة وكل حاجة.

تعجبت مما قالته (ابتسام)، أخرجت هاتفها وفتحته لتريني (أدهم)، أمسكت بالهاتف وأخذت أنظر إلى تلك الصور فلم يكن ذلك الشخص هو (أدهم) الذي أعرفه، تظهر عليه علامات الحزن والسخط، ملامحه عصبية حتى وهو يسير متجهًا لمكتبه، ملابسه غير متناسقة، شعره قد طال وهاش، لحيته بدت غزيرة كما لم تكن من قبل، هل ذلك كله سببه ألم فقداني أم ألم مرضه الذي يعانيه ويفقده صوابه بالبطيء؟ لم أتمالك نفسي، زلت قدمي لأقع على الأرض أبكي بشدة، أُقبل صورته، أعتذر وكأنني أنا من آذيته، تمنيت لو أنه واقف أمامي، لكنت وضعته بصدري

لأمحو كل آلامه وأزيل كل عنائه.

صرخت (ابتسام) خوفًا عليَ، وجاءت (حياة) لتمسكني، وتحركت (سماح) من مكانها مفزوعة من أجلي، أمسكت بي (ابتسام)، أراهم ينظرون إلي بعطف وضيق مستهترين بما أفعله، مستهترين بحبي له على الرغم مما فعله، لا أعلم ما الخطأ فيما فعلته، لقد أخطأ ولكنه مريض، والآن زاد حبي له، زاد لأتمكن من محو آلامه وأوهامه التي تفقده عقله الناضج ببطء، تذكرت كلماته قبل زواجنا "هتعرفي كل حاجة مع الوقت"، "مش عايزك تقلقي، أنا عمري ما هأذيكي"، "أنا مخي مش مستحملني، ازاي أنتِ هتستحمليني؟"، "عارفة ليه حبيتك؟ عشان عارف إن أنتِ الوحيدة اللي هتقدر تستحملني بكل البشاعة اللي فيا"، كانت تلك الكلمات تمر على أذني وكأنها تقال في الحال، ومع كل جملة قلبي يهفو للرجوع لتلك الذكرى ليظل قابعًا بداخلها، ليغير كل شيء قد حدث.

لم أدرِ ما الذي حدث لي، حاولت (ابتسام) رفعي على الكرسي ولكني أُصبت بتشنجات عصبية، تشبثت أعصاب يدي وأقدامي وتخشبت مكانها، جسدي يرتجف بشدة، أسناني تتجمد داخل فكي الذي يرتجف، لا أشعر بأي قطعة في جسدي، وكأنني مخدرة بالكامل.

صرخت (ابتسام) لإحضار الممرضات، حضر بعض الأشخاص الذين لم أميز وجوههم، فقط ملابس بيضاء أمامي تتحرك مسرعة وصوت هائج عالٍ، رأيت إبرة وبعض الأجهزة للفحص الطبي، ولكني لم أشعر بأي من تلك الأشياء، حتى إنني لم أشعر بتلك الإبرة تخترق جسدي، فقط عقلي لا ينفك عن تذكر (أدهم) منذ قابلته وكل لحظة لطيفة قضيناها معًا وجسدي يتقافز صعودًا وهبوطًا.

استيقظت في صباح اليوم التالي، تخيلته واقفًا أمامي، لا زلت أسمع صوته القابع بذاكرتي ينادي باسمي، لا زلت أشعر بلمسته الرقيقة على جسدي، تقابلنا بصباح يشبه هذا الصباح في لمعانه والشمس تجري لمستقر لها، لأراك واقفًا أمامي كما تخيلك عقلي منذ الصغر، لتكون لدربي رفيقًا، رفيقًا لا يُحسن الرفقة، وعدتني بأشياء كثيرة، لم أصدقك، ولكني أردت فقط أن أكون بجانبك، رفضت أنت ذلك ولا أجد سببًا وجيهًا لتتركني يا من أحببت، كنت لك مرهمًا يذهب ألمك، وكنت أنت مصدر تفاقم جرحي.

بالفعل، فالأزواج يتشابهون، يتشاركون أغلب الصفات، فكما كنت أحب الخيال وعدني وعلقني به من أحببت، كان خيالي كافيًا لجعلي أحلق بعيدًا عن هذا العالم بأكمله، أقوم برحلات عديدة، ولكن في خيالي، ولكن من أحببت قرر إعفائي من عالم الخيال وقرر نفيي منه ليجعلني أحلق في الواقع رغمًا عني، لأفاجأ بأنني أحببت زورانيًّا!

نظرت حولي فوجدت أنني موجودة بغرفتي و(ابتسام) نائمة على كرسي واضعة رأسها بجانبي على السرير، باب الغرفة مفتوح وكأن شخصًا ما بالخارج، تحركت من على السرير وأخذت الكرسي الآخر، أمسكت به جيدًا وصعدت لأقف عليه بالقرب من النافذة ذات القضبان الحديدية، أنظر إلى تلك الأمطار التي تهب مع نسمات عليلة، فأنا أعشق رائحة المطر، رأيت البرق يلمع في عنان السماء، الهواء ضربها بعنف وقوة، تلك القطرات الصغيرة تخترق ذلك القضبان لتلامس وجهي، همسة هواء تداعب طرف أنفي الذي شعرت به يتجمد ببطء من البرد، فرحت لذلك المطر؛ ففي نزول المطر خير.

تحركت (ابتسام) ونظرت نحوي متعلقة وقالت مفزوعة: إيه اللي مطلعك فوق كدا يا (سمر)؟

ـ الدنيا بتمطر فحبيت أشوف المطر.

طُرِق باب الغرفة، دخلت (حياة) الغرفة ووجهها مخطوف وكأنها رأت شبحًا مخيفًا بالخارج، نظرت إليها (ابتسام) وقالت ساخرة: مالك يا بنتي عاملة زي الكتكوت المبلول كدا ليه؟

لم تجبها (حياة)، فقط نظرت إلي وأخذتها وخرجتا من الغرفة، رأيت (حياة) تقف معها خارجًا تتحدث بصوت خفيض حتى لا أسمعهما، بدا الأمر مريبًا بعض الشيء، ولكني لم أهتم، نزلت وجلست على سريري.

جاءت (ابتسام) تنظر إلي وتحاول التحدث ولكن في خوف، أمرتها بالاسترسال فقالت: (أدهم) برا وعايز يقابلك، بس عادي لو مش هتقدري تقابليه احنا ممكن نقوله إن أنتِ نايمة أو مش هتقدري تقابليه.

لم أفكر كثيرًا، فرحت لما سمعت كثيرًا، قلت لها بأن تأخذني إليه، أخذتني لغرفة الطبيبة (سماح) والتي كان ينتظرني بها (أدهم)، بمجرد دخولي، بمجرد رؤيتي له شعرت وكأنني أقابله للمرة الأولى، كفتاة مراهقة لم ترَ شابًّا في حياتها، كنت خائفة ينتابني القلق، أخشى التلعثم أثناء حديثي معه، بالفعل يخلق الفراق جوًّا من البعد ومسافة فاصلة وحاجزًا هائلًا كبيرًا بيننا وبين من كنا نعشقهم.

نظر إلي، وأخذ يرمق كلًّا من (ابتسام) و(حياة) بحنق ليخرجا من الغرفة، نظرا كلاهما إلي فقال لهما مستنكرًا: إيه؟ أنتوا خايفين تسيبوها معايا ولا إيه؟

نظرت إلي (ابتسام) وقالت مرتبكة: لا حضرتك احنا خارجين، لو عزتي حاجة يا (سمر) احنا برا.

هزرت رأسي لتدل تلك العلامة على موافقتي، ظل جالسًا على كرسيه ولم يتحرك، ينظر إلي نظرات غير مفهومة، شبكت ذراعيَّ ببعضهما ونظرت إليه باستهتار ثم أردفت بوجهي بعيدًا عنه، ضحك وقال: دا أنتِ زعلانة بجد بقى!

- (أدهم) أنت إيه اللي جابك؟
- وحشتيني قُلت لما آجي أشوفك، إيه؟ مفاجأة مش كدا؟

همست سرًّا: أبشع مفاجأة.

ضحك ساخرًا وقال: فاكرة قبل ما نتجوز؟ فاكرة الأسبوع اللي قضيناه قبل الجواز؟ عايز أقولك إنه كان أحلى أسبوع عدى عليا في حياتي كلها، (سمر)، أنتِ أكيد متضايقة من اللي حصل، بس أنا ما عنديش خيار تاني.

- ههههه أنت على طول عندك خيار تاني، اللي هو أنا، وقت ما تتزنق تدبسه في كل حاجة، حتى لو كانت هتأذيني، دا مش حب، دا قرف ومرض.
- طيب يا ستي، عندك حق، هو مرض، بس لو حد عرف إن (أدهم عبد الدايم) صاحب بحور الشركات دي كلها مريض نفسي إيه اللي هيحصل؟ تخيلي معايا كدا.
- أزعجني غروره فقلت: (أدهم)، أنا تعبت وعايزة أرجع أوضتي، عن إذنك.

ظننت أنه أتى ليعتذر أو لأنه قد أدرك خطأه، ظننت أنه أتى ليأخذني من هنا لينتشلني من ذلك الضياع الذي أعاصره، ولكنه ظل يتحدث عن أملاكه وعن خشيته من ضياع عمله كعادته.

ترجلت لأفتح الباب، أمسك بيدي بلين وقال بلطف: (سمر)، أنا عارف إني بوظت كل حاجة، أنا خربت كل شيء، حياتنا اتدمرت وأنا جاي النهاردا عشان أعتذرلك وأقولك إني اتغيرت وكل حاجة هتتغير من النهاردا.

نظرت إليه بدهشة وقلت: (أدهم)، أنا مش مرتاحالك، دا لا يمكن يكون تغير، خير يا (أدهم)؟ إيه المصيبة الجاية؟

- نعم؟ مش فاهمك؟
- أيوا أنت كل ما بتعتذر بتيجي بعدها مصيبة كبيرة وتقع على دماغي، ودا لا يمكن يتكرر تاني.
- (سمر)، أنا مقدر اللي أنتِ فيه وحاسس بكمية العذاب اللي أنتِ فيها بسببي.

انفعلت وقلت: أنت عمرك ما حسيت بيا إطلاقًا، أنت ما بتفكرش غير في نفسك وبس، أنت لو بتحبني فعلًا كنت خرجتني من هنا، كنت خرجتني من المكان المقرف دا، وأنت عارف إني مش مجنونة، أنت لو بتحبني ما كنتش دخلتني هنا أصلًا.

تجاهل ارتفاع صوتي، طُرِق على الباب فوجدت (ابتسام) و(سماح) تطمئنان، نظر إليهما في غضب وتغيرت نظرته الحانية لتنقلب لنظرات شريرة تود الفتك بهما، مال عليَ وقال بهمس يقشعر جسدي: ابقي خلي

أبراج المراقبة ينفعوكي.

تحرك من مكانه وأطاح بذلك الكرسي الذي يعيق طريق خروجه على الأرض وذهب، ظللت واقفة مكاني، نظرت لي كلٌّ من (سماح) و(ابتسام) وقالتا معًا: هو كان بيقولك إيه؟

نظرت إليهما بتيه ورجعت إلى الخلف لأجلس على الكرسي، جلستا أمامي ينتظران إجابتي، جاءت (حياة) لتكتمل المجموعة.

دخلت تقول: يا ساتر! بجد شكله بيخوف، الله يعينك يا مدام (سمر)، كنتي عايشة مع الخلقة دي ازاي؟

نظرت لها نظرة تقلل من شأنها فصمتت، ظللن ينظرن إلي، فقلت: إيه بتبصولي كدا ليه؟

ردت (ابتسام) قائلة: ما فيش، بس أخدتي بالك منه كان متبهدل ازاي وبمجرد ما شافك حسيته فاق أو استعاد وعيه أو صحته مش عارفة.

- قصدك إيه؟

ردت (سماح) قائلة وهي تفرك ذقنها وتفكر: احنا عارفين إن (أدهم) مريض ومتأكدين من كدا، بس إيه اللي يثبتلنا يا (ابتسام)؟

ردت (ابتسام) قائلة بدهاء رأيته بعينيها: صح إيه اللي يثبتلنا؟ أو مين اللي هيقدر يساعدنا يا (حياة)؟

ردت (حياة) قائلة وهي تبتسم بمكر: احنا محتاجين حد عاقل ناضج يساعد أستاذ (أدهم).

نظرن نحوي جميعهن فقلت لهن بعصبية: إيه؟ أنتوا بتحدفوني لبعض؟ اخلصوا قولوا انتوا عاوزين إيه؟

قالت (سماح): ركزي معايا يا (سمر)، (أدهم) تعبان ولو فضل بالحالة دي هيمرض بزيادة وهتبقوا انتو الاتنين خسرانين، هو المرض هيتمكن منه وممكن يخليه في لحظة من اللحظات ينتحر عشان أنتِ بعيدة عنه، وفي نفس الوقت ما يقدرش يخرجك بعد ما اتكلم عليكي وقال فيكي العبر وإلا هيثبت عكس اللي قاله وتتشوه صورته ويطلع كذاب قدام كل الناس، ودا عمره ما هيحصل، يبقي إيه رأيك إنك تساعديه وتساعدي نفسك؟

نظرت إليها أفكر، قاطعت تفكيري (ابتسام) قائلة: لو مش هتساعديه ساعدي نفسك، ساعدي ابنك اللي هييجي كمان كام شهر ويتربى بعيد عن حضن مامته الموجودة في مستشفى المجانين، لأ ومين اللي هيربيه؟ باباه الأستاذ (أدهم) العظيم.

نظرت إليها وأشحت بوجهي عنها، فكرت للحظات، قالت (حياة) تحاول استعجالي في الرد: يلا يا جماعة قوموا شوفوا شغلكوا، الموضوع هينتهي زي امبارح وأول وما فيش فايدة، احنا عملنا اللي علينا وخلاص.

نظرت إليهن يتحركن ليغادرن الغرفة وكأنها غرفتي، وكأن عملهن ليس بها، لا أدري ما الذي حدث لعقلي، فقط أوقفتهن عن الخروج وقلت: استنوا، قولتولي لو عايزة أساعد (أدهم) هساعده ازاي؟

التفتن ونظرن نحوي وابتسمن لبعضهن وكأنهن حققن ما يريدن، جاء كلٌّ منهن وجلسن أمامي يحدقان بي دون التفوه بكلمة مبتسمين وكأنهن حللن لغزًا فقلت لهن: إيه مالكوا؟ اخلصوا هنساعد (أدهم) ازاي؟

ردت (سماح) قائلة: أنتِ اللي هتساعديه مش احنا

- ازاي يعني مش فاهمة؟

ردت (ابتسام) قائلة: أفهمك أنا، مين كان عايش مع (أدهم) غيرك؟ يبقى المفروض بعقلك الناصح تربطي كل الحاجات اللي كانت بتزعج (أدهم)، حتى ولو كانت تافهة، بالحاجات اللي ممكن تشاور على مرضه.

نظرت نحوها بغرابة وقلت: ودا هيفيد في إيه؟

قالت (سماح): هيفيدنا طبعًا عشان نعرف حالته المرضية إذا كانت طبيعية، متقدمة أو متأخرة.

- حالته المرضية كاملة موجودة في ملف في البيت، وكان مكتوب أكتر من علاج ما عرفتش أقرأ أسماءهم عشان كنت مستعجلة.

ردت (ابتسام) قائلة: يعني (أدهم) كان بيتعالج عند حد قبل كدا وعارف إنه مريض؟

- آه طبعًا، أمال هو مش طايقكوا ليه؟

ردت (سماح) قائلة: عشان دكاترة نفسيين، وعشان فاكر إن احنا بنحرضك عليه، مش كدا؟

- بالظبط عليكي نور.

قالت (ابتسام): طيب يا جماعة إيه العمل؟ احنا لازم نوصل للملف دا ولأي دليل تاني.

ردت (حياة) قائلة لها: ما خزنة الأدلة موجودة قدامك أهي، بس هي تنطق.

نظرت نحوي وكأنني أنا تلك الخزنة التي تتحدث عليها، فقلت: أدلة إيه اللي أنتوا عاوزين تعرفوها؟

قالت (ابتسام) بغيظ: (سمر)، ما تجننيش، اخلصي قولي أي حاجة وكل حاجة كانت بتحصل، أي دليل، أي علامة نعرف بيها أكتر عن (أدهم).

رددت قائلة لأقص أغلب ما كان يحدث معي وما كان يصدر منه: شوفوا اللي كان بيحصل ممكن يكون غيرة زايدة مش أكتر، (أدهم) كان حاطط في البيت كاميرات مراقبة كتير في كل حتة عشان يتأكد من كل خطوة أنا بعملها، ما كانش بيخرجني نهائيًّا، وإذا حد خبط الباب لا يمكن أفتح، وإذا فتحت بتحصل مصيبة.

ردت (ابتسام) قائلة: إيه حجم المصيبة اللي كانت بتحصل؟

- حجم المصيبة ما اعرفش، هو اللي كان بيحصل إني ممكن أصحى تاني يوم متبهدلة و..
- ازاي يعني؟ فهميني مدى الضرر الواقع عليكي.
- يعني مثلًا يضربني لغاية ما أفقد الوعي، ويسيب البيت ويخرج، يزعق، يهددني، يقول كلام ما حصلش..
- طيب يا (سمر) أهلك يعرفوا باللي بيحصل؟
- لأ، هو كان مانعني إني أكلم أهلي، ما كلمتش حد منهم من ساعة ما جيت البلد دي.

نظرت (حياة) متعجبة مما يُقال واضعة يدها على وجهها من الدهشة، ردت (سماح) قائلة: وأكيد ما حدش يعرف بكل اللي كان بيحصل معاكي، يعني ما فيش شاهد.

- صح، ما فيش حد يعرف لإنه دايمًا كان بيمنعني إني أتعرف على أي حد.

ردت (ابتسام) قائلة: لأ في شاهد، أنا روحت وزرتها مرة وكان كتفها أزرق ورجلها كانت ملفوفة.

ردت (سماح) قائلة: أيوا بس الحاجات دي اختفت دلوقتي وما لهاش أثر، (سمر)، هو (أدهم) في الفترة الأخيرة كان بيعاملك ازاي؟

- ما كانش طايقني، كل شوية مشاكل، حس إني بدأت أكشف موضوع مرضه.

- أو تكشفي سبب مرضه بمعنى أصح.

قالتها (سماح) لتدهشني وتنعش أفكاري، لم أفهم مقصدها، وقفت عن مكتبها وأخذت تتمشى وهي تنظر للأرض وتقول: يا ترى إيه اللي يخلي واحد زي (أدهم) عنده مرض نفسي خطير زي دا؟ أكيد في مصيبة حصلت معاه، (سمر)، هو في مشاكل عائلية في بيت (أدهم)؟ مشاكل بين عيلته أو أي حاجة غريبة؟

- لأ، عيلته كلهم بيحبوا بعض وما فيش أي مشاكل بينهم.

قالت (حياة): بس لو في كاميرات مراقبة في البيت صورت (سمر) يبقي أكيد صورت (أدهم) كمان.

قالت (ابتسام): طيب يعني احنا دلوقتي عاوزين نوصل للملف ولكاميرات المراقبة عشان نقدر نثبت بيهم مرض (أدهم).

آلمتني تلك الكلمة، ـ مرض (أدهم)ـ ولكنني لم أتحدث، فإنني أؤمن الآن أن كل ما سأفعله سيساعده، لعلني أتمكن من علاجه لنعيش

معًا حياة مستقرة طبيعية لأجل ذلك الطفل القادم في طريقه إلينا، لا أريد أن يعاني طفلي كما عانيت أنا، ولا أريد أن يتربى وينشأ بعيدًا عن أبيه أو حتى بعيدًا عني.

قصصت عليهم تلك الطريقة الوحشية التي اتبعها معي (أدهم) في الفترة الأخيرة، وعن إبر المهدآت وعن ذلك الطبيب الذي أخذني إله ليثبت جنوني له، ذكرت كل ما حدث من الألف إلى الياء، ذكرت لهم اسم ذلك الطبيب الذي وجدت رقمه واتصلت به لأتحقق فتعجبوا جميعًا، ذلك الطبيب هو مدير هذا المشفى الذي أنا فيه، وهو من أكبر الأطباء النفسيين بالبرازيل!

صُدمت مما سمعت، وصُدمت أكثر لحكايتي التي سمعتها تُروى بفمي، كانت صعبة النطق، تخرج من بين شفتيَّ بصعوبة كبيرة، لم أعلم أن (أدهم) كان يؤذيني بكل هذا العنف، بل لم أكن أدرك خطورة ما كان يحدث لي، لقد أعماني حبي له والآن أنا مقيدة كما رأيت بأحلامي قديمًا، ولكني لست مقيدة بجنازير، مقيدة بـحبي لـ (أدهم)، ذلك الحب الذي مسح عقلي وأعمى بصيرتي لأقع في ورطة لا أستحق تكبد عناء وشقاء ما بها.

قالت (ابتسام): طيب يا جماعة ليه ما نسألش الدكتور (طارق)؟ هو أكتر واحد ممكن يساعدنا فعلًا.

ردت (سماح) قائلة: ما نقدرش نعمل كدا؛ لإنه ممكن يكون هو نفسه الدكتور اللي كان بيتعالج (أدهم) عنده.

قلت في حيرة: طيب إيه الحل؟ هنعمل إيه؟

اتفقنا جميعًا على خطة، إما أن تجعلني أسيرة ذلك المكان للأبد أو تخرجني منه للأبد، وضعت (ابتسام) الخطة و(سماح) هي من ستنفذها ولكن ليست بمفردها، سيساعدها أخوها، والذي لا يطيق (أدهم) رؤيته، قررت (ابتسام) الرجوع للشركة لتتحدث مع تلك الفتاة التي ستكون هي محور الخطة ومنهجها.

ذهبت (ابتسام) ورجعت أنا إلى غرفتي أتأمل، أتخيل ما قد يحدث، وكيف ستتم تلك الخطة، كيف سيكون وجه (أدهم) حينها، ماذا سيفعل عندما يعلم أن كل ما سيحدث كان بسببي، لا أعلم، ولكني سأنتظر تلك الفتاة التي ستأتي بها (ابتسام)، أتمنى ألا توافق تلك الفتاة على مساعدتنا، فأنا لا أود وضع (أدهم) في محنة أو في صورة هو يخشى المثول بها، يخشى تقبلها في حياته.

لما الغرور؟ لما يتباهى الناس؟ لما لا يتوقفون عن التباهي ويكفون عن داء العظمة؟ ففي النهاية الجميع متساوون، يُدفن الحاكم بجانب الخادم، والمشهور بجانب المعسور، والفقير بجانب السكير، والكريم بجانب اللئيم، وكلٌّ له درجات مختلفة يُقسمها العدل بالقسط، فلما التباهي ولما الغرور؟

في صباح اليوم التالي ظللت منتظرة قدوم (ابتسام) مع تلك الفتاة، طوال الليل أحاول الترتيب لمقابلتها، كيف ستوافق على مساعدتي وأنا سبق لي أن ضربتها؟ كيف ستوافق على مساعدتي يا ترى؟

دخلت (حياة) مسرعة وكأنها كانت تركض وقالت: مدام (سمر) وصلت، تعالي يلا، هي في المكتب عند الدكتورة.

ترجلت من مكاني مسرعة وذهبت معها إلى ذلك المكتب، حضَّرت

كلامًا، حضرت مناقشة، حضرت اعتذارًا، دخلت لأتحدث معها، بدأت حديثي معها قائلة: (سمر)، في البداية لازم تسامحيني، أنا فهمت علاقتك بـ (أدهم) غلط خالص لإنه هو ما قاليش عنك حاجة قبل كدا، أتمنى إنك تسامحيني.

لم تنتظر إكمالي لتلك الجملة وقالت: إمتى هنبدأ تنفيذ الخطة؟

نظرت إليها متعجبة والجميع يقفون في حالة شرود، قالت وهي تبتسم بنقاء: إيه يا جماعة؟ ليه متنحين كدا؟ الحقوا خلونا ننفذ الخطة قبل ما أغير رأيي.

نظرت إليها وبدأ الجميع بالضحك، وجلسنا بعدها وكأننا في مسابقة أوائل الطلبة متجمعين حول بعضنا مكونين دائرة لنتفق على سير الأحداث القادمة، سنتحكم في المستقبل بوضع العديد من البدائل لتنفيذ تلك الخطة ونجاحها.

فور انتهائنا تحدثت (ابتسام) تكرر الخطة على مسامعنا ليوقن كل منا دوره ويتقنه بشكل صحيح، ففي البداية ستأتي (سماح) بـ (أدهم) إلى هنا بحجة أنني مريضة بشدة، تضع (حياة) العديد من كاميرات المراقبة في المكتب، فور قدومه أحاول استفزازه بما لا يطيقه حتى يخرج ما به من عصبية لتظهر ريبته وشكه بتلك الكاميرات، يذهب (أدهم) إلى المنزل مغتاظًا مني كارهًا ذلك الوقت الذي رآني فيه، تتصل (سمر) به وهي تبكي تود مقابلته في أحد الكافيهات بأسرع وقت ممكن لسبب مُدبَّر.

يخرج (أدهم) لمقابلة (سمر)، يدخل (عمرو) شقيق الدكتورة (سماح) منزلنا وينزع تلك النسخة من المفتاح المدفونة في طبق الزينة الكبير، يدخل دون إصدار أي جلبة ويجلب معه تسجيلات كاميرات

المراقبة وذلك الملف في قميص (أدهم) ويخرج كما دخل تمامًا.

كانت الخطة محبوكة إلى حدٍّ ما، لكن إن حدث وفقدنا خطوة من تلك الخطة تدمرت بأكملها، لم يعجبني ما نفعله، ولكن لم يكن لدي خيار آخر.

لقد بدأت أتحدث كما يتحدث (أدهم)، أبرر أخطائي بعذر سخيف، تملك الوجل ملامحي وتمكن منها، ولكني حاولت التحكم بمشاعري، لأول مرة، بالفعل عندما يغزو الأسى القلوب تقسو العقول لتسيطر على قلوب أهلكها الأسى.

قدمت قلبي له قربانًا ولم يبالِ بمعاناتي، يعلم أنه أخطأ ولكنه لا يحاول استردادي، لا يحاول إرجاعي مجددًا إلى حياته.

لا أحد يحبك، ولا أحد يهتم لأمرك، ولا يوجد بشري سليم العقل، ولا يوجد مخلوق على الأرض راجح العقل كامل المواصفات، كل منا يعاني نقصًا يتغاضى عنه الآخر، فلا تقل ذاك يحبني وذاك يفضل البقاء معي؛ لأن تلك الأشياء كلها كالجروح، تأخذ وقتها وتلتئم مع الوقت وهكذا..

ليس هناك من يحبك، فقط هم يبحثون بداخلك عما يودون إيجاده، يبحثون عما يفضلونه هم، يبحثون بكل قواهم، ينهشون جسدك ويسلبونك عقلك لإيجاد نواقصهم بك، لتكون لهم أنت الكمال، ولكن الكمال لرب الكمال وحده، فتجد بعد مضي بعض الوقت أن تلك العلاقة أصبحت باردة خامدة ليس بها ما يُنعشها كما كانت من قبل..

فقط لقد سدوا حوائجهم بك، سدوا حائط نواقصهم بوجودك، ليجدوا ما يتمنون ويحققوا غايتهم في الوصول لما تطمع قلوبهم بداخلك، ليكونوا هم الفائزون وأنت الخاسر الوحيد، لذا لا تنشغل حتى بمن يحبونك، لا تنشغل بالأشخاص من الأساس، انشغل فقط في حب ذاتك، امنحها قوة، عظمة، احترام، كرامة، كرامة تنتشل قلبك من الهموم وعقلك من التفكير، لا تنتظر نظرة عطف من أحدهم ولا تستجدِ حب أحد لك منتظرًا منه مساعدتك مادًّا لك يد العون، فتظل مادًّا يدك إلى أن تُشَل.

أصبحنا في زمن يُتاجَر بالأنفس، لم نتقدم إلى الأمام، بل عدنا لزمن الرق وأسر السبايا، وانتهاك حرمة القوارير بالنظر واللمس وبالإكراه، زمن لا يعرف معنى الرحمة، زمن لا يمتلك سوى غلظة كسر النفوس، قد يمتلكون جسدك، قد يتملكون قلبك، ولكنهم لن يستطيعوا امتلاك عقلك وتفكيرك، لذا قُم وافتح باب الكرامة في عقلك على مصراعيه قبل فوات الأوان، قبل تمكنهم من كسرك أو الإطاحة بك لتحقيق غاياتهم.

بدأنا في تنفيذ الخطة التي أخشاها، ولا أعلم هل سيكون نجاحها سببًا في سعادتي أم تعاستي، ولكني سأسير مع التيار دون التجديف أو المقاومة، لن أدبر لي أمرًا؛ فأنا أعلم أن أولي التدبير هالكون، فقط سأدع الأمر للعاطي الوهاب توكلًا لا تواكلًا، يُدبر أمري، فهو أولى بتدبير أمري مني، وهو أرحم على نفسي مني، هو مرشدي، هو منقذي ومخلِّصي، هو فقط من سينقذني.

اتصلت (سماح) بـ (أدهم) تصرخ لإحضاره وتبلغه أنني في خطر والطفل أيضًا، جاءت (حياة) ووضعت كاميرا مراقبة بالغرفة وضبطتها جيدًا، جاءت (ابتسام) تنبهني قائلة: (سمر)، أنتِ الأساس في الموضوع

دا، إذا نرفزتيه بس هو هيخرج من البيت، ودي الطريقة الوحيدة اللي نقدر نجيب بيها الملف، أنا همشي وهراقب تحركات (أدهم)، إوعي تبوظي الدنيا يا (سمر) الله يخليكي.

- خلاص ما تخافيش ربنا يعديها على خير.

ذهبت (ابتسام) ورجعت أنا إلى غرفتي مع (حياة) منتظرين قدوم (أدهم) في أي لحظة، جلست متوترة قلقة وكأنني سأدخل امتحان، لم يلاحقني ذلك الألم، ألم القلق، منذ كنت في الثانوية العامة، طُرق على الباب ثلاث طرقات، دخلت (سماح) تقول: وصل (أدهم)، وصل يا بنات، يلا مش عاوزين أي غلطة يا (سمر).

مللت هذه التنبيهات الكثيرة وكأنني سأفسد تلك الخطة، لا أعلم لم يرونني بهذا الغباء وبهذه السذاجة، دخلت الغرفة قبل قدوم (أدهم) لها، جلست متأهبة، يداي تتعرقان بكثرة، لما يحدث هذا وكأنني لم أقابله يومًا؟ لما أنا خائفة؟ عقلي يشعر بالذنب، لم أعتد فعل أشياء كهذه، خطط وألاعيب، حتى لو ستعود عليَ بالخير، فعقلي لا يميز، فقط يعلم بأنه يفعل شيئًا في الخفاء، شيئًا غير صحيح.

- (سمر)، خير أنتِ كويسة؟ قالولي إنك تعبانة، مالك؟ حاسة بإيه؟

قالها (أدهم) مذعورًا.

قلت ببرود دون أن أتحرك من مكاني: (أدهم)، أنا عايزة أخرج من هنا، أنا تعبت.

- (سمر) يا حبيبتي، أنتِ لازم تكملي العلاج.

قلت بصوت عالٍ: (أدهم)، أنت بتقنعني إني مجنونة وبتحاول تقنع الناس بكدا وعاوز تطلعني ست مش كويسة قدام الكل، لكن صدقني مش هتقدر، مش هتعرف تظبطها يا (أدهم).

مال على الكرسي بجذعه وقال: حبيبتي، أنا عملت اللي أنا عاوزه وخلاص خلصت.

- يعني أنت قاصد تجنني؟ قاصد تخليني مجنونة؟ لا وكمان أخلاقي مش مظبوطة، (أدهم)، أنا إمتى خنتك؟ ها؟ رد عليا ساكت ليه؟ ما عندكش حاجة تقولها مش كدا؟

ظننت أنني قمت باستفزازه ولكني فعلت العكس، لقد انتبه لشيء ما، أمسك بكتفيَّ وعانقني برقة لأشتم عبق عطره الذي بدأت بنسيانه وقال هامسًا: (سمر)، ما اعرفش ليه حاسس إن في حاجة غلط، الظاهر قعدتك مع المجانين خلتك تشغلي دماغك، (سمر)، صدقيني، على الرغم من كل اللي حصل أنا لسه بحبك، واعرفي إني مراقبك كويس، حتى وأنتِ في المستشفى، مراقبك وعارف عنك كل صغيرة وكبيرة فما تحاوليش.

اتسعت عيناي في ذهول لما قاله، ظننت أنني سأجعله مغتاظًا، ظننت أنني سأجعله ينهال عليَ ضربًا، ولكنه عانقني وكأنه يعلم ما يجري، نظرت إليه متعجبة الأمر، بدا الخوف واضحًا على وجهي دون أن أراه، نظر إلي وابتسم مستهزئًا ونظر إلى جوانب الغرفة وغمز لي، شعرت بالانكسار، لقد اكتشف كل شيء.

ولكني لن أظهر له وسأكمل محاولة إقناعه، استجمعت قواي وقلت: (أدهم)، أنا داخلة في الشهر السابع ومش عايزة ابني يتولد هنا.

- ابتعد ونظر إلي مبتسمًا: ومين قالك يا حبيبتي إنه هيتولد هنا؟ عادي هيتولد زي أي طفل طبيعي وفي مستشفى خاص كمان، (سمر) ما تخافيش، أنا تقريبًا بدأت أفهم كل حاجة ماشية ازاي.
- قصدك إيه؟
- فاكرة الحلم اللي قولتيلي عليه قبل كدا وأنك شوفتي ولد صغير اسمه (يحيى) بيكلمك؟ أهو أنا بقلك ابننا لازم نسميه (يحيى) ومش لازم تعرفي السبب.
- (أدهم)، أنت ليه بتتكلم بالألغاز؟ في إيه؟
- في إن معاناتك كلها هتخلص فعلًا بعد ما الولد دا ييجي على الدنيا، عن إذنك أنا اتأخرت، ولو احتاجتي حاجة خلي (سماح) تكلمني، بس ما تقوليش إنك تعبانة إلا لو كنتي تعبانة فعلًا، أنتِ بمجرد ما تحتاجيني هتلاقيني.

نظرت إليه يذهب دون إدراك أو فهم شيء مما قاله، دخلت (سماح) الغرفة تسألني بلهفة عما حدث، ظللت على حالتي مصدومة ولم أجب عن أسئلتها، تركتني وأتت بكاميرا الفيديو الموضوعة في الخزانة خلف العقاقير الطبية لتظهر كل ما يحدث في الغرفة، فتحت الكاميرا وأخذت تشاهد ما حدث، انفعلت قائلة: إيه دا؟ مش دا اللي احنا كنا عاوزينه، إيه دا؟ يا ربي، بوظتي الدنيا يا (سمر)، دا باله مرتاح على الآخر وخرج وهو في منتهى الهدوء، كدا الخطة مش هتتم، دا أنا قولت إن احنا هنجيب ناس تحوش والموضوع هيكبر، (سمر)، أنتِ هتفضلي هنا طول عمرك بغبائك دا.

نظرت إليها ببرود، أغمض عينيَّ بشدة أفكر وأنا لا زلت واقفة على حالتي متجمدة، قلبي تزداد خفقاته الخائفة، واقفة مكاني دون إصدار أي ردة فعل، جاءت (سماح) لتقف أمامي تحرك يديها أمام عيني يمينًا ويسارًا وتسألني قائلة: هو في إيه؟ مالك يا بنتي في إيه؟

ـ (أدهم) مش مرتاح وباله مش هادي يا (سماح)، (أدهم) عارف كل حاجة صدقيني، (أدهم) اتحكم في أعصابه، أنا عارفة إن كلامي المفروض كان ينرفزه، هو عارف كل حاجة، الخطة دي فشلت وصدقيني ما نكملش أحسن؛ لإن ما فيش حاجة هتمشي زي ما احنا عاوزين.

نظرت إلي (سماح) لتجلس على الكرسي خلفها قائلة: يعني إيه؟ خلاص هتفضلي هنا طول عمرك وأنت سليمة.

- هعمل إيه يعني؟ إذا كان دا نصيبي في الحياة فمش هشوف غيره حتى لو اتنططت من مكاني.
- لأ يا (سمر)، أنتِ بتقولي إن (أدهم) عرف كل حاجة، خلاص يبقى احنا نكمل خطتنا عادي وحتى لو كان عارف نبقى بنلعب على المكشوف، وطبيعي أي واحدة مكانك هتحاول تهرب من اللي هي فيه دا بأي طريقة، وممكن اللي هنعمله يغيظ (أدهم) ويعصبه فيجي ويبهدل الدنيا هنا، وفي جميع الحالات احنا مش خسرانين حاجة غير المحاولة.

نظرت إليها وكأنني أسألها إذا كانت متأكدة مما تقول، أومأت برأسها لتوافق، اتفقت معها على إكمال الخطة، ذهبت للخارج لأشتم بعض الهواء، افتقدت وجود (حياة)، نظرت حولي فلم أجدها، ربما هي مشغولة بعملٍ ما.

بدأ ظلام الليل يتجانس بخطوط النهار، ذهبت لغرفتي وحدي دون أن تأخذني إليها (حياة) أو أي ممرضة أخرى، لقد انتهى دوري في هذه الخطة والباقي يعتمد على الملك القادر ثم على أصدقائي الجدد، أصدقائي الذين ظهروا لي في محنتي، يساعدونني دون مقابل، يساعدونني فقط لأنهم يريدون ذلك، فقط لأنهم يرون ظلمًا واقعًا علي.

قد تُنضِج لك الدنيا ثمرة أصلها شجرة صبار قاسية لا ترَوَى بماء، لتخرج لك صديقًا يكن هو تلك الثمرة التي تنضح بالحياة بعد رحلةٍ طويلة من السير في صحراء الدنيا القاحلة.

مكثت بغرفتي ما يقارب الخمس ساعات، وأنا أتساءل لما ذلك التأخير؟ تُرى ما الذي حدث معهم؟ ما الذي أخرهم إلى هذا الحد؟ أين (حياة)؟ لم أرها منذ وضعها لتلك الكاميرات بالغرفة!

ظللت أفكر إلى أن جاءت ممرضة شقراء، طرقت الباب ودخلت لتعطيني هاتفها لأتحدث مع أحدهم على الخط، أمسكت بالهاتف وتحدثت فوجدتها (ابتسام) تقول لي بأن الخطة قد نجحت بصورة لم نتوقعها، وقد ثبت أن (أدهم) مريض نفسي ويتعالج منذ أعوام عدة، وأنه في طريقه إلى مشفى الأمراض العقلية، وهي في طريقها لإتمام أوراق إخراجي من المشفى.

١5

تعجبت مما يحدث، ما الذي فعلته؟ لقد أوقعت (أدهم) في نفس الفخ الذي أوقعني هو به، لقد أوقعته ليعيش نفس العذاب الذي عشته في هذه الأسابيع القليلة، ما الذي فعلته؟ لقد دمرته، لقد أنهيت عمله الذي يعشقه، لقد شوهت صورته ليظهر ظالمًا مريضًا لكل من يراه، يا إلهي ماذا فعلت؟

ـ أنتِ إيه اللي أنتِ عملتيه دا؟ أنا قلتلكوا تجيبوا الملف وتسجيلات كاميرات المراقبة وبس، ما قولتش تبلغوا وتتصرفوا من دماغكوا، وتدخلوا (أدهم) مصحة.

وجهت كلامي لـ (ابتسام) لتدرك ما أوقعتنا به، لتدرك حجم المصيبة التي أوقعتني بها ظنًّا منها أنها تساعدني.

ـ إيه يا (سمر)؟ دا اللي احنا خططنا ليه، وبعدين (أدهم) سبق ودخلك مصحة، ولا اللي أنتِ فيها دي إيه؟ ملاهي؟

قلت وأنا أبكي صارخة بوجهها: لأ مش ملاهي، أنا قلتلك حاجة يبقى تلتزمي بيها، أنا عارفة إن (أدهم) مريض من أول يوم أنا شوفته فيه،

بس كنت كتماها في قلبي وساكتة، (أدهم) مش هيتحمل ربع اللي أنا شفته هنا، (أدهم) لازم يطلع وحالًا.

- لا بقى دا أنتِ اتجننتي رسمي، مهما عملنا لا يمكن يخرج النهاردا ولا بكرا عشان بكرا الأحد إجازة رسمي، وبعدها هيتعرض على دكتور يعرف حالته، ومش هيخرج إلا بعد ما تثبت كل المؤشرات إنه مش مريض.
- طيب وإيه هي المؤشرات دي؟ أنتِ أكيد عارفاها، لازم (أدهم) يعرف المؤشرات دي عشان يخرج من هناك.
- (سمر) اهدي، تعالي نخلص أوراق خروجك أنتِ الأول وبعدين تروحي البيت ترتاحي ونقعد نتكلم.

انتهت أوراق خروجي على خير، رجعت إلى منزلي فوجدته بحالة سيئة للغاية، لا يوجد شيء مرتب ولا يوجد ما هو بمكانه، كل شيء مدمر، خراب قد عم بأرجاء المنزل وكأنه كان ساحة للملاكمة.

علمت من ذلك المنظر أن (أدهم) قاومهم تمامًا كما فعلت، حاولت إبعاد تلك الصورة المتكررة التي تنبثق داخل عقلي لتريني كيف كان يحاول (أدهم) بجبروته وعظمته إقناعهم بأنه ليس مريضًا.

جلست على الأريكة بعدما تفقدت المنزل بأكمله، جاءت (سماح) بعدما أنهت عملها لتطمئن عليَ، وقالت بأن (حياة) ستزورني غدًا في الصباح، جلست معي وبدأنا بترتيب المنزل بأكمله دون التفوه بكلمة عما حدث، دون المناقشة، شعرت بألم في معدتي، جلست وقامت (سماح) بإحضار كوب من الماء لي.

شعرت بلكمات مضطربة وحركة خفيفة داخل بطني مصحوبة ببعض الألم، وضعت (سماح) يدها على بطني وفرحت بشدة لتلك الحركة وجلست تلقي ببعض النكات محاولة إضحاكي لأنسى حزني.

في اليوم التالي استيقظت مبكرًا على صوت جرس الباب، فوجدتها (ابتسام)، أدخلتها فقالت: اسمعي، أنا عارفة إني زعلتك امبارح، وإن اللي حصل صعب عليكي، وعشان كدا قعدت طول الليل اتصل بمدير المستشفى يرتبلك مقابلة مع (أدهم)، وعلى الرغم من إن النهاردا إجازة هو وافق، إيه رأيك في صاحبتك؟

انتعش قلبي لسماع تلك الكلمات وترنم وجداني، فقلت والسعادة تغمرني: بجد يا (ابتسام)؟ ربنا يخليكي ليا، أنتِ أجدع إنسانة عرفتها في حياتي، ربنا يخليكي ليا، أنا هقوم أجهز عشان نروح.

- لأ استني هنا، الأول ناكل لقمة مع بعض لحسن تقعي مني في الطريق، وبعدين مش مهم أنتِ، المهم النونو، لازم يفطر.

ابتسمت وذهبت لإعداد بعض الساندويشات الصغيرة، ارتديت ملابسي وخرجنا لنجد شقيق (سماح) واقفًا أمام الباب بسيارته مُصرًّا على إيصالنا، شعرت بإحراج في البداية، ولكن علمي بأنني ذاهبة لمقابلة (أدهم) لم يجعلني أنتظر، ذهبنا معه ليوصلنا، كان مهذبًا، لم ينظر إلي مطلقًا، ظل يتحدث مع (ابتسام)، فهو معتاد على محادثتها، أثناء حديثه سمعته يقول بأنه سيعقد قرانه على فتاة برازيلية تحبه ويحبها منذ فترة، لفتت انتباهي تلك الجملة، ارتاحت أنفاسي وشعرت بانفكاك تلك العقدة بداخلي، هذا يعني أنه لم يفكر بي مطلقًا كما قال (أدهم) من قبل، حمدت ربي وظللت أنظر عبر نافذة السيارة.

وصلنا أخيرًا، قالت (ابتسام) أنها ستنتظرني هي بالخارج مع شقيق صديقتها لأقابل (أدهم) وحدي، وطمأنتني بأن هناك حراسة مشددة حتى إن حدث شيء لم أتوقعه فلن يقع عليَ أي ضرر.

دخلت واصطحبني ممرض للداخل لغرفة (أدهم)، فتح الباب لأجد غرفة بيضاء مدهونة حديثًا، فرائحة الطلاء لا تزال بداخلها، تركني ذلك الممرض وذهب غالقًا الباب، نظرت حولي فلم أجده، كان هناك باب آخر في تلك الغرفة، ذهبت لأرى طاولة صغيرة توضَع عليها بعض الكتب وزجاجة ماء معدنية، قلم، وقصافة، خرج (أدهم) من ذلك الباب خلفي لينطق باسمي قائلًا بدهشة: (سمر)، أنتِ هنا فعلًا؟

نظرت إليه في خنوع وذهبت لاحتضانه فعانقني بقوة، بكيت وبكى بعنف، لم أرَ ذلك الكم الهائل من الدموع الحائرة، دموع مدمرة حزينة، وقع كلانا على الأرض، زلت قدمانا ولم تعد تستطيع حملنا، قلبانا معبآن بالهموم، أخذت أربت على كتفه محاوِلة تهدئته وطمأنته.

قال بشجن غلبه الحزن وهو يعتصر جسدي بين يديه: (سمر)، خليكي معايا إوعي تسيبيني.

- مش هسيبك صدقني، بس أنت لازم تثبت إنك كويس للدكتور اللي هيكشف عليك وبعدها تخرج ولا كإن حاجة حصلت ونعيش حياتنا ونبدأ نخطط لحياتنا مع ابننا.

ابتعد عني وذهب ليقف مستندًا إلى الحائط يقول بصوت مكروب: (سمر)، أنا عايز اتكلم معاكي، خلاص أنا ما عدش عندي حاجة أخسرها، أنا خسرت كل حاجة واللي حصل حصل، عايزك تسمعيني وبدون ما تسألي.

قلت وقلبي يتقطع على ما هو فيه: قول، قول يا (أدهم) أنا سامعاك.

- كنتي عايزة تعرفي إيه سبب اللي أنا بعمله فيكي، (سمر)، اللي أنا شفته في حياتي كان كفيل يخليني أعمل أكتر من كدا، كل اللي عملته كان بسبب إني بحبك بجد وخايف عليكي، بس لما لقيتك بدأتي تعرفي كل حاجة ولما عرفت إنك قرأتي الحاجة اللي جوا الملف أنا ما قدرتش إن سمعتي تتهان أو حياتي تتدمر، حسيت إن في حد بيكلمني، صوت في راسي عمال يقولي على اللي اعمله بالظبط، الصوت دا كان بيمليني اعمل إيه، حاولت أبعده عني بس ما قدرتش، الصوت دا قالي إني أثبت الموضوع عليكي قبل ما تثبتيه أنتِ عليا، لقيتها فرصة حلوة واستغليت موضوع أحلامك وبدأت أحطلك في العصير حبوب هلوسة عشان تحلمي الأحلام دي، وكنت بتفاجئ إنك ما بتجيش تقوليلي على أي حاجة، بالعكس، حسيت إن الدوا خلاكي تبطلي تحلمي، بعد ما لقيت الموضوع بيكبر وإنك بدأتي تسألي وتاخدي تليفوني وتتصلي بالدكتور اللي بتعالج عنده وتكلمي مامتك، بدأت أقلق وقلت لازم ألحق نفسي قبل ما تنهار، بدأت أقلب كل حاجة، يعني الملف اللي كان فيه كل حاجة تثبت إني كنت بتعالج عند أطباء نفسيين شلته وخبيته، مسحت حاجات معينة من تسجيلات كاميرات المراقبة، وبعدين أخدتك للدكتور اللي كنت بتعالج عنده بحجة إنك بتشوفي أحلام وبيتهيألك حاجات، وإن أنتِ بتسمعي لأوهام وهي

اللي بتخليكي ما تنفذيش أوامري، الدكتور كتبلك الحقن المنومة دي واللي بدأت اديهالك كل ما أحس إنك قربتي من الحقيقة.

ظللت أستمع له وعيناي تفيضان بالدموع، وظل هو يتحدث، تخرج الكلمات من بين شفتيه وكأنها صخر يبكي نادمًا على ما فعله، يتحدث بهذيان وكأنه فقد شخصيته، فقد هيبته، فقد نبرة صوته المغرورة المتعالية، فقط يتحدث بكل معاني الألم والانكسار التي تجعل منه طفلًا بسن المراهقة الطائشة يخشى أمه التي تعنفه، يتحدث بكل معاني الأسى والحزن، ملامحه المتكدرة توحي بعظمة وهول ما وقع فيه من صدمة نفسية جعلته ينسى غروره وحيله ليتحدث بطبيعته دون أن يذكر من هو وكم شركة لديه، وكم لديه من معارف وشهرة، كلماته كانت قاسية ولكن اعترافاته كانت بمثابة فض نزاع واشتباك حزمة من الأفكار برأسي، لتنقشع بفضل تلك الاعترافات القاسية الثمينة.

أكمل حديثه دون أن أقاطعه: بعد ما دخلتي المستشفى بدأت أحس بأكبر غلط عملته في حياتي، إذا كنت بغير عليكي فعلًا ازاي أبعتك مكان أنا مش فيه؟ وعينيا تكون مش عليكي؟ ازاي أسيبك بدون ما أعرف عنك حاجة؟ روحت المستشفى وكلمت الممرضة اللي كانت هناك واتفقت معاها تخلي بالها منك، كان اسمها (حياة) تقريبًا، بنت طيبة وغلبانة.

- أنت بتقول إيه؟ (حياة) هي اللي ساعدتك؟ يعني أنت كنت عارف إن المكتب كان فيه كاميرات فعلًا وعشان كدا اتحكمت في أعصابك؟

ـ أنا اتحكمت في أعصابي عشان أنا زهقت، عشان حسيت بمعنى إنك تفقد حاجة غالية عليك أوي، اتحكمت في أعصابي لإن أنا مش عاوز أمد إيدي عليكي تاني أبدًا، (سمر) أنا حسيت بالذنب اللي عملته وما تتخيليش بشاعة الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير.

ـ (أدهم)، أنا مسامحاك ومش عايزة غير إن احنا نفتح صفحة جديدة نكون مع بعض فيها.

ابتسم ضاحكًا، جاء ووضع كفه على خدي، ودموعه تداعب عدسة عينيه ولا يقوى على فتحهما بصورة طبيعية، قال بصوت محسور: (سمر)، ما عدش ينفع نعيش مع بعض، أنا خطر عليكي، (سمر)، أنا لاحظت إن كل حاجة في الماضي كانت هي السبب في كل اللي أنا فيه، (سمر)، عايزك تربي ابني كويس وتعلميه إن رزقه مش هياخده غيره عشان ما يتعبش نفسه وهو بيدور.

ـ (أدهم) يا حبيبي، أنت اللي هتربي ابنك، وأنت اللي هتقوله الكلام دا بنفسك، ليه بتقول كدا؟

ـ ابتسم مستهزئًا بما يدور في رأسه وقال: زمان و أنا صغير والدي طلق أمي ورماها من غير ما يسأل عنها، وما كانش ليها حد في الدنيا غيره، أبويا اتجوز ست عقربة بهدلت أمي على الرغم من إنها مش عايشة معاها، أول ما عرفت أمي بجواز أبويا من الست دي، وخصوصًا إنها كانت صاحبتها وجارتها من الصغر، قررت إنها تتجوز هي كمان، اتجوزت الراجل اللي معاها دلوقتي، واللي كان بالفعل بيمثل الأب الروحي ليا، كان شريك والدي في كل الشركات دي، كانوا صحاب جدًّا، قررت أمي

تحرق قلبه عشان اتجوز عليها، قطع أبويا الشراكة بينه و بين جوز أمي، وضرب أمي وهددها بأنه هيقتلها هي وجوزها، أخدنا جوز أمي وسافر بينا على الإسكندرية، قعدنا هناك فترة طويلة لغاية ما خلصت تعليمي، اكتشفت بعد فترة إن أبويا مات بسكتة دماغية وكنت أنا الوريث الوحيد لأملاكه، على الرغم من إنه عمره ما سأل عني ولا كلمني فهو كتب كل حاجة باسمي، أملاك ماكانش حد يعرف عنها حاجة غيره، رجعنا القاهرة وبدأت شغل في الشركات دي، جوز أمي اعتبرني زي ابنه بالظبط وكتب كل الشركات باسمي أنا، وكل البيوت والعقارات باسم بنته، أختي من أمي، كل الحاجات دي أثرت فيا، تخيلي كدا طفل واعي يروح عند أبوه يلاقي واحدة غير أمه بتوكل أبوه، يروح عند أمه يلاقي راجل غريب بيحضنها قدامه، كنتي عايزاني أعاملك ازاي؟ صدقيني يا (سمر) دا أقل واجب.

ابتسمت ضاحكة على ما يقوله، انفرجت ابتسامه خفيفة ظهرت على وجهه لتزين مُحياه، بالفعل ما الذي كنت أريده؟ لقد عاش حياة صعبة قاحلة موحلة بكل ما فيها، أخذ جميع الصدمات في صغره لتربي العنف فيه وتزرع الشك في قلبه، دخل عالمًا ليس بعالمه، كان طفلًا خلقه الله طاهرًا نقيًّا، صفي القلب، أدخلوه إلى عالم الموبقات، لم يلحقوا برأسه سوى الفساد، ليتعقد من حياته وما فيها، ليكره الحياة منذ الصغر، ليستمد كل سُبل الغرور والطغيان لتفسد أخلاقه ويفسد عقله.

- (سمر)، أنا صدعت دماغك بس كان لازم تعرفي عشان أنا مش عايز الحاجات دي تحصل مع (يحيى).
- (يحيى)؟

- آه (يحيى)، عارفة ليه أنا بدأت أقلق من أحلامك، لإنها حقيقية وبتتحقق، أول ما قُلتيلي إنك حلمتي بالاسم دا أنا صُعقت وعشان كدا سيبتك يومها ومشيت.
- فعلًا، يومها أنت ما ردتش عليا، أنت ليه عملت كدا؟
- آه، يا لسخرية القدر! (يحيى) دا يا ستي اسم أبويا الله يرحمه، وبعد ما مات أمي أصرت عليا تغير اسمي على اسم جوزها (عبد الدايم)، واتغير الاسم زي كل حاجة اتغيرت فيا.

صُدمت، ظللت أبكي، ألتقط أنفاسي لتلك الاعترافات القاسية التي أوغرت صدري وأهزلت جسدي في لحظات، تلك الصدمات كانت أقسى من الكهرباء التي تعرضت لها، كانت اعترافات مملة وصعبة ومرهقة.

طُرق على الباب وجاء ممرض تحدث مع (أدهم) بالبرازيلية، خرج الممرض وقال (أدهم): (سمر) حبيبتي، أنتِ كنتي و ما زلتي أغلى حاجة عندي، أول ما شوفتك قلت إنك الوحيدة اللي هتقدر تستحملني بكل قرفي وبكل عصبيتي، عذبتك كتير وضيعت فرص حلوة كتير، بس صدقيني أنتِ حوريتي في الدنيا وهتكوني حوريتي في الآخرة، دا طبعًا لو دخلت الجنة، أنا عايزك تهتمي يا ملكتي و يا مديرة أعمالي بكل الشركات بتاعتي، عايزك تحافظي على نفسك، وياريت ما تغامريش تاني، وادي نفسك فرصة جديدة، (يحيى) عايزك تعلميه كل حاجة، عايزه يبقى أكبر مدير شركات في العالم وهو في سن صغير، واعرفي إني بعشقك يا (سمر).

قال تلك الجمل وهو يضع وجهي بين يديه وعيناه مملوءتان بالدموع وعروقه تخرج من وجهه، يخرج كلماته من بين شهقات بكائه، أومأت برأسي في كل جملة يقولها حتى وإن كانت تقلقني عليه، فقط لأجعله يتخلص من ذلك التأنيب الذي يلاحق عقله، نظر إلي وقبل جبهتي، أمسك بكفي يدي وقبلهما وقال ضاحكًا: اطلعي عشان معاد الزيارة خلص وكدا هتعمليلي مشاكل، وأنتِ عارفاني بحب المواعيد المظبوطة.

ضحكت وذهبت إلى باب الغرفة لأخرج، التفت، نظرت خلفي لأراه يلتفت في الاتجاه الآخر مخبئًا وجهه ليداري دموعه، ركضت نحوه أمسكت بظهره وعانقته بقوة، التفت واحتضنني وأشار إلى الباب لأذهب، كان آخر ما رأيته هو ابتسامته التي حاولت ترسيخها وتثبيتها بعقلي وكأنها صورة فوتوغرافية لا أود فقدانها.

خرجت ورأيت (ابتسامًا) تنتظرني في الخارج، دخلت السيارة، سألتني كيف سار الأمر بعدما رأت آثارًا للدموع على وجهي، قلت لها إن كل شيء سار على ما يرام، بل كما لم أتوقع يومًا.

رجعت إلى منزلي، أغلقت الباب عليَ جيدًا، جلست على الأريكة أنظر هنا وهناك لأجد (أدهم) في كل مكان في جميع أرجاء المنزل، يقف بالخارج ليشوي قطعًا من اللحم، يقف أمام التلفاز ليشاهد مبارايات كرة القدم، يقف عند المطبخ ليسألني عن مكان بعض الأشياء، صورته لا تفارق خيالي، كلما نظرت إلى الباب تذكرت تلك اللحظة التي دخلت بها هذا المنزل محمولة بين يديه ليكون هو كل حياتي، والآن يفارقني من أحببت، يبتعد عني من أحببت، الآن بت وحيدة بحبي لمن أحببت.

لم آكل شيئًا، ولم أدخل غرفتي لأنام فيها، لا أعلم، شعرت بالخوف لعدم وجوده في المنزل، شعرت وكأنني غريبة في منزلي، أشعلت التلفاز على قناة القرآن ووضعته لتهدأ نفسي، جلست على الأريكة وتمددت وأنا أشعر ببعض المغص ببطني، ولكني بررت ذلك الألم لأنني لم أتناول شيئًا منذ الصباح سوى تلك الشطيرة الصغيرة مبكرًا.

أغلقت عينيَّ ببطء وأنا أتذكر ابتسامة (أدهم) لي، كانت ابتسامة رقيقة نقية تزين لحيته التي نمت بسبب حزنه وفقدانه شيئًا عز عليه امتلاكه، غطست في أفكاري لأجد نفسي في غرفتي و(أدهم) نائمًا بجانبي كعادتنا، تحركت ونظرت لأجواء الغرفة فوجدتها طبيعية، يا إلهي! هل هذا كله حلم؟ هل كل ما حدث معي حلم طويل بشع؟ قمت وذهبت لإحضار كوبًا من الماء ليُذهب مرارة حلقي.

رجعت إلى غرفتي فرأيت تلك الغرفة البيضاء برائحة الطلاء بنفس ترتيب الأشياء على الطاولة، الكتب، القصافة، زجاجة الماء، يبدو أنني أخطأت العنوان، هل هذه غرفتي أم أنا في المصحة مع (أدهم)؟ ما هذا؟ ما الذي يحدث؟

رجعت إلى الخلف لأرى أنني لا زلت في منزلي، نظرت داخل غرفتي فوجدت تلك الغرفة في المصحة العقلية، دخلت واتجهت نحو باب الغرفة الذي خرج منه (أدهم) من قبل، لفت انتباهي حركة قريبة رأيتها بطرفه، أدرت بصري لتقع عيناي عليه، (أدهم) يُمسك بتلك القصافة، يخرج ما بها من أسنان حادة ليقطع شرايينه ويكسر معصمه.

صرخت بأعلى صوتي مستيقظة، صرختي لم تكن لما حلمت به، لكن لذلك الألم الذي يُقطع بطني، شعرت بتهشيم كل عظمة بجسدي،

ضغط هائل يحدث داخلي ولا أعلم سببه، اتجهت نحو الهاتف زاحفة من شدة الألم، رفعت السماعة واتصلت بـ (سماح) وأخبرتها بما يحدث معي، جاءت مسرعة وكأنها كانت تقف خلف الباب متأهبة لما سيحدث، ذهبت لأفتح الباب والألم يقطع جسدي، عروقي ستنفجر ولا أعلم السبب، هل سأموت؟ هل ذلك الألم ذبحة صدرية أو سكتة دماغية حدثت لحزني على (أدهم)؟

أمسكت بي (سماح) وأتت بأخيها الذي كان مستعدًّا أمام منزلي بسيارته، أخذاني وذهبنا إلى المشفى.

فور وصولنا علمت بأنها لحظات الولادة وأن ذلك الألم هو ألم المخاض، تفاجأت؛ فأنا في بداية الشهر السابع، هذا ليس صحيحًا، جُهزَت غرفة العمليات لألد طفلي (يحيى).

" ستحين فور دخولي الحياة "!!

تذكرت ذلك الحلم البشع، بت الآن أؤمن بأن أحلامي محققة لا محالة، أمسكت بيد (سماح) أصرخ وأنا على ذلك السرير النقال قائلة بأعلى صوتي ليسمع الجميع: (أدهم)، (أدهم) هيموت، الحقيه يا (سماح)، (أدهم) هيقتل نفسه، هينتحر، اتصرفي روحي انجديه.

نظرت إلي بغرابة واندهاش، جذبتها إلي وأمسكت بياقة قميصها وصرخت في وجهها بقوة: بقولك (أدهم) هيقتل نفسه، هينتحر، الحقيه.

نظرت بعيدًا فوجدت (ابتسام) آتية تركض، لقد أخبرتها (سماح)، أتت مهرولة إلي لتمسك بيدي محاولة تهدئتي، أمسكت بيدها وضغطت عليها بقوة وقلت: (ابتسام)، (ابتسام) عشان خاطري انجدي (أدهم)، (أدهم) هينتحر، شوفته بيقتل نفسه، إوعي تسيبيه عشان خاطري، دي

أمانة لازم تنفذيها.

وعدتني بذهابها الآن للمصحة للاطمئنان على (أدهم)، دخلت غرفة العمليات، أعطتني الممرضة حقنة مهدئة تسكن الألم بعض الشيء، ولكنها لم تعد عليَ إلا بشكة تلك الإبرة، أتى ألم الطلق، شعرت بروحي تنجذب خارج جسدي، ضربات قلبي تتزايد بقوة، أتذكر كل لحظة بسيطة وجميلة انقضت وأنا مع (أدهم)، مع كل صرخة ألم تأتي صورة له في ذاكرتي الممتلئة فقط بصوره وبابتسامته وبكلماته الحانية، لم أتذكر غير هذه الأشياء.

فقدت وعيي في لحظات، حاولت الصمود ليس لأجلي أو لأجل ذلك الطفل، بل فقط لتظل تلك الذكريات وتلك الصور تمر أمام عينيَّ، لأتخيله وكأنه معي ولكني لم أستطع.

فتحت عيني فوجدت أنني في غرفة ممددة على سرير، علمت أنني بالمستشفى، نظرت إلى النافذة فعلمت أنني في يومٍ سماؤه مثقلة بالدموع، السماء مكبدة بالغيوم ويملؤها المطر، البرد قارصٌ، صوت الرعد يعج السماء ضجيجًا بهيبته، وبرق يخطف الأبصار بالأفق،

سمعت صوت بكاء، نظرت إلى شمالي فوجدت سريرًا لطفل صغير، تحركت من مكاني، لا زلت أتألم بعض الشيء ولكني قاومت الألم، نهضت وذهبت لأرى طفلي الصغير، نظرت إليه بعمق، تأملت ملامحه، دققت بتفاصيله الصغيرة، لقد كان نسخة مستنسخة صغيرة لـ(أدهم)، نظرت إليه ونطقت باسمه (يحيى)، ذرفت دموعي وجلست ألاعبه، وهو يبتسم ويتثاءب ببراءة لا مثيل لها، دخلت (ابتسام) الغرفة لتراني أحمله وأداعبه، دخلت والحزن يملأ وجهها حتى اصفر كالكركم، لونها شاحب،

نظرت إليها وقلت: تعالي يا (ابتسام) شوفي.

نظرت إلي مع ابتسامة خفيفة يُخالجها الخوف وقالت: ربنا يباركلك فيه، يتربى في عزك.

- تسلمي يا قلبي أنتِ، يلا عشان نخرج من المستشفى دا بقى، عايزاكي توديني لـ (أدهم) عشان يشوف (يحيى)، عايزة أفرحه بالصغنن القمر دا.

لم تنطق بحرف، ظلت صامتة، تُبعد عينيها عني، تلتفت حولها كاللصوص، تسترق النظر لي لتخبئ عينيها عني، نظرت إليها، وضعت صغيري في سريره وذهبت لأقف أمامها قائلة: في إيه؟ مالك يا (ابتسام)؟ انطقي في إيه؟ (أدهم) جراله حاجة؟

نطقت بهدوء بعد أن هززتها بقوة وعنف شديدين: أ.. (أدهم) تعيشي أنتِ.

صرخت قائلة: نعم؟ أنتِ اتجننتي؟ إيه اللي أنتِ بتقوليه دا؟

ذرفت دموعًا محبوسة، خرجت منهمرة وقالت: زي ما بقولك كدا، (أدهم) مات.

صُدمت، اقشعر جسدي، شعرت بوقوع جدار كان يسندني، شعرت بانهزامي وضعفي، شعرت بانكساري، شعرت بتدميري كُليًّا، نظرت إليها مستعجبة الأمر وقلت في هدوء عقلي لا زال يستوعب ما يجري: بس أنا قلتلك تنجديه، قلتلك إن دا هيحصل، ليه ما لحقتيهوش قبل ما يموت؟ ليه سبتيه يموت؟ تعالي هنا، شايفة الطفل؟ دا ذنبه في رقبتك، هيتربى بدون أب، أنا قلتلك تساعديه، ليه عملتي كدا؟

قالت وهي تبتلع عصارة خوفها: اهدي يا (سمر)، يا (سمر) اهدي عشان خاطري، أنا روحت المصحة أول ما قولتيلي وقبل ما أوصل كان (أدهم) قطع شرايينه، حاولنا نسعفه بس خلاص، كانت روحه طلعت للي خلقها.

لم أرد بكلمة، فقد وقعت على الأرض، عيناي مذهولتان، لم أرَ شيئًا، لقد اسود كل شيء، لا أستطيع أن أرى شيئًا بوضوح، وقعت فاقدة وعيي، كان آخر ما رأيت (ابتسام) تصرخ لتأتي بأحد ليساعدها،

ظللت جثة هامدة مدة تقارب الأسبوع، إما نائمة في ثبات ومن حولي القلة القليلة التي أعرفها في هذا البلد الأجنبي الغريب، (ابتسام)، (سماح)، (حياة)، (سمر)، كلهم عرفتني عليهم الصدفة، خلقتهم لي المحنة، لأفتح عيني ببطء للحظات، فأرى فيها إقبال (ابتسام) ودموع (سماح)، (حياة) تحمل صغيري الذي بت أفتقده، (سمر) تجلس بجانبي محاولة إيقاظي وتحفيزي للنهوض.

لم أستطع، ظللت فترة طويلة لا أقوى على النهوض، وإذا فتحت عينيَّ وجدت لهفة في عين من هم حولي، ولكن كلما تذكرت (أدهم) كان عقلي يهتز من مكانه ويلوم نفسه على التفكير في الخروج من ذلك المشفى، بدأت ألعن نفسي مئات المرات، دون الحديث أو الحركة، فقط عقلي وقلبي يتشاجران ويكاد كل منهما يعتزل عمله ليتركه للآخر ليتحكم الآخر بباقي الجسد.

بعد مدة تقارب الأسبوع على اعتزالي ووحدتي، فتحت عينيَّ على صوت ذلك الصغير يبكي، تحركت من مكاني محاولة النهوض، نزلت عن السرير، شعرت وكأنني أتعلم المشي من جديد، غرفتي مليئة بالنيام،

أخذت طفلي وخرجت به لصالة المنزل لأطعمه، ظل يبكي وظللت حاملة له، لا أود النظر إليه، وكأنني أخشى النظر في عينيه البريئتين العاجزتين والتي أرهقهما البكاء لابتعاد أمه عنه طوال هذه الفترة.

جاءت (ابتسام) و(سماح) مفزوعتان يسألان بعضهما عن مكاني، رأياني جالسة على تلك الأريكة، جاءا وجلسا بجانبي يتفقدان ملامحي، نظرت إليهما وكأنني أتعس بشرية على وجه الأرض، ثم ابتسمت ممتنة لهما.

قالت (ابتسام) بارتياح: الحمد لله أخيرًا فقتي، أنا كنت بدأت أفقد الأمل فيكي.

نخزتها (سماح) في كتفها وقالت: حد يقول كدا؟ إوعي، حمدًا لله على سلامتك يا (سمر)، بجد احنا كنا قلقانين عليكي جدًّا.

جاءت (سمر) من الغرفة لتقول بفرح: (سمر) أنتِ فقتي؟ الحمد لله، كنا هنموت من القلق عليكي، أنتِ علمتينا حاجات كتير الفترة اللي فاتت وأنتِ مش حاسة.

سمعت (حياة) ذلك الحديث وجاءت قائلة هي الأخرى: (سمر)! ألف حمد وشكر ليك يا رب، احنا لازم نطلع حاجة لله يا جماعة، أخيرًا فاقت أم دماغ مصفحة دي؟

نظرت إليهن جميعًا وابتسمت على ما رزقني الله به، نظرت إلى تلك الصحبة التي لم تفارقني طوال الفترة السابقة، طلبت منهن الجلوس جميعًا حولي والاقتراب مني لأنني لن أستطيع رفع صوتي، جلسن والسعادة تزين محياهن، تخضبت ملامح الفرح بوجوههن.

- أنا بجد محظوظة على الرغم من كل اللي حصل معايا، أنا لقيت ناس تسندني وتساعدني، ما فيش بيني وبينكوا لا أُخوة ولا قرابة بس ساعدتوني أكتر من أي حد ساعدني قبل كدا في حياتي، أنا بجد مش عارفة أشكركوا ازاي.

نظرت إلي (ابتسام) وقالت: تشكرينا بإنك تقومي وتفوقي لنفسك وتفوقي لـ (يحيى) هو مالوش ذنب في كل اللي حصل، هو طفل محتاج الرعاية والحنان والتعويض عن أي حاجة ممكن تتعبه في حياته.

ابتسمت، عانقتني بقوة، تذكرت عناق أختي (سارة) فأحسست بألم وكأنها وخزة أصابت قلبي، نظرت إليهم نظرة تائهة وقلت: أنا عايزة أطلب منكوا طلب كمان.

رحبن جميعًا بذلك الطلب فقلت: أنا عايزة أرجع مصر.

قالت (سمر): ليه كدا؟ ما أنتِ هتفضلي معانا واحنا هنخلي بالنا منك، ولو عايزة أهلك اتصلي وهاتيهم يقعدوا هنا معاكي بدل ما تسافري.

نظرت لسذاجتها وللطف كلماتها وقلت: لأ أنا عايزة أرجع مصر، أنا مش هرتاح هنا و(أدهم) مش موجود معايا، المكان بقى مرتبط بوجوده.

جاءت (سماح) وعيناها تدمعان وقالت: خلاص هي حرة ما حدش يغصب عليها.

قالت (ابتسام): إذا كنتي عايزة تسافري ودا قرارك الأخير فاحنا كلنا تحت أمرك وهنساعدك لغاية ما توصلي بيتك في مصر.

بعد يومين تحدد موعد السفر، لملمت بعض الأشياء المهمة وبعض الصور والملابس، حتى إنني أخذت ملابس (أدهم) التي كان يرتديها

ليظل عطره محفورًا بذاكرتي وصورته وهيبته داخلها.

ذهبت إلى المكتبة وحركت بعض الكتب، دخلت غرفة المراقبة، وجدت كتابًا مجلدًا وفوقه كاميرا فيديو، نظرت إليهم وفتحت تلك الشاشات لأرى ما كان يحدث أثناء غيابي بالمصحة العقلية، كان ذلك من باب الفضول، رأيت (أدهم) ينفذ الخطة التي دبرناها له، ينفذها على الرغم من علمه بكل شيء، أرجع ذلك الملف مكانه بعد أن خبأه من قبل، تحرك خارجًا من المنزل تاركًا الباب مفتوحًا ليدخل شقيق (سماح) وينتشل الملف وتسجيلات كاميرات المراقبة والتي أرجع بها ما مُسح منها.

كان قد تغير فعلًا، لقد كان يعلم بأمر كل شيء وظل سابحًا مع التيار مستسلمًا لما قد يحدث، تذكرت كلماته الأخيرة لي، فعلمت أنها كانت بمثابة رسائل تحذيرات وأوامر لأنتبه لنفسي ولصغيري، كم كانت دافئة تلك الكلمات! تمنيت سماع صوته مجددًا.

أخذت الكاميرا وذلك المجلد على الطاولة، أطفأت جميع أضواء المنزل، جاء أصدقائي يستعجلونني ليوصلوني إلى المطار، حملوا معي أشيائي وذهبنا جميعنا للمطار.

وصلنا إلى المطار، كانت الرحلة على وشك الإقلاع، كتبت (ابتسام) قائمة فيها أرقامهم لأطمئنهم فور وصولي، سلمت عليهم وودعتهم بالدموع التي لم تعد تفارق عينيَّ، شكرتهم وودعتهم متجهة نحو طائرتي التي ستعود بي إلى مصر بلد الأمان بكل ما فيها من فقر وشغب، فهي أفضل من أقرانها من البلدان بكل ما فيها.

كانت رحلتي مليئة بالندوب القابعة داخل جسدي، أرهقتني تلك الرحلة بشكل مزرٍ، أرهقني وجودي بذلك البلد الأجنبي الغريب، أرهقني كل شيء، مرت عليَ عشرة أشهر فقط، تعلمت فيهم كيف تكون صلبًا جامدًا، على الرغم من صغر سني فإنني أشعر وكأنني في سن الكهولة، تعلمت أشياء كانت تمهيدًا ودرسًا جديدًا لأربي طفلي وأنتبه في كل خطوة وكل إجراء أتخذه بشأن حياتنا.

فور وصولي، وجدت عائلتي تنتظرني أمام بوابة المطار فرحين بقدوم ابنتهم إليهم، شعرت بوخزة آلمتني في قلبي، تذكرت كل ما حدث معي، حاولت جاهدة التحكم في أعصابي، حاولت تخبئة دموعي لأضع قناعًا مبتسمًا خلفه، وجهًا ينهار ويود الارتماء في أحضان والدته ليشعر بأمان وحنان قد افتقده، كانت تلك اللحظة قاسية، مؤلمة، تذكرني بكل ألم عشته ولا أزال أعيشه، وسأظل أعيش أسيرة سجنه، حركت قدميَّ بالكاد لأصل إليهم، جاء أخي وسلم علي بحفاوة وحمل الحقائب، سلمت عليهم جميعًا، وجدت والدي يستند إلى عصا ولا أعلمٍ السبب، حتى إنني لم أسأله، كنت فقط أحاول جعل ذلك القناع مُتماسكا حتى لا أنهار أمامهم، يكفيهم ما علموا به إلى الآن.

دخلت منزلي، بيت العائلة، لأجد كل شيء فيه كما هو، كما كان قديمًا، أشعر وكأنني غبت لسنين عدة، وليس لأشهر قليلة، لا أعلم من كان مصدرًا لبؤس الآخر في علاقتي بـ (أدهم)، ظل ذلك التفكير يراودني مرارًا وتكرارًا.

بعد أيام قليلة رجعت إلى منزلي الذي اشتراه لي (أدهم) قبل سفرنا، لأرى الغبار يملؤه، تذكرت كل لحظة مرت أثناء فرش ذلك المنزل، كيف تم كل شيء بهذه السرعة، لقد تزوجت بعد أن كنت كارهة للزواج، عانيت كثيرًا ليأتي طفلي ويُذهب ألم ذلك العناء، قدومي لوطني وحدي وتحملي المسؤولية على الرغم من سذاجتي وضعفي وخوفي من تجربة كل ما هو جديد عليَ.

ساعدتني أمي وأختي في ترتيب بعض الأغراض بمنزلي وتنظيفه من ذلك الغبار، وضعت كل شيء مكانه، نظمت ملابس (أدهم) في خزانة واسعة ملأتها بعطره المفضل وأغلقتها لتكون مصدرًا لتجديد طاقتي كلما ضعفت، قررت النزول إلى العمل بعد أن أصبح كل شيء ملكًا لولدي الآن، فيجب عليَ المحافظة على كل شيء كما هو، ليكون له في المستقبل جاهزًا فقط لاستلامه العمل محل والده.

بعد أسبوع من ذهابي إلى العمل ولسماعي بعضًا من القيل والقال من بعض الموظفين والعملاء الذين لم أعد أبالي برأيهم في شخصيتي، سرت على نمط ومنهج (أدهم) في الإدارة، كلما شعرت بالجزع تذكرت كلماته من قبل: "هتكوني أحسن مديرة"، كانت تلك الكلمة تجدد طاقتي وتحفزني لإكمال ما بدأته على أكمل صورة.

ظللت على اتصال بصُحبتي ورفقتي الصغيرة التي تركتها في البرازيل لأطمئن عليهن وعلى العمل وعلى شركة (أدهم) وكيف يسير بها العمل، وضعت أناسًا كانوا بمثابة جواسيس يخبرونني بكل ما يحدث بالشركة سرًّا لأكون على علم بكل صغيرة وكبيرة.

ذهبت أحلامي لفترة طويلة ولكنها كانت تعود مع قدوم أي خطر نحوي لتحذرني، لا أعلم هل كان لتلك الحادثة سبب في تلك الأحلام؟ هل كانت روح (منة) هي التي تساعدني؟ أم وهبني خالقي تلك القدرة لأمسك بزمام الأمور دون أن أحدث أي خطأ بحياتي؟

ظللت مع عائلتي التي تحبني، وكل فترة كانت عائلة (أدهم) تزورني لتطمئن عليَ وعلى صغيري الذي بت أمهده لاستقبال الحياة لجعله يتمكن من مواجهة كل ما بها من صعوبات ومحن، حاولت زرع كل خصلة حسنة به منذ الصغر، فلا أود المخاطرة بأعز ما أملك.

عشت على ذكرى (أدهم) فقط لتربية ابني، في يوم كنت جالسة أشاهد التلفاز وتذكرت كاميرا الفيديو وذلك المجلد، والذي تركهما لي (أدهم) ولم أفتحهما إلى الآن، ذهبت وأحضرتهما، فتحت شريط الفيديو لأراه يتحدث بابتسامة تزين وجهه، كم افتقدت تلك الابتسامة! كم افتقدت ذلك الجسد! سمعت ذلك الفيديو وأنا أبكي لفقدانه، وهو يضحك ليلهمني الصبر وكأنه كان مخططًا لكل شيء منذ البداية، تحدث عن كل شيء ولم يترك ثغرة إلا وتكلم فيها، نصحني بعدة نصائح أتبعها في حياتي.

فتحت ذلك المجلد لأرى الصفحة الأولى مكتوبًا عليها بخط يد (أدهم)

(يوميات زوراني)، بجانبها وجه صغير مبتسم وكأنه لا يبالي، فتحت ذلك المجلد وبدأت بالقراءة، طويت عدة صفحات، بدأت بالقراءة من آخر المجلد تارة ومن نصفه أخرى، لقد كتب ودوَّن كل شيء، كل ما حدث، لقد كان يدون يومياته كما كنت أفعل قبل ارتباطي به، شعرت

بقلبي يخفق بشدة لتلك الكلمات الصادقة ولتلك الأفعال الموبقة، لم أود أن يرى طفلي ذلك المجلد ليدرك حقيقة بشعة عن والده قد تعقده من الحياة بأكملها، أشعلت نارًا بالخارج حتى التهبت لتصدر وهجًا، طويت آخر صفحة في ذلك المجلد لأرى أنه قد كتب فيها: "عذرًا حبيبتي ومعشوقتي؛ لقد أحببتِ زوراني!

00000000000
000000

Fatmaabdelghaffar@yahoo.com